أفنـــان البيـــان

دكتور

الشحات محمد أبو ستيت

أستاذ البلاغة والنقد

ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد النبى العربى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فهذا كتاب فى علم البيان، يتناول أبوابه، ومسائله بالشرح والتحليل على منهج البلاغة العربية، التى ألفها العقل العربى، وتلاءمت مع لغتنا وأدبنا، فكشفت عن أسرار الإعجاز القرآنى، وأظهرت سمو البيان النبوى، وأبرزت جمال تراثنا الأدبى، وصقلت مواهب المبدعين والمتأدبين على مر القرون، وأقامت دعائم النقد الأدبى، وأحكمت مناهج النقاد.

ويصدر هذا الكتاب فى غمار سيل جارف من نتاج مستغرب، تآزر أصحابه في إحلال الفكر الأعجمى في اللغة والأسلوب محل البلاغة العربية، معلنين جمودها تارة، وموتها تارة أخرى، غير مبالين بالعواقب الوخيمة لما يفعلون.

ولا نجد- على مر التاريخ- جماعة مخلصة لأمتها، بذلت جهدها لهدم تراث هذه الأمة، وأفرغت طاقتها لتنحيته عن الطريق، لاهثة وراء فكر نافر، زاعمة أن هذا مطلع التنوير، وفجر التبصير.

لقد اتهموا البلاغة بالجمود، وحكموا عليها بالموت، وأمطرونا بوابل من الصفحات، سودوها بمترجمات تكد ذهن القارئ، ولا يخرج منها إلا برأس مصدوع، وعقل مشتت.

إن علوم البلاغة وثيقة الصلة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتقصير في إيضاح معالمها، وتركها غرضا لسهام الساعين في هدم التراث، تفريط منا فى واجب دينى نتحمل وزره فى الدنيا والآخرة.

من هذا المنطلق، نقدم لطلاب العربية وقرائها كتابنا «أفنان البيان» شارحين فيه أبواب هذا العلم من تشبيه ومجاز وكناية وتعريض، فى منهج يجمع بين الأصول النظرية، والشواهد التطبيقية، مستفيدين من كتب المتقدمين، وبحوث المحدثين، مضيفين إلى ذلك ما فتح الله به علينا من فهم واستنباط، أو موازنة ونقد، أو ترتيب وتنظيم.

وأملنا أن يكون هذا البحث شاهدا على حياة علوم البلاغة، وتطور مسيرتها، وصلاحيتها لأداء المهام السامية المنوطة بها، لو أفسح لها الطريق وأزيحت من أمامها العوائق، وتبوأت مكانها فى دور العلم، ودوائر البحث.

والله تعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا «يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم».

طحانوب- قليوبية

د/ الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت

أستاذ البلاغة والنقد

ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

فى ٨ من جمادى الأولى ١٤١٧هـ

٢١ مـــن سبتمبر ١٩٩٦م

حول مصطلح «البيان»

وردت كلمة «بيان» فى كتب اللغة بمعنى الكشف والإيضاح يقال : بان الشئ بيانا : اتضح وظهر، وبينت الشئ : أوضحته وأظهرته، والبيان : ما يبين به الشئ من الدلالة وغيرها، ويسمى الكلام بيانا : لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره.

كما جاءت بمعنى الفصاحة واللسن، يقال : كلام بين : فصيح، والبيان : الإفصاح مع ذكاء، والبين من الرجال : السمح اللسان، الفصيح الظريف العالى الكلام، القليل الرتج، والبيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن.[١]

فالدلالة اللغوية للكلمة تعنى الكشف والإيضاح وإظهار المراد بأى شئ يحقق ذلك. ومن هذا : الكلام الفصيح المعبر عن المقصود.

وبهذا المفهوم وردت كلمة «بيان» ومشتقاتها كثيرا في القرآن الكريم : من ذلك قوله تعالى :(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[٢] وقوله تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[٣] وقوله تعالى (ثم إن علينا بيانه)[٤]. وقوله تعالى (خلق الإنسان. علمه البيان)[٥] والمراد بالبيان فى الآية الأخيرة : المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير. وهو ما يتميز به الإنسان من سائر الحيوان[٦].

---

(١) انظر الصحاح ، ولسان العرب. مادة : بين، ومعجم ألفاظ القرآن : ١/ ١٤٠ ومابعدها.

(٢) النحل : ٤٤.

(٣) آل عمران: ١٣٨.

(٤) القيامة : ١٩.

(٥) الرحمن : ٣، ٤.

(٦) الكشاف : ٤/٤٣.

ووردت كلمة «البيان» في الحديث الشريف بمعنى الكلام الفصيح الذى يخلب الألباب ويستولى على العقول، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة» والمراد : أن البيان يخدع بحسنه، حتى يقلب الأمور ويغير الأوضاع، فتراه يبدل حال الانسان من الغضب والمخاشنة إلى الرضا والملاينة، ومن المخالفة إلى الموافقة... ونحو ذلك، كما أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلي نفسه، والبليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حبه ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه[١].

ومن أقدم ما وصلنا من حديث عن مفهوم البيان كلام جعفر بن يحيى وقد سأله ثمامة بن أشرس عن البيان : فقال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلى عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذى لابد منه، أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنيا عن التأويل[٢]. فواضح أنه يطلق البيان على نوع خاص من الكلام، هو ما يظهر المعنى المراد ويوضحه في أبهى صورة من اللفظ، وبهذا يكون قد خطا خطوة هامة نحو تحديد مصطلح «البيان» وإخراجه عن مفهومه اللغوى الواسع.

وجاء الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فوضع كتابه «البيان والتبيين» وتحدث فيه عن «البيان» وهو عنده : اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أى جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأى شئ بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[٣].

---

(١) المجازات النبوية : ٨٩، ٩٠، والنهاية فى غريب الحديث والأثر : ١/١٧٤.
(٢) البيان والتبيين : ١/١٠٦.
(٣) السابق : ١/٧٦.

فمفهوم البيان عند الجاحظ واسع وشامل، حيث أطلقه على كل ما يكشف المعنى، ويفهم المراد، ويدل على المقصود، ولذلك جعل أصناف الدلالات على المعانى خمسة أشياء : اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال وتسمى نصبة»[١].

وتأثر إسحاق بن وهب بما ذكره الجاحظ، وجعل البيان على أربعة أوجه : بيان الأشياء بذواتها وهو «الاعتبار»، والبيان الذى يحصل فى القلب عند إعمال الفكر واللب وهو «الاعتقاد»، والبيان باللسان وهو «العبارة»، والبيان بالكتاب، وفصل هذه الأوجه الأربعة وجعل شرحها وتفصيلها عماد كتابه «البرهان في وجوه البيان»[٢].

وتوسع الرمانى (ت ٣٨٦هـ) فى إطلاق البيان متأثرا بالجاحظ فعرف البيان بأنه الإحضار لما يظهر به تميز الشئ من غيره فى الادراك. وجعله أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة.

وذكر أن الكلام على وجهين : كلام يظهر به تميز الشئ من غيره، فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشئ فليس ببيان : كالكلام المخلط، والمحال الذى لا يفهم به معنى[٣].

ونقل ابن رشيق (ت٤٦٣هـ) تعريف الرمانى للبيان، وضرب أمثلة له من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر[٤]. وحديثه عن البيان يدلنا على أنه يريد به الكشف عن المعنى بكلام بليغ.

---

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين.

(٢) انظر البرهان فى وجوه البيان : ٥٦، ٦٥، ٨٦، ٩٢، ٢٥٤.

(٣) النكت : ضمن ثلاث رسائل : ١٠٦.

(٤) انظر العمدة : ١/٢٥٤-٢٥٦.

وجعل الشيخ عبد القاهر (ت ٤٧١هـ) البيان مرادفا للفصاحة والبلاغة والبراعة ما شاكل ذلك. وهى عبارات يعبر بها عن فضل بعض القائلين على بعض ومعناها : وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هى أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولى على هوى النفس[١]. فالبيان عنده هو الدلالة على المعنى المراد بأخص الألفاظ التى تكشف عنه وتؤديه أتم أداء وأفضله.

واستمر مصطلح «البيان» متداولا بهذا المفهوم الواسع حتى جاء السكاكى فقسم البلاغة إلى علمى المعانى والبيان وما يتبع ذلك من وجوه تحسين الكلام، ووضع تعريفا محددا لعلم البيان ضيق به دائرته، وحصره فى مباحث التشبيه والمجاز والكناية، وتبعه فى ذلك جمهور البلاغيين كما سنرى فيما يلى :

علم البيان فى اصطلاح البلاغيين المتاخرين :

عرف أبو يعقوب السكاكى (ت ٦٢٦هـ) علم البيان بأنه معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه[٢] ونقل بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ) هذا التعريف دون تغيير[٣].

وجاء الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩هـ) فنظر فى تعريف السكاكى وحرر عبارته، وأحكم صياغته، فقال: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه.[٤] وعلى هذا التعريف مضى جمهور البلاغيين.

---

(١) دلائل الاعجاز : ٤٣.

(٢) مفتاح العلوم : ١٦٢.

(٣) انظر المصباح : ١٠٣.

(٤) الايضاح : ٤/٤.

ومراد هم بالمعنى الواحد : كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم، ويريد التعبير عنه، كالكرم، أو الشجاعة، أو الوفاء، أو غير ذلك مما يود الحديث عنه. وعلي هذا فالتعبير عن معان متعددة بطرق مختلفة فى الوضوح لا يدخل فى التعريف، كما اذا عبر متكلم عن معنى الشجاعة، وعبر ثانيا عن معنى الكرم، وثالثاً عن معنى الوفاء، وهكذا، لأن المعانى المعبر عنها ليست واحدة.

ومرادهم بالطرق المختلفة فى وضوح الدلالة : التراكيب المتفاوتة في مراتب الوضوح، فجميعها تكون مشتركة فى وضوح دلالتها على المراد، إلا أنها تختلف فى درجة الوضوح، فبعضها أوضح دلالة من بعض، وليس المراد أن يكون بعضها واضحاً وبعضها خفيا لا يفهم، لأن الخفاء الذى يؤدى إلى التعمية واللبس معيب عند البلاغيين.

وتجدر الإشارة إلى أن التراكيب التى يعبر بها عن المعنى المقصود ينبغى أن تكون مطابقة لمقتضى الحال، وإلا كانت خارجة عن نطاق البلاغة، وقد صرح السكاكى بهذا فى تعريفه السابق لعلم البيان، كما فهمه الشراح من تعريف الخطيب، حيث ذكروا أنه أراد بالمعنى الواحد ما يدل عليه الكلام الذي روعى فيه المطابقة لمقتضى الحال(٢).

وعلى هذا فالأولى أن يقال في تعريف علم البيان : هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه(٣) وبذلك يكون التعريف قد نص فيه على المطابقة لمقتضى الحال التي عليه مدار بلاغة الكلام.

---

(١) انظر شروح التلخيص : ٣/٢٥٩.

(٢) المطول : ٣٠٠.

(٣) المنهاج الواضح : ٨٢.

وإليك أمثلة توضح ما سبق:

عندما تصف إنسانا بالكرم تستطيع من خلال معرفتك بعلم البيان أن تعبر عن ذلك بتراكيب متعددة، تختلف فى دلالتها دقة ووضوحا، وقوة وضعفا، حسب بنيتها وصياغتها.

فتقول سالكا سبيل التشبيه: هذا كالبحر فيضا وعطاء، أو هذا كالبحر، أو هذا بحر. وتقول على نهج الاستعارة : قابلت بحرا فاض جوده، أو فيض على يغمر الناس، وتقول على وجه الكنايه: هذا بابه لا يغلق، أو يداه مبسوطتان، أو يوجد الجود حيث يوجد.

وعندما تتحدث عن فائدة العلم فى هداية العقول يمكنك أن تعبر عن ذلك بأساليب شتى، فتقول سالكا سبيل التشبيه العلم كالنور فى الهداية، أو العلم كالنبور، أو العلم نور، وتقول على طريق الاستعارة : وجدت النور فى الكتب، أو نور العلم أضاء عقلى، وتقول على نهج الكناية : تلقيت من الكتب ما يضئ العقول وينير الفكر.

وهكذا تراك استعملت أساليب شتى فى التعبير عن المعنى الواحد، مستعينا بطرائق التعبير التى يهتم بدراستها علم البيان وهى : التشبيه، والمجاز، والكناية. وظاهر أن الأساليب التى عبرت بها عن مرادك ليست فى مرتبة واحدة من الوضوح، فبعضها أوضح من بعض، كما أنها لا تتساوى فى الدلالة فبعضها أقوى وأبلغ فى الدلالة على المراد من بعضها الآخر، والبلاغة تقتضى أن تختار منها ما يناسب المقام ، ويفى بالمراد.

وإذا تأملت كتاب الله الكريم وجدته يعرض المعنى الواحد فى نظوم متعددة، يتلاءم كل منها مع سياقه، ويناسب المقام الذي ورد فيه، ويؤدى المعنى على أبلغ وجه وأكمله، وهذا من دلائل إعجازه.

انظر إليه وهو يحث على الإنفاق في سبيل الله، ويدعو إلي بذل المال ابتغاء مرضات الله عز وجل، تجده يعرض هذا المعنى العظيم عرضا معجزا فى تراكيب متنوعة وصور مختلفة، تأسر الألباب، وتستولى على العقول، وتدفع إلى الاستجابة، من ذلك قوله تعالى :(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) [١] وقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) [٢] وقوله تعالى :(إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) [٣].

ففى الآية الأولى ترى المال المنفق فى سبيل الله ينمو ويتضاعف ثوابه، كالحبة التى تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، وفى الآية الثانية تراه كالجنة التى أصابها الماء الكثير فتضاعفت غلتها، وتكاثر إنتاجها، وفى الآية الثالثة سمى قرضا على سبيل الاستعارة، للإشارة إلى تأكد ثوابه وتحقق عائده المجزى، لأن القرض واجب السداد مستحق الدفع.

وتأمل آيات القرآن الكريم التى تبين بوار أعمال الكافرين وضياعها وعدم انتفاعهم بشئ منها يوم القيامة، تجدها توضح ذلك في أساليب متنوعة وصور مختلفة، منها قوله تعالى :(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد) [٤]. وقوله تعالى :(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

---

(١) البقرة : ٢٦١.

(٢) البقرة : ٢٦.

(٣) التغابن : ١٧.

(٤) ابراهيم : ١٨.

الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) [١] وقوله تعالى :(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) [٢].

فالآية الأولى تصور أعمال الكافرين بصورة الرماد الذى اشتدت به الريح فى يوم عاصف، فتطاير فى كل ناحية، ولم يبق منه أثر، والآية الثانية تصورها بصورة السراب الذى يحسبه الظمآن ماء وليس بشئ على الحقيقة، والآية الثالثة تصورها بصورة ظلمات متراكبة متراكمة، لا يمكن الرؤية فيها ولا النفاذ منها، والآية الرابعة تجعلها هباء منثوراً متطايرا لا أثر له.

فأظهرت الآيات ضلال أعمال الكافرين وبطلانها وبوارها في صور متعددة، لكل منها خصائصها، وسماتها، ودلالتها، الخاصة في ضوء المعنى العام.

واقرأ فى وصف الجبال يوم القيامة قوله تعالى :(وبست الجبال بسا. فكانت هباء منبثا) [٣] وقوله تعالى :(وتكون الجبال كالعهن) [٤] وقوله تعالى: (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) [٥] وقوله تعالى :(وسيرت الجبال فكانت سرابا) [٦] وقوله تعالى :(وكانت الجبال كثيبا مهيلا) [٧] فترى الجبال

---

(١) النور : ٣٩، ٤٠.

(٢) الفرقان : ٢٣.

(٣) الواقعة : ٥، ٦.

(٤) المعارج : ٩ والعهن : الصوف المصبوغ.

(٥) القارعة : ٥.

(٦) النبأ : ٢٠.

(٧) المزمل : ١٤. الكثيب : الرمل المجتمع. والمهيل : المنثور.

الشماء، وصخورها الصماء وقد صورت فى نظم معجز بالهباء المنبث، وبالعهن المنفوش، وبالسراب، وبالكثيب المهيل،، وهكذا يتنوع النظم القرآنى فى التعبير عن المعنى الواحد، ترغيباً وترهيبا، وتوضيحا وتقريرا، وإقناعا للعقول، إثارة للوجدان، وغير ذلك من الأغراض.

ومن خلال ما قدمناه يتجلى لك مفهوم علم البيان.

وورود مصطلح الدلالة فى تعريف علم البيان عند المتأخرين دفعهم إلى الحديث عن الدلالة وأقسامها وبيان ما يتصل منها بعلم البيان.

وخلاصة كلامهم فى ذلك : أن الدلالة هى : كون الشئ بحيث يلزم من العلم به العلم بشئ آخر، وهى قسمان : لفظية وغير لفظية:

فغير اللفظية : كدلالة الخطوط والعقود والإشارات، ولا علاقة لها بمباحث البيان.

واللفظية على ثلاثة أقسام :

١- دلالة المطابقة : وهى دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له. كدلالة الأسد على الحيوان المعروف وتسمى دلالة وضعية.

٢- دلالة التضمن : وهى دلالة اللفظ على بعض معناه، كدلالة البيت على السقف أو على الجدار.

٣- دلالة الالتزام : وهى دلالة اللفظ على لازم معناه، كدلالة الانسان على كونه عاقلا، أو ناطقا، وكل من هذين القسمين يسمى دلالة عقلية، لأن دلالة اللفظ على الجزء أو على اللازم مصدرها العقل.

والدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحا وخفاء لأنها محكومة بالوضع، أما الدلالة العقلية فيتأتى فيها التفاوت وضوحا وخفاء لقيامها على الفهم والاستنباط، ولذلك ذكر البلاغيون أن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى الوضوح لا يتأتى بالدلالة الوضعية، وإنما يتأتى بالدلالة العقلية التى تشمل التضمن والالتزام .

والحديث عن الدلالة بدأه السكاكى[١] وأطال فيه من جاء بعده، وهو بحث منطقى لا جدوى منه فى علم البيان، ومن هنا ثار عليه التفتازانى، وآثر أن يطرح، فقال بعد أن فصل جوانبه: هذا هو الكلام في شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى، وأنت خبير بما فيه من الاضطراب، والأقرب أن يقال: علم البيان : علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التى أوردها في صدر هذا الفن[٢].

وتعريف السعد تعريف مباشر حدد أبواب علم البيان وخلا من مصطلح الدلالة الذي جر البلاغيين إلى بحث عقلى لا غناء فيه.

وسنتناول فيما يلى أبواب علم البيان بالبحث المفصل مستمدين من الله العون والسداد.

---

(١) مفتاح العلوم : ٣٢٩.

(٢) المطول : ٣٠٩، ٣١٠.

الباب الأول

التشبيـــه

التشبيـــه

التشبيه فن تعبيرى جميل، يجرى على ألسنة الناس جميعاً وتعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعى إليه سواء، في ذلك العرب والعجم، والخاصة والعامة والكبير والصغير، والعالم والجاهل، والحضرى، والبدوى، والذكى والغبى[١].

وذلك لأن فى الناس ميلا فطريا إلى مقارنة الأشياء، والتعبير عنها بما يوضحها من مشابهاتها، بما فيهم من ملكة «تداعى الفكر» إذ يضم بها الإنسان الخاطر إلي الخاطر بتصحيف يسير فى اللفظ أو المعنى، وبمناسبة دقيقة من الخيال الصحيح أو الوهم الكاذب، فيصل بها بين الطرفين وهما على أشد البعد والتناقض، ويلتمس بها المشابه، والمغازى حيث لا شبه ولا مغزى[٢].

كما أن إدارك ما بين الأشياء من صفات مشتركة، وملاحظة ما بينها من تشابه فى ناحية من النواحى ليس أمراً صعبا، وإنما لكل عقل فيه نصيب يختلف قوة وضعفا، ولهذا يقول «سيبرمان» أن الأساس النفسى الذى يقوم عليه التشبيه وغيره من الأساليب البيانية من حيث تأليفها وإدراكها وتقديرها هو فى الواقع عملية أساسية فى التفكير، تلك هى ما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وعلاقات[٣].

ولقد عرف العرب- بفطرتهم - التشبيه لونا تعبيريا جميلا يوضح الفكرة، ويظهر المعنى، ويجلى المراد، فجرى على ألسنتهم، وشاع فى كلامهم، وكثر في أشعارهم، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد[٤].

---

(١) انظر فن التشبيه : ٤٨/١.

(٢) مراجعات في الآداب والفنون ١٦٩.

(٣) دراسات فى علم النفس الأدبى : ٤١.

(٤) الكامل : ٤٢/٣.

واستخدم البيان القرآني التشبيه في ابراز المعاني الذهنية في صورة حية، وإيضاح الحالات النفسية في مظاهر حسية، وتقريب المشاهد الغيبية بنماذج مرئية، فأتى بالمعجز الذي لا يبارى ولا يجارى، ومن رحيقه، ارتشف البيان النبوي الشريف، وكان لهذا أكبر الأثر في توسيع المدارك، وتنمية الملكات، والارتقاء بهذا الفن التعبيري وغيره من فنون البيان، وآية ذلك ما تركه المبدعون في العصور التالية لظهور الاسلام مما تزخر به دواوين الشعر وكتب الأدب.

والتشبيه لغة : التمثيل. يقال : شبهت هذا بهذا، أي مثلته به، وأشبه الشئ الشي : ماثله، والشبه، والشبه، والشبيه، المثل، والمثل، والمثيل، وزنا ومعنى»[1].

وهو في اصطلاح البلاغيين : الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ملفوظة أو ملحوظة. فإذا قلت : الطفل كالزهرة في النضارة فقد دللت بهذا الأسلوب على مشاركة أمر وهو «الطفل» لأمر آخر وهو «الزهرة» في معنى وهو «النضارة» بأداة وهي الكاف.

وبالتأمل في التعريف والمثال ترى أن أسلوب التشبيه يتكون من أركان أربعة :

المشبه : الأمر الأول - وهو ما أريد اشراكه في الصفة.

المشبه به : الأمر الثاني - وهو ما توجد فيه الصفة المراد إشراك المشبه فيها، وهذان الركنان هما : طرفا التشبيه.

وجه الشبه : المعنى- وهو الصفة المراد إشراك المشبه فيها أو هو الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه.

الأداة : وهي الأداة التي يتم بواسطتها التشبيه.

---

(١) انظر لسان العرب : مادة : شبه.

وليس شرطا أن تظهر الأركان الأربعة في الكلام حتى يتم التشبيه، فكثيرا ما يحذف وجه الشبه فيقال : الطفل كالزهرة، أو تحذف الأداة فيقال : الطفل زهرة في النضارة، أو يحذفان معا فيقال : الطفل زهرة. كما يجوز حذف المشبه ويكون مقدرا فى الكلام كما إذا سبق حديث عن هذا الطفل فقلت بعده : كالزهرة فى نضارتها، وكالبدر فى حسنه، على تقدير : هوكالزهرة، وكالبدر. ومن هذا قوله تعالى فى وصف المنافقين :«صم بكم عمى فهم لا يرجعون»[١] أى : هم صم، وهم بكم، وهم عمى.

أما المشبه به فلا يتأتى حذفه، لأن في حذفه تفويت الغرض المقصود من الكلام، ولذا لم يعثر له البلاغيون على شاهد من كلام العرب الفصحاء[٢].

وقد وزع البلاغيون مباحث التشبيه على أركانه، فجعلوا لكل ركن منها مباحثه ومسائله التى تتناوله من مختلف الجوانب، وبذلك تم لهم درس التشبيه درسا منظما، يستوعب أحكامه المتعددة، ويجمع أفنانه الوارفة، ويضم صوره المتشعبة، وسنمضى على منوالهم، لا رغبة فى التقليد، ولا ازدراء للتجديد، وإنما إيمانا بأن تراثا أبدعته قرائح صافية، وأحكمته عقول فاقهة، ينبغى أن يكون الأساس المتين لكل جديد، والعماد القوى لكل تجديد.

مبحث الطرفين:

علمت أن للتشبيه طرفين هما : المشبه، والمشبه به. وللطرفين أحوال مختلفة جعلها البلاغيون أساسا لتقسيم التشبيه باعتبار حال الطرفين وأهم هذه الأحوال : الحسية والعقلية، والإفراد والتركيب، والوحدة والتعدد. وإليك تفصيل الحديث عن هذه الأحوال وأقسام التشبيه باعتبارها.

---

(١) البقرة : ١٨.

(٢) الإفصاح : ٢٤.

أولاً: التشبيه باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما :

ينبغى فى البداية أن تقف على المراد بالحسى والعقلى. فالحسى : ما كان مدركا هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة التى هي : البصر، والسمع، والشم واللمس، والذوق. فينطوى تحته أمران :

الحسى الحقيقى : وهو ما كان موجودا على الحقيقة، ومدركا بإحدى الحواس. كالأصوات التى نسمعها، والموجودات التى نبصرها أو نلمسها، أو نشمها، أو نتذوقها.

والحسى الخيالى : وهو كانت صورته الكلية متخيلة لا وجود لها على الحقيقة، ولكن مادتهالتى يتركب منها موجودة ومدركة بالحواس. كتخيل : قصر من اللؤلؤ فى بحر من المسك، فهذه الصورة من صنع الخيال، ولكن أجزاءها التى هى القصر، واللؤلؤ والبحر والمسك موجودة على الحقيقة، ومدركة بالحواس ومثاله من التشبيه قول أبى بكر الصنوبرى :

وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوب أو تصعـد
أعلام ياقوت نشـــر ن على رماح من زبرجـد

والشقيق : نبات له زهر أحمر يسمى شقائق النعمان، وقد شبه الشاعر هذا النبات الأخضر الذى يعلوه زهر أحمر فى حال ميله إلي أسفل وإلى أعلى، بأعلام من ياقوت مبسوطة على رءوس رماح من زبرجد، ووجه الشبه هيئة أجرام حمراء تعلو أجراما مستطيلة خضراء، مع حركة واهتزاز.

ومعلوم أن الياقوت مشهور بالحمرة، والزبرجد معروف بالخضرة وصورة المشبه به - كما تراها - صورة من صنع الخيال، وان كانت أجزاؤها التى هى : الأعلام، والياقوت، والرماح، والزبرجد موجودة ومدركة بالحواس.

والعقلى : ما كان مدركا هو أو مادته بالعقل. فيشمل شيئين[١]:

العقلى الحقيقى : وهو ما كان من المعانى الثابتة الموجودة التى يستقل العقل بادراكها، كالعلم والفهم، والكرم والمروءة، والعزة والشجاعة، ونحو ذلك، أو كان من الاحساسات الوجدانية التى يشعر بها الانسان ويدركها بالحس الباطن كالجوع والشبع، والفرح والحزن، والرضا والغضب، والخوف والطمأنينة ونحو ذلك.

والعقلى الوهمى : وهو ما كان من الأمور الوهمية التى لا وجود لها ولا لأجزائها في الخارج، ولو وجد لكان مدركا بإحدى الحواس كأنياب الغول ورءوس الشياطين. ومثال هذا من التشبيهات قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والمشرفى- بفتح الميم والراء-السيف المنسوب إلى «مشارف»، من بلاد اليمن، مشهورة بصناعة السيوف، والمسنونة : السهام المحدودة المصقولة وهى من شدة صفائها تبدو كأنها زرقاء... والشاعر يشبه السهام الحادة المصقولة بأنياب الأغوال، وأنياب الأغوال لا وجود لها ولا لمادتها في الخارج، وانما هى من اختراعات الوهم، ولكنها لو وجدت لكانت مدركة بالحواس.

ولا يلتبس عليك أمر الخيالى والوهمى، فمادة الخيالى وأجزاؤه موجودة ومدركة بالحواس، وإن كانت هيئته الكلية غير موجودة، ومن ثم يدخل الخيالى فى الحسى، أما الوهمى فمعدوم ولا وجود له ولا لأجزائه، ولكن لو قدر وجوده لأدرك بالحواس، ومن ثم يدخل الوهمى في العقلي.

---

(١) انظر الإفصاح : ٢٦، ونظرات في البيان : ٤٢.

وبعد أن أدركت الفرق بين الحسى والعقلى أعرض عليك أقسام التشبيه باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما، وهى أربعة: وذلك لأن طرفي التشبيه أما أن يكونا حسيين أو عقليين، أو يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا، أو العكس.

(١) تشبيه محسوس بمحسوس كقولك : وجه كالبدر، وصوت كأغاريد البلابل، ورائحة كالمسك، ودواء كالعلقم، وجلد كالحرير. ومنه قوله تعالى : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام)[١] شبهت الجوارى التى تمخر عباب البحر رافعات الشرع، بالأعلام- وهى الجبال العالية- في الضخامة والارتفاع، والطرفان مدركان بحاسة البصر،والتشبيه يظهر قدرة الله تعالى فى تسيير السفن الضخمة العالية على صفحة الماء الرقيقة، وهذا من آلائه العظيمة التى سخرها لعباده، وينبغى شكرها.

وقوله تعالى :(وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المكنون)[٢] شبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون فى شدة الصفاء والنقاء، والطرفان مدركان بحاسة البصر، واللؤلؤ المكنون:المصون فى صدفه، والتشبيه وصف نساء الجنة وبين تمام حسنهن وأشار إلي أنهن مصونات لم يمسسن.

ومن هذا قول عنترة فى معلقته :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

لم تشغل الحرب عنترة عن فتاته، فذكرها والرماح تنهل منه والسيوف الهندية غارقة فى دمائه، وتمني تقبيل السيوف لأنها تلمع مثل ثغرها المتبسم، وطرفا التشبيه مدركان بحاسة البصر.

---

(١) الرحمن: ٢٤.

(٢) الواقعة : ٢٢، ٢٣.

ومنه قول امرئ القيس :

يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال

والغطيط : صوت النائم، والمقصود هنا الصوت الذى يصدر عند شدة الغيظ، والبكر بفتح الباء وسكون الكاف : فحل الإبل الحديث السن، وغطيطه عند شد الخناق يكون أقوى. والشاعر يشبه صوت الرجل وهو يتحرق غيظا بصوت البكر عند شد الخناق، فى قوة الصوت وشدة الضجيج، والطرفان مدركان بحاسة السمع.

ومنه قول ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

شبه زهور النرجس بمداهن الدر المحشوة بالعقيق، والمشبه حسى والمشبه به خيالي، لأن صورته غير موجودة في الخارج ولكن مادته التى هى المداهن، والدر، والعقيق موجودة ومدركة بالحواس، وقد علمت أن الخيالى من قبيل المحسوس وعلى هذا فالطرفان حسيان.

(٢) تشبيه معقول بمعقول كقولك: العلم كالحياة، والجهل، كالموت، والضلال كالعمى، وكقوله صلي الله عليه وسلم «إن من البيان لسحرا» شبه البيان بالسحر فى قوة التأثير، والطرفان عقليان، وقد أوضح التشبيه قيمة البيان وقدرته الفائقة على التأثير، حتى إنه يقلب الحقائق ويبدل الأوضاع مع إقناع المتلقى بذلك.

ومنه قوله حافظ إبراهيم :

إنى لتطربنى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاقى
وتهزنى ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق

فى البيت الأول شبه الشاعر سروره وطربه بالخصال الحميدة بسرور الغريب وطربه بعودته ولقائه بأهله. وفى البيت الثانى شبه اهتزاز مشاعره لأحاديث المروءة والكرم باهتزاز أحاسيس المشتاق، والطرفان فى كل تشبيه عقليان، لأن السرور والطرب واهتزاز المشاعر أمور عقلية كما أوضحنا سالفا، والتشبيهان يظهران مكانة الأخلاق الحميدة لدي الشاعر، ومقدار اعتزازه بها.

ومنه قول شوقى في الحروب العثمانية :

كأن المنايا فى ضمير ظلامه هموم بها فاض الضمير المحجب

الحرب مستعرة ليلا، والمنايا كثيرة، والموتى يتدافعون، والشاعر يشبه المنايا فى ظلام الدجى بالهموم التى فاض بها الضمير، والطرفان عقليان.

ومنه قوله :

ينهار الاستبداد حول عراصه مثل انهيار الشرك حول «صلاح»[1]

والبيت من قصيدة قالها شوقى في مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية على إنفاذ الدستور برئاسة سعد زغلول سنة ١٩٢٦م والشاعر يشبه انهيار الاستبداد حول عرصات المؤتمر بانهيار الشرك حول مكة المكرمة، فى الانتهاء والزوال، والطرفان عقليان.

ومنه قول المتنبى :

---

(١) صلاح : اسم من أسماء مكة شرفها الله تعالى : لسان العرب : مادة : صلح.

رضوا بك كالرضا بالشيب قسرا ... وقد وخط النواصى والفروعا

يصف خضوع الأعداء لممدوحه «على بن إبراهيم التنوخى» فيقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه[١] والتشبيه طرفاه عقليان.

(٣) تشبيه معقول بمحسوس : كقولك : حجة كالشمس، ورأى كفلق الصبح، وخلق كالعطر. ومنه قوله تعالى :(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)[٢] شبهت أعمال الكافرين بالسراب يحسبه الظمآن ماء فيجهد نفسه فى الوصول إليه فلا يجد شيئاً، ووجه الشبه : البداية المطمعة والنهاية المؤيسة، وأعمال الكافرين أمر عقلى، والسراب أمر حسى. وقد بين التشبيه بوار أعمال الكافرين وعدم حصولهم على فائدة منها فى وقت هم فى أمس الحاجة إلى ذلك. والتعبير بالظمآن يشعر بشدة الحرص على طلب الماء، وتعلق القلب به، ومن هنا فخسارته بعدم وجدانه أشد وأتم، وخيبته أكبر وأظهر، وكذلك حال الكافر يوم القيامة. وقوله تعالى :(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح)[٣] شبهت حال الدنيا فى إقبالها وازدهارها ثم زوالها وفنائها بحال الماء ينزل من السماء على الأرض فينبت الزرع الذى ينمو ويزهر ويؤتى ثماره، ثم سرعان ما يصبح حطبا جافا، يتطاير مع الرياح، والمشبه عقلى والمشبه به حسى، والتشبيه يصور حال الدنيا

---

(١) شرح ديوان المتنبى ٢/٣٦٥.

(٢) النور : ٣٩.

(٣) الكهف : ٤٥.

تصويرا دقيقا، ويقرر أنها فانية وأن إقبالها يعقبه زوال، فلاينبغى الركون إليها، ولا التعويل عليها.

ومن هذا قوله صلي الله عليه وسلم :«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»[١] وفى الحديث تشبيهان: الأول : تشبيه الحسد فى ذهابه بحسنات صاحبه بالنار التى تأكل الحطب، والثانى : تشبيه الصدقة فى محوها الخطيئة بالماء في إطفائه النار، والمشبه فى كل من التشبيهين عقلى والمشبه به حسى. ووجه الشبه في كل منهما هيئة شئ يأتى على شئ آخر فيفنيه ويمحو أثره، والتعبير فى جانب الحسنات بالأكل يشير إلى ما فيها من فوائد وعوائد يقتنصها الحسد، ويهجم عليها هجوم الآكلين، والتعبير فى جانب الخطيئة بالإطفاء يشير إلى لهيب الخطيئة وحرها، فهى نار يشعلها مرتكبها والصدقة تطفؤها.

ومنه قول البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

شبه النفس بالطفل فى نشأة كل منهما على ما عود عليه، والنفس معقولة، والطفل محسوس، ومنه قول شوقى :

الحق سهم لا ترشه بباطل ما كان سهم المبطلين سديدا[٢]

شبه الحق بالسهم فى النفاذ إلى الغرض بقوة، وهو تشبيه معقول بمحسوس.

---

(١) الجامع الصغير : ١٥١/١.

(٢) راش : السهم : ألصق عليه الريش حتى يكون أكثرنفاذاً.

ومنه قوله فى قصيدة يتشوق فيها إلى الوطن وذكرياته وهو فى منفاه فى أسبانيا:

سقيا لعهد كأكناف الربى رفة ... أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا

إذ الزمان بنا غيناء زاهيـــة ... ترف أوقاتنا فيها رياحينـــا[١]

يتذكر العهد الذى عاشه فى وطنه ويدعو له بالسقيا، ويشبه هذا العهد فى ازدهاره ونضرته بأحضان الروابى، وفى رقته ولينه بأعطاف النسيم، وفى البيت الثانى يشبه زمانه بجنة ذات أشجار كثيفة ملتفة زاهية بالخضرة والزهور والرياحين، والعهد والزمان عقليان، والربى، والصبا، والغيناء من المحسوسات. والصور التشبيهية في البيتين ترسم لنا جمال العهد الذى يتذكره شوقى ويحن إليه. وكأننا نعيش فيه تحوطنا الروابى الناضرة ويحنو علينا النسيم المعطر بالرياحين والورود.

(٤) تشبيه محسوس بمعقول : وهو خلاف الأصل، لأن المحسوس أصل للمعقول، والمحسوسات أظهر وأوضح وأقرب فى الادراك من المعقولات[٢]، وهذا يقتضى أن يكون المحسوس مشبها به لأنه الأصل، ويكون المعقول مشبها لأنه فرع منه، ولكن المبدعين يخالفون هذا فيشبهون المحسوس بالمعقول مراعاة لمقامات الكلام، وتحقيقا لأغراضهم ومقاصدهم.

من هذا قولك : وجه مشرق كالحقيقة، وسيف باتر كعزيمة الشجاع، فشبهت الوجه، وهو حسى، بالحقيقة وهى عقلية، ووجه الشبه الإشراق

---

(١) العهد : الزمن، أكناف الربى : أحضان الروابى : الرفة : النضرة، الغيناء: الشجر المتلف الكثير.

(٢) انظر نهاية الإيجاز: ١٩٠.

والوضوح، كما شبهت السيف وهو حسى بالعزيمة وهى عقلية ووجه الشبه القطع والحسم.

ومنه هذا قول أبى تمام :

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه ما يفعله الممدوح من إهلاك المال وقتل الأعداء بتأثير الصبابة فى المحب المغرم، والمشبه حسى والمشبه به عقلى، ومن هذا قول سلم الخاسر:

فأنت كالدهر مبثوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب

شبه الممدوح بالدهر فى شمول سلطانه، وامتداد تأثيره، والمشبه محسوس والمشبه به معقول.

ومنه قول حافظ إبراهيم من قصيدة يصف فيها رحلته إلى إيطاليا :

وكأن الأمواج وهى توالى محنقات، أشجان نفس تثور

شبه الأمواج الهائجة بالأشجان الثائرة فى شدة، الاضطراب والتقلب، والمشبه حسى والمشبه به عقلى.

ومن مشهور أمثلته عند البلاغيين قول أبى طالب الرقى :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فقد شبه الظلام المحسوس بشيئين : يوم الفراق، وفؤاد من لم يعشق، وهما عقليان، ومعلوم أن يوم الفراق يوم هموم وغموم وأحزان، والشعراء يتخيلون أن قلب غير العاشق قاس مظلم، لذا جعل الشاعر يوم النوى، وفؤاد من لم يعشق أصلين فى السواد وشبه الظلام بهما.

وقول القاضى التنوخى :

فانهض بنار إلى فحم كأنهما فى العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

شبه النار وهى تسرى في الفحم بالظلم يتسلل إلى الإنصاف، والمشبه حسى والمشبه به عقلى.

ويدخل فى هذا النوع قوله تعالى :فى شجرة الزقوم : (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رءوس الشياطين) [١] شبهت الآية طلع شجرة الزقوم برءوس الشياطين، فى القبح والبشاعة، والمشبه حسى والمشبه به عقلى. وهذا التشبيه جار على سنة العرب فى أساليبها، فهم وإن كانوا لم يروا الشياطين إلا أن ما وقر فى نفوسهم أن الشياطين منظرها مرعب مخيف وشرها فظيع مستطير، فجرى التشبيه على ما وقر فى النفوس، وبذلك بلغ الغاية في التخويف من هذه الشجرة، وإظهار فظاعتها وبشاعتها.

ثانياً : التشبيه باعتبار إفراد الطرفين وتركيبهما :

المراد بالمفرد عند البلاغيين : ما كان شيئا واحدا متميزا بذاته وليس هيئة مركبة من أجزاء، كالعلم، والشجاعة، والشمس، والقمر، والجبال، والسفن، وموج البحر، ونجوم السماء، والروض، وغير ذلك، والمراد بالمركب : ما كان هيئة مؤلفة من شيئين أو عدة أشياء، امتزجت امتزاجا يجعلها فى حكم الشئ الواحد كصورة غبار المعركة والسيوف تلمع من خلاله، وصورة الليل المظلم الذى تتهاوى كواكبه، وصورة الشمس تختفى وتظهر من خلال السحب، وغير ذلك. [٢]

وطرفا التشبيه إما مفردان أو مركبان أو مختلفان، وعلى هذا قسم البلاغيون التشبيه باعتبار إفراد الطرفين وتركيبها أربعة أقسام :

---

(١) الصافات : ٦٤، ٦٥.

(٢) انظر الإفصاح : ٧٥، ٧٦.

(١) تشبيه مفرد بمفرد : كقولك : العلم نور، والعلماء كالنجوم ومنه قوله تعالى :(وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) [١] شبه الموج فى ارتفاعه بالجبال ، والطرفان مفردان. ومنه قوله تعالى : (يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن) [٢] شبهت السماء يوم القيامة بالمهل- وهو دردى الزيت- فى لونه وهيئته المتحللة، وشبهت الجبال بالعهن- وهو الصوف المصبوغ- في عدم تماسكه وتطاير أجزائه، والتشبيهان مفردان، وهما يبينان تبدل نظام الكون وتغير أحواله يوم القيامة، فالسماء تتفكك وتتحلل أجزاؤها بعد قوة وتماسك، والجبال تتفرق وتتطاير ذراتها بعد شدة وصلابة.

ومنه قوله تعالى :(ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا) [٣] شبهت الأرض في استوائها وتيسير سبل الحياة عليها بالمهاد، وهو الفراش الممهد الذي يجعل للصبى، وشبهت الجبال فى بروزها وإمساكها الأرض بالأوتاد، والطرفان فى كل تشبيه مفردان، والاستفهام للتقرير بالمنفى، أى : جعلنا الأرض مهادا.... وهو أبلغ من الخبر، لما فيه من حمل المخاطبين على الإقرار بنعم الله تعالى عليهم ليكون ذلك باعثا على شكر المنعم جلا وعلا.

ومنه قول أبى تمام من قصيدة فى مدح أبى سعيد الثغرى:

لهم نسب كالفجر، ما فيه مسلك

خفى ولا واد عنود ولا شعب

والعنود : المخالف المائل، شبه نسب هؤلاء القوم بالفجر فى الوضوح، فليس فيه اختلاف كما تختلف الأرض فيكون فيها المرتفع والمنخفض، والشعب والوادى. [٤]

---

(١) هود : ٤٢.

(٢) المعارج : ٨، ٩.

(٣) النبأ : ٦، ٧.

(٤) ديوان أبى تمام بشرح التبريزى: ١/ ١٨٥.

ومنه قول العباس بن الأحنف :

نعمة كالشمس لما طلعت ... بثت الأشراق في كل بلد

شبه النعمة بالشمس في عموم الانتشار، والطرفان مفردان، وقد اختار الشاعر الشمس لمناسبتها للنعمة في إحداث السرور والأنس وإبهاج النفوس، ولو شبهها بالليل لكان قد أخطأ، مع أن في الليل صفة العموم والانتشار، إلا أنه موحش ثقيل تعافه النفوس ولا ترغبه بخلاف النعمة والشمس[١].

والبلاغيون يقسمون المفرد إلى مطلق : وهو ما لم يقيد بشئ كالأمثلة السابقة، وإلي مقيد : وهو ما كان مرتبطا بوصف أو حال أو مفعول، أو إضافة أو جار ومجرور ونحو ذلك، مما لا يبلغ به حد التركيب ومن ذلك قولك : علم لا ينفع كدواء لا ينجع[٢]، فالطرفان مفردان مقيدان، حيث قيد العلم بعدم النفع، والدواء بعدم النجوع.

ومنه قوله تعالى في أصحاب الفيل : (فجعلهم كعصف مأكول)[٣]، فشبههم بالعصف المأكول، والعصف طعام البهائم، وقيد بالوصف «مأكول»، وقد يكون هذا كناية عن الروث الذى تخرجه البهائم[٤]، إذ العصف بعد أن يؤكل يصير كذلك، وعلى هذا المعنى يكون وجه الشبه: الفناء مع التحلل والفساد، وهذا ملائم لتحقير أصحاب الفيل، وبيان سوء مصيرهم حيث تحولوا إلى جثث متحللة منتنة.

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ٢٥٥.

(٢) نجع : ينجع نجوعا : إذا نفع وأفاد. اللسان مادة : نجع.

(٣) الفيل: ٥.

(٤) انظر حاشية الشهاب : ٣٩٩/٨.

ومنه قول القاضى التنوخى :

رضاك شباب لا يليه مشيب وسخطك داء ليس منه طبيب

شبه رضا الممدوح بالشباب الدائم الذى لا يعقبه مشيب، كما شبه سخطه بالداء الذي لا طب له، والمشبه فى التشبيهين مفرد مطلق والمشبه به مفرد مقيد بالوصف الذى أفاد الدوام والاستمرار.

ومن هذا قول كعب بن زهير:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول(١)

شبه سعاد يوم الرحيل بظبى أغن منكسر الطرف مكحول العينين، والطرفان مفردان مقيدان كما هو ظاهر، وإنما قيد وصفه له بيوم الرحيل لأن شوق المحبين يزداد فى هذا الوقت، ويكون كل منهم أجمل شئ في عين صاحبه، ومن ثم لم يجعلها ظبيا عاديا، ولكن جعلها ظبيا جمع صفات الحسن فى الظباء وخصها بذلك عن طريق قصر الموصوف على الصفة.

وأساس تقسيم المفرد إلى المطلق ومقيد حديث «الرازى» فى تقسيم المشابهة حيث قال : المشابهة إما أن تكون فى أمر واحد أو فى أمور كثيرة، فإن كان في أمر واحد فلا يخلو إما ألا يكون مقيدا بانتسابه إلى شئ، أو يكون مقيدا بذلك، ثم ذكر من القيود المفعول به، والحال، والجار والمجرور...

---

(١) البين : الفراق، الأغن : الذى فى صوته غنه، وهو صفة لمحذوف أى : ظبى أغن، غضيض الطرف : منكسر العين، ومكحول من الكحل بفتحتين : وهو الذى يعلو جفونه سواد من غير اكتحال. انظر شرح قصيدة بانت سعاد : ١٣-١٥.

ومثل للجار والمجرور بقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : هوكالراقم على الماء، فالشبه ليس بمنتزع من الرقم، بل منه على الماء...[١]

وكلام «الرازى» وان كان أصله فى الحديث عن وجه الشبه إلا أنه صرفه إلي طرفى التشبيه، وما يعقبهما من قيود باعتبار أن لها مدخلا فى وجه الشبه، والمشابهة لا تتم إلا بمراعاتها.

وتأثر «الخطيب» بكلام «الرازى»، فقسم تشبيه المفرد بالمفرد إلى ما كان طرفاه مقيدين، أو غير مقيدين، أو مختلفين، وعلى نهجه سار شراح التلخيص ومن تبعهم من البلاغيين[٢].

والذى نراه أن هذا التقسيم لا جدوى منه، وأن الذى نعتوه بالمقيد ينبغى أن يضم إلى المركب، لأن القيد له اعتبار فى التشبيه، ولا يتحقق وجه الشبه إلا به، والطرف المفرد مع القيد يكونان صورة مختلفة عن المفرد وحده، وهذه الصورة وإن كانت بسيطة فى بعض الأمثلة إلا أنها تكون قريبة من المركب ويمكن دخولها فيه.

وإذا تأملنا كثيرا من الأمثلة التى ساقها علماء البلاغة للمفرد المقيد نجدها ألصق بالمركب فقد مثلوا للمقيد بقول ابن الرومى :

إنى وتزيينى بمدحى معشرا كمعلق درا على خنزيـــر

وهو عندهم مقيد الطرفين، فالمشبه : المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرا، والمشبه به : من يعلق درا بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته، وهو : أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر[٣].

---

(١) نهاية الايجاز : ٢٠٢.

(٢) انظر الايضاح : ٤/ ٨٠، ٨٢، وشروح التلخيص : ٣/ ٤١٧-٤٢٠.

(٣) الايضاح : ٤/ ٨١.

كما مثلوا للمشبه به المقيد بقول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

فالمشبه الشمس، والمشبه به المرآة لا علي الاطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل.

والمتأمل فى البيتين يرى التركيب فيهما واضحا فالمشبه به فى البيت الأول صورة مكونة من المتكلم وهو يمدح قوما لا يستحقون، والمشبه به صورة من يعلق الدر فى أعناق الخنازير. وقد عده الشيخ عبد القاهر من التشبيه المركب[١] والمشبه فى البيت الثانى مفرد هو الشمس، والمشبه به مركب وهو صورة المرآة وهى تهتز فى كف الأشل، ومن ثم كان وجه الشبه فيه مركبا وهو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة وما يحصل بسبب ذلك من التموج والاضطراب[٢].

والبلاغيون الذين تابعوا الخطيب فى هذا التقسيم قد أجهدوا أنفسهم فى بيان الفرق بين المفرد المقيد والمركب، ومع هذا لم يتفقوا على حد فاصل بينهما، فأرجعوا الأمر فى النهاية إلى الذوق، وقد عبر «السعد» عن صعوبة الفرق بينهما بقوله : والفرق بين المركب والمفرد المقيد أحوج شئ إلى التأمل[٣]. وعلق «عبد الحكيم» على عبارته هذه بقوله : لتعسر التمييز بين المقيد والمركب، إذ القيود معتبرة فى الهيئة التى جعلت وجه الشبه، ولا حاكم فى تمييز أحدهما عن الآخر سوى سلامة الطبع وصفاء القريحة[٤].

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٠٠.

(٢) الايضاح : ٤/٥٨.

(٣) المطول : ٣٣٧.

(٤) حاشية عبد الحكيم : ٤٢٢.

وبناء على ما تقدم نرى أنه لا داعى لتقسيم المفرد إلى مطلق ومقيد وأن ما سموه مقيدا داخل فى المركب[١]، وأن الطرفين إما مفردان أو مركبان أو مختلفان.

(٢) تشبيه مركب بمركب : كقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)[٢] فالمشبه : حال اليهود الذين حفظوا التوراة، ولم ينتفعوا بما فيها، والمشبه به : حال الحمار يحمل كتب العلم النافعة ولا ينتفع بشئ منها، ووجه الشبه : حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب والمشقة، وظاهر أن كلا من الطرفين مركب من أجزاء تضامت وامتزجت وكونت صورة واحدة، ولو أننا حاولنا فصل أجزائها فشبهنا اليهود بالحمار، والتوارة بالأسفار، وحفظ اليهود للتوراة، بحمل الحمار للأسفار لشوهنا الصورة وأضعنا الغرض المقصود من التشبيه، وهو ذم اليهود بتحمل التعب والمشقه فى حفظ ما يتضمن المنافع العظيمة، والنعم الخطيرة، مع عدم الانتفاع بشئ منها[٣].

ومنه قوله تعالى :(يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ما له رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)[٤].

---

(١) انظر نظرات فى البيان : ٥٧.

(٢) الجمعة : ٥.

(٣) انظر أسرار البلاغة : ١٠١، ١٠٣.

(٤) البقرة : ٢٦٤.

وفي هذه الآية تشبيهان مركبان :

الأول : يمثل حال الذين يتصدقون بأموالهم، ثم يعقبون هذا التصدق بالمن والأذى فيبطلونه، بحال المنافق الذى ينفق ماله رياء وسمعة، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، والطرفان مركبان من جزئيات امتزجت فى صورة كلية تكشف عن بطلان العمل لما يشوبه من عدم إخلاص، والله تعالى لا يقبل من عبادة إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم.

والثانى: يمثل حال المشبه به فى التشبيه الأول، وهو المنافق المرائى فاسد العقيدة، فيصوره بصورة حجر صلد غطاه تراب، فيظنه الظان أرضا منبتة، فاذا أصابه وابل من المطر أذهب عنه التراب، فبقى صلدا منكشفا [1]، ظاهرا على حقيقته لا يتحقق من ورائه نماء ولا نفع، إن المنافق يخفى عقيدته الفاسدة، ويعمل الأعمال الصالحة رياء وشهرة، يستر بها فساد عقيدته، فإذا كان يوم القيامة انكشف حاله السئ وظهرت حقيقته المهينة، وضاع عمله وبطل سعيه، فلا يقدر على الانتفاع بشئ منه مع أنه كسبه، فما أحراه بهذه الصورة المشينة التى رسمتها الآية.

وفى الآية الكريمة نهى قوى عن إتباع الصدقة بالمن والأذى، وتحذير شديد من الوقوع فى هذا المسلك المهلك، حيث نودى المخاطبون بـ«يأيها» وفيها مزيد تنبيه وايقاظ لما يأتى، ونعتوا بالإيمان حملا لهم على الاستجابة، ونهوا صراحة عن إبطال الصدقات بالمن والأذى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)، وشبهوا عند فعل ذلك بالمنافق الذى تمكن منه النفاق، فهو، يشرك بالله شركا خفيا حين يرائي بعمله، بجانب كفره الصريح فهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وزيد فى بيان شناعة هذا المنافق وتفظيع شأنه بتمثيل حاله بالصفوان المستتر بالتراب-

---

(١) انظر البحر المحيط : ٣٠٩/٢.

فأصابه وابل فانكشف أمره ولم يؤت خيرا، وفى هذا مزيد تحذير للمؤمنين من أبطال صدقاتهم بالمن والأذي، وختمت الآية ببيان هوان المنافقين وخسرانهم وعدم قدرتهم على الانتفاع بشئ من كسبهم وعملهم (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) وجاء التذييل مبينا عدم هداية الله للكافرين ليشير إلى أن الرياء والمن والأذى من صفات الكافرين، فعلى المؤمنين أن يحذروا من مقاربة هذه الصفات حتى لا تفسد عقيدتهم، ويضيع إيمانهم.

وفى مقابل هذه الصورة المشينة للذين يمنون بصدقاتهم ويراءون الناس بإنفاقهم، تعرض عقبها صورة جميلة للذين ينفقون أموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) [١] والتشبيه فى الآية مركب الطرفين، حيث شبه حال الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله تعالى، وتيقنا من أنفسهم بأنها مؤمنة بذلك مطمئنة إليه، بحال بستان عظيم بربوة عالية لا يجف عنه الماء، يصيبه المطر الغزير فينتج محصولا مضاعفا، ويوافيه المطر الخفيف فيجود بالخير، فهو منتج على كل حال.

وضاعف من جمال الصورة وحسنها أن البستان في ربوة، فهو يشرف على الناظرين من مكان عال، ومصون عما يشوب البساتين المنخفضة من تلوث وعبث، ويتطلع إليه الناس إعجابا وهو دائم الجود والخير، منتج فى جميع الأحوال، إذا أصابه وابل كثيف، أو أصابه طل خفيف.

وكذلك المنفق فى سبيل الله، فهو فى منزلة عالية، مصون عن الصفات الذميمة يرقبه الناس إجلالا وإعظاما، وانفاقه فى سبيل الله لا ينقطع، زاد ماله أو نقص، وجزاء هذا الإنفاق مضاعف وثوابه عظيم عند الله تعالى.

---

(١) البقرة: ٢٦٥.

ومما هو مركب الطرفين قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فالمشبه : هيئة غبار المعركة فوق الرءوس والسيوف تبرق وتتهاوى خلاله، والمشبه به : هيئة الليل الذى تتهاوى كواكبه، ووجه الشبه : هيئة أجرام مستطيلة مشرقة تتهاوى فى جوانب شئ مظلم، والأركان الثلاثة عبارة عن صورة مركبة من أجزاء تضامت وتآلفت على هذا النسق البديع.

ومنه قول الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

شبه من يلجأ إلى عمرو عند الكربات، بمن يحتمى من الأرض التى أسخنتها حرارة الشمس بالنار، فى الانتقال من سئ إلي أسوأ والمراد «بعمرو» هنا هو جساس بن مرة البكرى، يقال انه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبى، وقف على رأسه، فقال له كليب يا عمرو: أغثنى بشربة ماء، فأجهز عليه وأتم قتله.

ومنه قول المتنبى :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

فشبه سيف الدولة وهو فى قلب الجيش، والجيش حوله يضطرب ويتحرك استعدادا للمسير بعقاب تهز جناحيها وتحركهما استعدادا للطيران.

ومنه قول أبى طالب الرقى :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فشبه هيئة النجوم المتلألئة فى زرقة السماء، بهيئة الدرر المنثورة على بساط أزرق، ووجه الشبه: هيئة أجرام مستديرة مشرقة متفرقة على صفحة زرقاء.

---

(١) البقرة : ٢٦٥.

ويميز البلاغيون فى المركب بين نوعين :

أحدهما: ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر، كقول ابن المعتز :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

والطرف بكسر الطاء وسكون الراء : الفرس الكريم، الأشهب: الأبيض، والجلال: بكسر الجيم جمع «جل» بضمها، وهو ما يوضع على جسم الفرس ليصونه ويحميه. ومراده تشبيه هيئة الصبح فى أول ظهوره مجتمعا مع الليل، بالفرس الأشهب الذى أزيح الجلال عن ظهره حتى تكشف أكثر جسده، ووجه الشبه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد. وهذا التشبيه لا يجوز فصل، أجزائه وتشبيه كل منها بما يقابله، لأن «الجلال» فيه فى مقابلة الليل «ولو شبه الليل بالجلال لم يكن شيئا»[(١)].

ثانيهما: ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر، كما فى بيت بشار السابق، حيث يمكن تشبيه الغبار بالليل، والسيوف المتحركة بالكواكب المتهاوية، وكما فى بيت أبى طالب الرقى، إذ يمكن أن تشبه النجوم بالدرر. والسماء بالبساط الأزرق، إلا أنه مع إمكان تفريق التشبيه وفصل أجزائه فإن التشبيه يضعف وتقل قيمته، ويضيع المراد منه، فبشار يقصد أن يرينا هيئة النقع المظلم، والسيوف فى أثنائه تبرق وتومض، وتعلو وتنخفض، وتضطرب وتتحرك في جهات مختلفة، فأظهرها فى هيئة الليل المدلهم، والكواكب اللامعة فى جوانبه، تتحرك وتتداخل وتتهاوى وتفريق التشبيه لا يؤدى هذه الصورة الفنية البديعة[(٢)].

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٧٠، ١٩٣. والإيضاح : ٤/٨٥.

(٢) انظر أسرار البلاغة : ١٩٤.

وأبو طالب الرقى يريد أن يرينا الهيئة التى تملأ النواظر عجبا، وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى، من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة فى أديم السماء وهى زرقاء صافية تخدع العين بزرقتها، والنجوم تتلألأ وتبرق فى أثناء تلك الزرقة، ومن لك بهذه الصورة إذا فرقت التشبيه، وأزلت عنه الجمع والتركيب[1]؟ إن فصل أجزاء الصورة المركبة يذهب بها، ويضيع قيمتها، ويحيلها إلى تشبيهات ممزقة، قليلة الجدوى، ضعيفة الأثر.

(٣) تشبيه مفرد بمركب:

ومنه قول الخنساء :

وإن صخرا لتأتم الهداة بـه كأنه علم فى رأسه نـار

فالمشبه صخر وهو مفرد، والمشبه به جبل فوق قمته نار، وهو مركب ومنه قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقـه قلم أصاب من الدواة مدادها

فالمشبه طرف قرن الظبى وهو مفرد، والمشبه به قلم غمس فى الدواة فعلق به المداد وهو مركب.

(٤) تشبيه مركب بمفرد : وهو لون نادر الوجود فى الشعر لصعوبة تمثيل الصورة المركبة بشئ مفرد، وله شاهد يتيم فى كتب البلاغة هو قول أبى تمام

يا صاحبى تقصيا نظريكمـا تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابـه زهر الربا فكأنما هـو مقمـر

---

(١) أسرار البلاغة : ١٩٣.

ففى البيت الثانى شبه هيئة النهار المشرق الذى خالطته زهور الربا فتضاءل ضوءه ونقص بليل مقمر، والمشبه مركب، والمشبه به مفرد مقيد، على أن التمثيل بهذا لتشبيه المركب بالمفرد لا يخلو عن تسامح، لأن قوله «مقمر» بتقدير «ليل مقمر» ففى المشبه به شائبه تركيب[1]. ولو حكمناعليه طبقا لما ذهبنا إليه من دخول المقيد فى المركب لخرج المثال عما نحن فيه وانضم إلى تشبيه المركب بالمركب.

ومن هذا اللون أن نقول : القائد وجنوده في ساحة الهيجاء كالأسود. فالمشبه هيئة القائد والجنود في ساحة المعركة، وهو مركب، والمشبه به : الأسود وهو مفرد. ومنه قول شوقى :

شهد الحياة مشوبة بالرق مثل الحنظل

فالمشبه هيئة مركبة من شُهد الحياة ونعيمها بمصاحبة الذل والرق، والمشبه به مفرد هو الحنظل.

ثالثاً: التشبيه باعتبار وحدة الطرفين وتعددهما :

يراد بوحدة الطرف: أن يكون شيئا واحدا سواء أكان مفردا أم مركباً، ويراد بتعدد الطرف: أن يكون مكونا من شيئين منفصلين أو أشياء منفصلة، كل منها قائم بنفسه ليس ممتزجا بالآخر، ولا مركبا معه فى هيئة.

ففى قولك : عزيمة كالسيف كل من الطرفين شئ واحد، وفى قولك : العلم والجهل كالحياة والموت، الطرفان متعددان، فالمشبه : العلم والجهل، وهما شيئان منفصلان لم يمتزجا فى هيئة مركبة، والمشبه به : الحياة والموت، وهما شيئان منفصلان كل منهما قائم بنفسه لم يمتزج بالآخر، فأنت أمام تشبيهين

---

(١) حاشية الدسوقى (ضمن الشروح): ٤٢٥/٣.

منفصلين هما : العلم كالحياة، والجهل كالموت، ولكنك جمعتهما بالعطف في سياق واحد.

ومن هذا تستطيع أن تفرق بين الأفراد والتركيب من ناحية والوحدة والتعدد من ناحية أخرى، فالأفراد والتركيب ينظر فيهما إلى الهيئة والكيف، بينما الوحدة والتعدد ينظر فيهما إلى العدد والكم.

والتشبيه باعتبار وحدة الطرفين وتعددهما على أربعة أقسام : الملفوف والمفروق، والتسويه، والجمع.

(١) التشبيه الملفوف : وهو ما تعدد طرفاه، وكانت المشبهات مجتمعه في ناحية، والمشبهات بها في ناحية أخرى، كقولك : الحق والباطل كالنور والظلام، الفتاة وأختها كالشمس والقمر.

ومنه قوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) [١] شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع [٢]، والمشبه متعدد، فهو مكون من فريق الكافرين وفريق المؤمنين، والمشبه به متعدد كذلك، وهو من التشبيه الملفوف.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...) [٣] فالمشبه متعدد من الجليس الصالح والجليس السوء، والمشبه به متعدد من حامل المسك ونافخ الكير، والمشبهان في ناحية والمشبهان بهما في ناحية أخرى فهو من التشبيه الملفوف، وظاهر لك أن كل جزء من أجزاء الطرفين مستقل بذاته لم يمتزج مع الآخر في هيئة مركبة فنحن

---

(١) هود : ٢٤.

(٢) الكشاف : ٢/٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم : ٥/٤٨٤.

أمام تشبيهين منفردين وإن جمع بينهما بحرف العطف. وهذا يؤكد لك الفرق بين المركب والمتعدد، فالمركب أجزاؤه تضامت وامتزجت وتكونت منها هيئة واحدة لا تنفصل أجزاؤها، والمتعدد أجزاؤه مستقله بذاتها منفصلة عن بعضها وإن جمعها سياق واحد.

ومن شواهد هذا اللون عند البلاغيين قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالى

فشبه القلوب الرطبة، والقلوب اليابسة، بالعناب، والحشف البالى، جامعا المشبهين في طرف والمشبهين بهما فى الطرف الآخر، فهو تشبيه ملفوف، والتعدد فيه ظاهر، لأن الشاعر لم يقصد أن يجعل بين كل من الشيئين اتصالا، وانما أراد اجتماعا فى مكان فقط، ولو فرقت التشبيه فقلت : كأن الرطب من القلوب عناب، وكأن اليابس حشف بال، لم تر أحد التشبيهين موقوفا فى الفائدة على الآخر، وليس كذلك الحكم فى المركب[1]. كما سبق أن أوضحنا لك.

(٢) التشبيه المفروق : هو ما تعدد فيه كل من المشبه والمشبه به، وكان كل مشبه مقترنا في الذكر بالمشبه به الذى يخصه، كقول امرئ القيس فى وصف الفرس :

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان، وتقريب تتفل

والأيطل : الخاصرة، والإرخاء : ضرب من عدو الذئب، والسرحان : الذئب، والتقريب: وضع الرجلين موضع اليدين فى العدو، والتتفل الثعلب :

---

(١) أسرار البلاغة : ١٩٢.

شبه خاصرة الفرس بخاصرة الظبى في الضمور والنحافة، وساقية بساقى النعامة في الصلابة والخفة، وإرخاءه بإرخاء الذنب فى السرعة مع اللين، وتقريبه بتقريب الثعلب في السرعة الخفيفة مع الاهتزاز فجمع بين أربعة تشبيهات متوالية، وهذا اللون من المتعدد يسمى مفروقا لقيام كل تشبيه منه بنفسه وعدم اختلاطه بغيره.

ومنه قول المتنبى :

بدت قمرا، ومالت خوط بان وفاحت عنبرا، ورنت غزالا

شبهها بالقمر فى الحسن، وبغصن البان فى التثنى، وبالعنبر فى طيب الرائحة، وبالغزال فى جمال العينين. فجمع بين أربعة تشبيهات، مع الايجاز ، ودقة الصباغة والسلاسة. ومثله قول أبى القاسم الزاهى :

سفرن بدورا، وانتقبن أهلة ومسن غصونا، والتفتن جآذرا

فشبههن حال السفور بالبدور، وحال الانتقاب بالأهلة، وعند التمايل بالغصون وعند الالتفات بالظباء.

ومنه قول شوقى يصف خطب مصطفى كامل :

لك الخطب التى غص الأعادى بسورتها، وساغت للندامى
فكانت فى مرارتها زئيـــرا وكانت في حلاوتها بغامـا

وغص بالشئ : اعترض فى حلقه فمنعه التنفس، والسورة : الحدة، والشدة، والندامى : الأصدقاء، والبغام : صوت الظبى، إن خطب الزعيم مصطفى كامل كانت تغضب الأعادى وتقف فى حلوقهم وشديدة عليهم كزئير الأسود ، بينما كانت سائغة لذيذة لدى إخوانه ومواطنيه، يستمعون إليها فى سرور كأنها صوت جميل، والتشبيه المفروق فى البيت الثانى، حيث شبه الخطب في شدتها ومرارتها بالزئير، وشبهها فى حلاوتها بصوت الظبى.

ومنه قوله شوقي يصف العرب الأوائل الذين نشروا الإسلام وأقاموا الحضارة :

كالرسل عزما، والملائك رحمة والأسد بأسا، والغيوث نوالا

فشبههم بالرسل في العزم، والملائكة في الرحمة، والأسود في البأس، والغيث في العطاء.

(٣) تشبيه التسوية : وهو ما يتعدد فيه المشبه دون المشبه به. وسمي بذلك لأن المتكلم يسوي بين عدة مشبهات في مشبه به واحد، ومثاله أن تقول : العلم والإيمان كالنور، أو تقول : الجهل والضلال كالظلام فتجمع بين العلم والإيمان في مشبه به واحد هو النور، وتسوي بين الجهل والضلال في مشبه به واحد هو الظلام. ومن هذا قول ابن الرومي.

آراؤكم، ووجوهكم، وسيوفكم

في الحادثات إذا دجون- نجوم

شبه آراء الممدوحين ووجوههم وسيوفهم بالنجوم، فسوى بين الأشياء الثلاثة في وصف واحد.

(٤) تشبيه الجمع : وهو ما يتعدد فيه المشبه به دون المشبه فيكون الشئ الواحد مشبها بأكثر من مشبه به. ومنه قول تعالى : (كأنهن الياقوت والمرجان)[١] فالمشبه نساء الجنة، والمشبه به شيئان: الياقوت والمرجان. شبهن

---

(١) الرحمن : ٥٨.

بالياقوت فى حمرة الوجنة، وبالمرجان في بياض البشرة وصفائها، والمرجان صغار اللؤلؤ ويكون أنصع لونا وبياضا من كباره[١].

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٢] فشبه الدنيا بشيئين: السجن والجنة، فهى سجن فى جانب المؤمن لأنه مقيد فيها بشرع الله تعالى وملتزم بأوامره ونواهيه، وهى جنة فى جانب الكافر لأنه يسرح فيهما ويمرح، ويفعل ما يهوي، غير مبال بالحل والحرمة.

ومنه قول كعب بن زهير :

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

فشبه رسول الله صلي الله عليه وسلم بالنور فى الهداية، وبالسيف المشهور فى القوة والقضاء على الباطل.

ومنه قول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

يريد أنه يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، وكحبات الثلج الخالص البياض، كزهر الأقحوان فى شدة بياضه[٣]. فالمشبه الثغر وهو شئ واحد، والمشبه به ثلاثة أشياء، وهذا اللون من المتعدد يسمى تشبيه الجمع.

ويظهر لك من أمثلة المتعدد فى أقسامه الأربعة أنه لا لبس بين المتعدد والمركب، فالمتعدد يشتمل على أكثر من تشبيه، كل منها يمكن أن يستقل بنفسه، وينفصل عما يجاوره، كما يمكن التصرف فيه بالتقديم والتأخير والزيادة والنقص، أما المركب فهو صورة واحدة مركبة من أجزاء ممتزجة ومتحدة،

---

(١) انظر الكشاف : ٤/٤٩ وحاشية الشهاب : ٨/١٣٨.

(٢) رياض الصالحين : ٢٢٧.

(٣) الإفصاح : ٨٤.

لا ينفصل أحدها عن الآخر ولا يتغير من موضعه، ولو فصلت أحد أجزاء الصورة أو غيرته عن موضعه لاختلت الصورة، وضاع المقصود.

والتشبيهات المتعددة وإن لم تكن فى مرتبة التشبيهات المركبة التى تبرز سعة الخيال، وقوة التصوير، فإنها تكتسب الحسن وتستحق الفضيلة، من جهة ما فيها من إيجاز فى اللفظ، وحسن التنسيق، والجمع بين التشبيهات المتجانسة فى تعبير واحد[١].

مبحث وجه الشبه:

وجه الشبه هو المعنى المشترك بين طرفى التشبيه، وغالبا ما يكون وصفا بارزاً فى المشبه به، كالوضوح فى تشبيه الحجة بالشمس، والهداية فى تشبيه العلم بالنور.

وقد يشترك المشبه والمشبه به فى أكثر من صفة، ولكن المتكلم يقصد إلى وصف معين يريد عقد رابطة فيه بين المشبه والمشبه به ومن ثم يختلف وجه الشبه تبعاً للغرض المقصود. فقد يشبه الممدوح بالبدر فى الحسن، وقد يشبه به في العلو والتسامى، وقد يشبه به فى قلة الظهور وقد يشبه به فى القرب من المحتاجين والبعد عن النظير، وغير ذلك، والعبرة بما يقصده المتكلم، ويبدو من الكلام ومقاماته.

لذا كان على مبتغى التشبيه أن يحدد الصفة التى يريد بيانها في المشبه، ثم ينتقى شيئا تبرز فيه هذه الصفة، فيجعله مشبها به، مع مراعاة الأحوال، وملاحظة التناسب، حتى لا يكون كلامه عرضه للذم والعيب. فإذا أراد مثلا أن يصف رجلا بالشجاعة والقوة شبهه بالأسد، فهو الذى تظهر فيه

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٩٤، والإفصاح : ٨٥.

هذه الصفة، ولا يشبهه بالحمار لعدم وضوح هذه الصفة فيه، وإلا كان كلامه معيبا كما عابوا قول القائل :

بل لو رأتنى أخت جيراننا إذ أنا فى الدار كأنى حمـــار

فشبه نفسه بالحمار فى القوه والصحة وهى صفة لم تبرز فيه، فكان تشبيهاً معيباً[١]، وإنما يكون التشبيه بالحمار حسنا إذا كان المراد الوصف بالبلادة، لأنه معروف بهذه الصفة.

ولا يكفى وجود الصفة في المشبه به ليتم اختياره، بل لابد من مراعاة الأحوال وملاحظة التلاؤم كما أشرنا، فإذا أراد مثلا أن يصف النعمة بالعموم والانتشار شبهها بالشمس، لوجود صفة الانتشار فيه من ناحية ولمناسبتها للنعمة في إبهاج النفس وإدخال السرور عليها من ناحية أخرى ولهذا قال العباس ابن الأحنف :

نعمة كالشمس لما طلعت بثت الإشراق فى كل بلـــد

ولا يشبه النعمة بالليل، مع وجود صفة الانتشار فيه، لارتباطه بالظلمة والوحشة والثقل، فهو غير مناسب للنعمة[٢].

ولما كان وجه الشبه صفة مشتركة بين الطرفين كان عدم وجوده فى واحد منهما مفسدا للتشبيه، وعلى هذا عاب ابن رشيق قول ابن شرف:

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكأننى سبابة المتنـــدم

إذ يروى أن ابن شرف أنشده البيت وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق: سمعته، وأخذته أنت وأفسدته أما الأخذ فمن النابغة الذبيانى حيث يقول :

---

(١) انظرالكامل : ٣/٦٥.

(٢) انظر : أسرار البلاغة : ٢٥٥.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع
لكلفتنى ذنب امرئ وتركته ... كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وأما الإفساد، فلأن سبابة المتندم أول شئ يتألم منه، فلا يكون المعاقب غير الجانى، هذا بخلاف بيت النابغة، فإن المكوى من الإبل يألم وما به عر البتة، وصاحب العر لا يألم جملة[1].

فابن رشيق عاب بيت صاحبه من وجهين : الأول : أن المعنى مأخوذ من قول النابغة الذبيانى، والثاني : أن التشبيه فاسد لأن وجه الشبه وهو : ترك الجانى ومعاقبة البرئ، موجود فى المشبه دون المشبه به، لأن السبابة جزء من صاحبها المتندم، فاذا عوقبت بالعض عليها فإن صاحبها يتألم ويتأذى فلا يكون المعاقب غير الجانى، أما تشبيه النابغة فصحيح، لأن وجه الشبه موجود فى الطرفين إذ يعاقب البرئ ويترك الجانى سليما، والمعاقب غير الجانى فى كل من الطرفين.

وللسبكى نظر فى نقد ابن رشيق، لأن سبابة المتندم قد لا تكون جانية، بأن يكون الندم وقع على فعل قلبى، أو فعل عضو آخر، وإنما اتصال الأعضاء وجعلها كالشئ الواحد سهل ذلك[2]. وهذا نظر ضعيف لأن ابن رشيق لم يقل إن السبابة جانية وإنما بين أنها جزء من صاحبها الجانى، فإذا عوقبت فهو متأثر بالعقاب، فكأنه عوقب.

ويمكن الدفاع عن ابن شرف من ناحية أن المراد مطلق مغايرة بين الجانى والمعاقب، ولاشك أن السبابة شئ والمتندم شئ آخر مغاير لها، ومن هذه الناحية يكون المعاقب غير الجانى.

---

(١) الإيضاح : ٤/٣٧، والسبابة إصبع معروف جرت العادة أن يعضه النادم، والعر : الجرب.

(٢) عروس الأفراح : ٣/ ٣٣٠.

وينبغى التدقيق فى استنباط وجه الشبه، وانتقائه وصفا مشتركا بين الطرفين، ملائما لكل منهما، فإن كان التشبيه صحيحا وتم استخرج وجه مناسب لطرف دون آخر، فهذا الوجه فاسد ويلزم معاودة التأمل لانتزاع وجه يلائم الطرفين.

ففى قول القائل : النحو في الكلام كالملح فى الطعام، إن جعلت وجه الشبه : كون القليل مصلحا والكثير مفسدا، كان وجها فاسداً، لأن هذا الوجه لا يصح إلا فى جانب المشبه به وهو الملح والطعام، ولا يصح فى جانب المشبه وهو النحو والكلام، لأن حقيقة النحو أن يجرى الكلام وفق قواعد اللغة دون ترك شئ منها أو إهماله، فإذا جاء الكلام وفق هذه القواعد كان صحيحاً، وإن خالف شيئا منها كان فاسداً، وعلي هذا يكون وجه الشبه الصحيح: كون الاستعمال مصلحا والإهمال مفسدا، لأنه وجه يجمع كلا من الطرفين(١).

أولاً : وجه الشبه باعتبار وجوده فى الطرفين :

ينقسم الوجه بهذا الاعتبار قسمين : تحقيقى وتخييلى.

فالتحقيقى : ما كان وجه الشبه قائما بالطرفين حقيقة، كقولك جواد كالريح في السرعة، وثغر كاللؤلؤ فى الصفاء، فالسرعة موجودة فى الجواد والريح على الحقيقة، والصفاء موجود فى الثغر واللؤلؤ على الحقيقة. ومن هذا قوله تعالى :(وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) (٢) شبه الموج بالجبال فى الارتفاع، وهذه الصفة موجودة على الحقيقة فى كل من الطرفين.

والتخييلى: ما كان الوجه قائما بالطرفين أو بأحدهما على سبيل التخييل لا الحقيقة. كقولك : ألفاظه كالنسيم رقة، وكالماء سلاسة وكالعسل

---

(١) انظر مفتاح العلوم : ٣٤٠، والإيضاح : ٣٧/٤.

(٢) هود : ٤٢.

حلاوة. فكل من الرقة والسلاسة والحلاوة وجه شبه، وهو موجود على الحقيقة في المشبه به، ولكن وجوده في المشبه على سبيل التخييل. لأن الألفاظ لا توصف بالرقة أو السلاسة أو الحلاوة إلا على سبيل التخييل.

ومنه قول القاضى التنوخى :

وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع

شبه انتشار النجوم فى صفحة السماء، وقد تخللتها قطع من سواد الليل بالسنن الواضحة، والأحكام الشرعية الثابتة، وقد اندست بينها مبتدعات ينسبها أهلها جهلا إلي الدين وليست منه[١].

ووجه الشبه هيئة أشياء بيضاء مشرقة فى جوانب شئ مظلم، وهذه الصورة موجودة في المشبه حقيقة، وموجودة فى المشبه به تخييلا، لأن السنن والبدع أمور عقلية لا لون لها، ولكن لما شاع وصف السنة بالبياض والإشراق، كما قال صلى الله عليه وسلم «أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها» وشاع وصف الضلال والشبه والبدع بالظلمة، فقيل : سواد الكفر، وظلمة الضلال والجهل، تخيل الشاعر أن السنة بيضاء منيرة، وأن البدعة سوداء مظلمة وأجرى التشبيه على هذا التخيل[٢].

وإذا تأملت فى تشبيه التنوخى وجدت أنه فى جانب المشبه جعل النجوم تظهر بين الدجى، فهى اللائحة فى الظلمة، وكان المطابق لهذا فى المشبه به أن يجعل السنن هى اللائحة بين البدع فيقول : سنن لاحت بين الابتداع، لكنه عكس وأوقع القلب فى المشبه به، فجعل اللائح هو البدع، والسر فى ذلك الإيماء إلى كثرة السنن وقلة البدع حتى كأن البدع هى التى تلوح بينها[٣].

---

(١) الإفصاح : ٣٠.

(٢) انظر أسرار البلاغة : ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) انظر المطول : ٣١٥، ومواهب الفتاح : ٣/٣٢٢.

ومن هذا قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها ... وقد كحل الليل السماك فأبصرا

شبه الأرض بأخلاق الكريم فى السعة، وهذا الوصف متحقق فى المشبه، متخيل فى المشبه به، إذ الأخلاق لا توصف بالسعة والضيق حقيقة وإنما تخييلاً.

انتزاع وجه الشبه من التضاد[1]:

علمت أن وجه الشبه ينبغى أن يكون صفة مشتركة بين طرفي التشبيه تحقيقاً أو تخييلاً، وأن هذه الصفة المشتركة هى التى سوغت الجمع بين المشبه والمشبه به، وعلى أساسها ثم الربط بينهما.

وربما افتن بعض القائلين فى الأسلوب، فعقد رابطة تشبيهية بين طرفين فى صفتين متضادتين، فشبه الجبان بالشجاع، والبخيل بالكريم، والدميم بالحسن ونحو ذلك. فتقول لصديقك البخيل مازحا معه : سأتناول الغذاء فى بيتك فأنت حاتم، وتقول لضعيف يتحداك ساخرا منه : سأنازلك فأنت الأسد، وتقول للدميم متهكما به : طلعتك كالبدر.

وهذا اللون من الكلام ينبغى أن يكون في مقامات المفاكهة والتمليح والسخرية والتهكم ونحوها كما رأيت في الأمثلة- لتكون مندوحة لتنزيل التضاد القائم بين وصفي الطرفين منزلة التناسب، وينتزع وجه الشبه من هذا التناسب التنزيلى.

بيان ذلك : أن بين الجبان والأسد تضادا فى صفة كل منهما، فإذا أردت السخرية من الجبان أو التهكم به عن طريق التشبيه، نزلت التضاد الحاصل بين

---

(١) راجع هذا الموضوع فى شروح التلخيص : ٣/٣٨١، والإفصاح : ١١٩.

الجبن والشجاعة منزلة التناسب، فيصير الجبن بذلك شجاعة تنزيلا، ويصبح الجبان موصوفا بالشجاعة تنزيلا كما يتصف الأسد بها تحقيقاً، ويكون وجه الشبه هو الشجاعة، وإذا أردت ملاطفة صديقك البخيل عن طريق تشبيهه بالكريم، نزلت التضاد الحاصل بين البخل والكرم منزلة التناسب، فيصير بذلك البخل كرما تنزيلا، ويصبح الكرم وصفا مشتركا بين صديقك البخيل تنزيلا وحاتم تحقيقاً، ويكون وجه الشبه هو الكرم.

ولا يصح أن يقال : إن وجه الشبه هو التضاد، لأن التضاد لا يصلح وصفا جامعا بين الطرفين، لأنه لا يحقق الغرض من التشبيه وهو التلميح أو السخرية ونحو ذلك.

ثانياً: وجه الشبه باعتبار الإفراد والتركيب :

لوجه الشبه بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : مفرد، ومتعدد، ومركب.

(١) وجه الشبه المفرد: وهو ما كان شيئا واحدا، وقد يكون حسيا كالإشراق في تشبيه الوجه بالبدر، والسواد في تشبيه الشعر بالليل، والضخامة فى تشبيه السفن بالجبال فى قوله تعالى (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) [١]. وقد يكون عقليا، كالنفع في تشبيه العلم بالحياة، وعدم النفع في تشبيه الجهل بالموت، والتأثير فى تشبيه البيان بالسحر، والقسوة في تشبيه القلب بالحجارة فى قوله تعالى :(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) [٢].

وينبغى أن نلحظ أن الوجه الحسى لا ينتزع الا من طرفين حسيين كالأمثلة التى سقناها للوجه الحسى آنفا، وذلك لأن المعانى العقلية لا تقع

---

(١) الرحمن : ٢٤.

(٢) البقرة : ٧٤.

عليها الحواس، فلا يمكن أن تدرك فيها الحواس صفة محسوسة، لذا يستحيل استخراج وجه حسى من الطرف العقلي، أما وجه الشبه العقلى فيمكن أن ينتزع من طرفين عقليين كالنفع فى تشبيه العلم بالحياة، ويمكن انتزاعه من طرفين حسيين كالهداية فى تشبيه العلماء بالنجوم، ويمكن انتزاعه من طرفين مختلفين كالضرر فى تشبيه الغضب بالجمرة، وذلك لأن دائرة العقل أوسع فى مجال الإدراك فيمكن للعقل أن يدرك بعض المعانى العقلية فى المحسوسات ولذلك قالوا ان التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى[1] لأنه يأتى في المحسوس وغير المحسوس من الطرفين.

(٢) وجه الشبه المتعدد : وهو ما كان مكونا من شيئين أو أشياء كل منها مستقل بنفسه، صالح لأن يكون وجه شبه على حدة، ومكونات الوجه المتعدد، قد تكون حسيه، أو عقلية، أو بعضها حسى وبعضها عقلى، ومن أمثلته قولك : على كأبيه في الحلم والكرم، وكأخية في الطول والوسامة، ومن مشهور أمثلته فى كتب البلاغيين قول أبى بكر الخالدى :

يا شبيه البدر حسنـــا وضياء ومنـــــالا
وشبيه الغصن لينـــا وقواما واعتـــــدالا
أنت مثل الورد لونـــا ونسيما ومـــــلالا

فشبهه فى البيت الأول بالبدر فى الحسن، والضياء، والمنال، والأولان حسيان والثالث عقلى، وشبهه فى البيت الثانى بالغصن فى اللين، والقوام، والاعتدال وهى أمور حسية، وشبهه فى البيت الثالث بالورد فى اللون، والنسيم، والملال، والأولان، حسيان والثالث عقلى، والمراد بالملال قصر مدة الإقامة وسرعة المفارقة.

---

(١) انظر الإيضاح: ٤/٤٤. والإفصاح : ٤٠.

ومنه قول ابن الرومى :

كالبحر فى النفع والمضـــرة والحنكة لكـــن ربه غضبـــه

فشبهه بالبحر فى ثلاثة أشياء : النفع والمضرة والحنكة، وهى أمور عقلية، فوجه الشبه متعدد عقلى.

(٣) وجه الشبه المركب: وهو ما كان هيئة مؤلفة من شيئين أو أشياء امتزجت وكونت صورة واحدة لا تنفصل أجزاؤها، والتشبيه الذي وجه الشبه فيه مركب يسمى عند جمهور البلاغيين تشبيه التمثيل وسيأتى لهذا اللون من التشبيه مزيد تفصيل على حدة.

والوجه المركب قد يأتى منتزعا من طرفين مفردين، أو مركبين، أو مختلفين، وهو إما حسى وإما عقلى.

فمن المركب الحسى الذي طرفاه مفردان، قول ذي الرمة :

وسقط كعين الديك عاورت صاحبى أباها وهيأنا لموقعها وكرا

والسقط: الشرر الساقط من الزند، وهو مستدير أحمر له بريق، وعاورت: ناوبت، وأبوها : زندها، وكانوا إذا طال الوقت ولم تخرج النار تناوبوا الزند، والوكر : المكان المعد للنار بعد خروجها. شبه «ذو الرمة» سقط النار بعين الديك، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من اللون والشكل، والمقدار المخصوص، وهو مركب حسى، وقد انتزع من طرفين مفردين هما : السقط وعين الديك، ولا تعارض بين إفراد الطرفين وتركيب الوجه، لأنه نظر فى الطرفين إلى عدة أوصاف مشتركة دخلت فى وجه الشبه. والتشبيه يدل على دقة إحساس ذى الرمة حيث صور السقط بصورة مطابقة له تمام المطابقة من حيث الشكل واللون والصفاء والبريق، مع بعدها عن الأذهان، وقلة دورانها في الواقع والخيال.

ومنه قول أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نـورا

فـالطرفـان مـفـردان وهـمـا الثـريـا، وعنقـود الملاحـيـة - وهـو عنب فى حبـه طول، ويميل إلى البياض- ووجه الشبه: هيئة حاصلة من اقتران أجرام بيضاء مستديرة صغيرة، على كيفية مخصوصة[1]. وهو مـركب حـسى وانتـزع من طرفين مفردين لوحظ فيهما صفات خاصة ضمت إلي وجه الشبه.

ومن المركب الحسى الذى طرفاه مركبان قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجـوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامهـا

فـالمشبـه سهـيل والنجـوم وراءه في انتظام، والمشبـه به : صـفوف الصـلاة يتقدمها الإمام، وهمامركبانحسيان، ووجه الشبه : هيئة شئ يتقدم صفوفاً منتظمة، وهو مركب حسى.

ومنه قول أبى طالب الرقى:

وكأن أجرام النجوم لوامعـا درر نثرن علـى بسـاط أزرق

فوجه الشبه مركب حسى، وهو الهيئة الحاصلة من تفرق أجسام مشرقة صغيرة مستديرة على صفحة زرقاء، والطرفان مركبان كما سبق فى حديثنا عن الطرفين المركبين.

ومن المركب الحسى الذى طرفاه مختلفان قول الصنوبرى:

كلنـا باسط اليـد نحـو نيلوفـر نـدى
كدبابيس عسجـد قضبها مـن زبرجـد

والنيلوفر : نبات مائى أصله كالجزر وساقه أخضر ويورق ويزهر على سطح الماء، والدبابيس : جمع دبوس وهى عصا فى رأسها ما يشبـه الكـرة

---

(١) انظر الإيضاح: ٢/٤٨، ٤٩.

والعسجد: الذهب. والمشبه النيلوفر وهو مفرد والمشبه به مركب، ووجه الشبه: هيئة رءوس صفراء مبسوطة على قضب خضراء ملساء، وهو مركب حسى منتزع من مشبه مفرد ومشبه به مركب.

ومن المركب العقلى وجه الشبه فى قوله تعالى :(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) [١] وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه، والحديث عن التشبيه فى الآية مفصل في موضع سابق.

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [٢] فالمشبه : المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، والمشبه به : الجسد يتأثر سائره بتألم عضو فيه، ووجه الشبه : الاتحاد التام الذى يؤدى إلى إحساس الكل بإحساس الجزء، وهو مركب عقلى.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟...» [٣] والمشبه المولود يولد على الفطرة فيحوله أهله إلى الباطل، والمشبه به : البهيمة تولد كاملة فيجدعها أصحابها، ووجه الشبه : التدخل المؤدى إلى نقصان بعد كمال وهو مركب عقلى.

ومنه قول حافظ إبراهيم فى اللغة العربية بعد اختلاطها بالألفاظ واللكنة الأعجمية:

---

(١) الجمعة : ٥.

(٢) مسلم : ٤٤٧/٥.

(٣) البخارى : ٢٣٥/١.

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

شبه سريان اللهجات الأجنبية في اللغة العربية بسريان لعاب الأفاعى فى مسيل عذب، ووجه الشبه : سريان ضار فى نافع فأفسده، وهو جه عقلي، والشاعر هنا لا يعيب اللغات الأجنبية، ولكنه يعيب اختلاط هذه اللغات باللغة العربية، فيتحدث الرجل حديثا عربيا مشوباً بالألفاظ الأجنبية، وبذلك أصبحت اللغة العربية كالثوب المرقع الذي يضم رقعة من هنا ورقعة من هناك كما عبر حافظ فى البيت الذى يلى البيت السابق:

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

ثالثاً : وجه الشبه باعتبار الذكر والحذف :

قد يذكر وجه الشبه فى الكلام وقد لا يذكر، فيقال : شعر كالحرير فى النعومة، بذكر وجه الشبه، ويقال : شعر كالحرير دون ذكره، اعتمادا على ما يفهم من الكلام ومقاماته.

والتشبيه ينقسم باعتبار ذكر الوجه وعدم ذكره قسمين: مفصل ومجمل.

فالمفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ما يستلزمه. ويكون مجرورا بفى أو منصوبا على التمييز. فمن المجرور بفى قول ابن الرومى :

يا شبيه البدر فى الحسـ ـن وفى بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخـ ـرة بالماء الزلال

فشبهه بالبدر فى الحسن، وفى بعد المنال وهما مذكوران ومنه قول البوصيرى في البردة :

أكرم بخلق نبى زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشرمتسم

كالزهر فى ترف والبدر فى شرف والبحر فى كرم والدهر فى همم

فشبه رسول الله صلي الله عليه وسلم بالزهر فى الترف، وبالبدر فى الشرف، وبالبحر فى الكرم، وبالدهر فى الهمة، ووجه الشبه مذكور في التشبيهات الأربعة كما ترى.

ومنه قول الشاعر :

فوجهك كالنار فى ضوئها وقلبى كالنار فى حرها

فشبه الوجه بالنار فى الضياء، وشبه القلب بالنار فى الحرارة.

ومن المنصوب على التمييز قول الشاعر :

أنت كالشمس رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغربا

فشبهه بالشمس في الرفعة والضياء، والوجهان منصوبان علي التمييز

ومن هذا قول شوقى :

كالرسل عزما والملائك رحمة والأسد بأسا والغيوث نوالا

فشبههم بالرسل فى العزم، والملائكة فى الرحمة، والأسود فى البأس، والغيث في العطاء، والوجوه مذكورة في التشبيهات ومن هذا قول أبى بكر الخالدى :

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا

.....

وقد سبق ذكر الأبيات فى الوجه المتعدد .

وقد يكون المذكور وصفا يستلزم وجه الشبه ، كما فى قولك : كلامه كالعسل في الحلاوة، وحجته كالشمس فى الظهور، فالحلاوة ليست وجه الشبه الحقيقى، لأن الكلام لا يوصف بالحلاوة، ولكن وجه الشبه لازم من لوازم الحلاوة، وهو القبول والاستطابة وراحة النفس، وكذلك الظهور ليس وجه الشبه الحقيقى، ولكن وجه الشبه لازم من لوازم الظهور، وهو إزالة الحجاب، ورفع

الشبهة. وهذا التشبيه الذى يذكر فيه وصف يستلزم وجه الشبه، هو من قبيل التشبيه المفصل.

والمجمل: مالم يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه، والوجه المحذوف قد يكون واضحاً جلياً يفهمه الخاصة والعامة، كما فى تشبيه الوجه بالبدر، والشعر بالليل، والثغر بالدر، فوجه الشبه غير مذكور فى التشبيهات الثلاثة، ولكنه ظاهر يمكن معرفته دون عناء، هو فى الأول الحسن، وفى الثانى السواد، وفى الثالث الصفاء.

وقد يكون الوجه خفياً يحتاج فى إدراكه إلى فكر وتأمل، كقول فاطمة الأنمارية حينما سئلت عن بنيها الأربعة: أيهم أفضل؟ فقالت هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها. فشبهتهم بالحلقة الدائرة التى تستوى أجزاؤها، فلا يمكن تعيين طرفيها، تعنى أنهم فى درجة واحدة من الفضل والشرف، فلا يمكن تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل، ووجه الشبه: التناسب الكلى الخالى عن التفاوت، وهذا الوجه لايتيسر إدراكه على كل أحد، ولايدرك إلا بعد تأمل وتدقيق.

ووجه الشبه المحذوف يفهم من المقامات وسياقات الكلام، أو يستدل عليه بأمور تذكر فى الكلام، ومنها:

١ - وصف كل من طرفى التشبيه بوصف مشعر بوجه الشبه، كقول أبى تمام يمدح الحسن به سهل:

صدقت عنه ولم تصدف مواهبه عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك ريقه وإن ترحلت عنه لج فى الطلب

فشبه حال الممدوح فى دوام عطائه له ذهب عنه أو أقبل عليه، بحال الغيث يصيبك بالماء جئت إليه أو رحلت عنه، ووجه الشبه: دوام الفيض فى حالى الإقبال والإعراض، وقد وصف الشاعر كلاً من المشبه والمشبه به بما بين لنا وجه الشبه وحدده،ولو شبه الممدوح بالغيث دون ذكر للأوصاف المذكورة، لكان وجه الشبه شيئاً آخر. ويشبه قول ابن الرومى:

بذل الوعد للأخلاء سمحاً وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء

فشبهه فى بذله الوعود للأصدقاء، وامتناعه عن العطاء، بشجر الصفصاف يورق ويتشعب ويزهو بخضرته دون أن يعطى ثمراً، ووجه الشبه: حسن المظهر وجمال الصورة دون عائد أو فائدة، وقد دل على هذا الوجه ماوصف به كلاً من الطرفين.

ومنه قول أبى بكر الخوارزمى :

أراك إذا أيسرت خيمت عندنا مقيماً وإن أعسرت زرت لماما
فما أنت إلا البدر إن قل ضوؤه أغب، وإن زاد الضياء أقاما

فشبهه بالبدر، ووجه الشبه: طول الإقامة حال الكمال، وقلتها حال النقصان، وقد دل على هذا الوجه ماوصف به كلاً من الطرفين، ولو لم تذكر هذه الأوصاف لجاز أن يكون وجه الشبه شيئاً آخر كالحسن أو السمو أو غير ذلك. والمعنى الذى ذكره الشاعر لطيف وإن كانت العبارة لم تساعده على الوجه الذى يجب، فإن الإغباب أن يتخلل وقتى الحضور وقت يخلو منه، ولايصلح هذا للقمر لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى يكون السرار[١].

٢ - وصف المشبه به بصفة يفهم منها وجه الشبه، وهذا كثير فى الأساليب، ومنه قول فاطمة الأنمارية السابق فالمشبه به : الحلقة المفرغة، وقد وصف بما يشعر بوجه الشبه، وهو «لايدرى أين طرفاها» إذ يفهم من هذه الجملة أن وجه الشبه، هو التناسب الذى لاتفاوت فيه، لأن عدم الدراية بطرفى الحلقة يشير إلي التناسب التام والتساوى المطلق بين أجزائها.

ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»[٢].

فشبه صاحب القرآن بصاحب الإبل، ووجه الشبه: الحفظ مع التعهد، والضياع مع الترك، وقد دل على هذا الوجه قوله «إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» .

---

(١) أسرار البلاغة: ١٣٧ .

(٢) البخارى ٣/٣٣٣ .

ومن هذا قول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركـى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فشبهه بالليل، ووصف الليل بصفات يفهم منها وجه المشبه، وهو : شئ لا فوت منه ولا مهرب، ولولا وجود هذا الوصف لجاز أن يكون وجه الشبه شيئاً آخر كالإخافة أو الثقل، ونحو ذلك.

ومنه قوله أيضا :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فشبه الممدوح بالشمس. والملوك بالكواكب، ووجه الشبه: شئ عظيم يظهر فيختفى ما هو من جنسه، وقد دل على هذا الوجه وصف الشمس بقوله : «إذا طلعت لم يبد منهن كوكب»، ولولا هذا الوصف لأمكن تقدير وجه شبه آخر.

ومنه قول ابن عيينة :

وقلت لأصحابى هى الشمس ضوؤها

قريب ولكن فى تناولها بعد

فشبهها بالشمس فى قرب ضوئها وبعد تناولها، ووجه الشبه: قرب الأثر مع بعد المنال، وقد دل على هذا وصف الشمس المذكور فى البيت.

٣- وصف المشبه بما يشعر بوجه الشبه. ومنه قول شوقى فى قصيدته الباكية «الأندلس الجديدة» :(١)

ومسيطرون على الممالك سخرت لهم الشعوب كأنها أنعام

(١) يعنى بالأندلس الجديدة مدينة «أدرنة» وكانت من كبار المدن العثمانية فى مقدونيا أغار عليها البلغار والصرب سنة ٩١٢م بمساعدة الدول الأوربية واستولوا عليها بعد حرب شرسة قتل فيها خلق كثير من المسلمين.

شبه الشعوب بالأنعام ووجه الشبه الطاعة المطلقة والانقياد التام وقد دل على هذا الوجه وصفه للشعوب بأنهم سخروا لملوكهم الذين سيطروا عليهم. والمراد شعوب دول البلقان الذين انقادوا لملوكهم فى اكتساح المسلمين وهدم حضارتهم وسفك دمائهم دون تعقل أو تفكر.

وقوله من نفس القصيدة :

أو ما تراهم ذبحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم أغنام

شبه من ذبحوا بالأغنام في الاستهانة بهم وعدم المبالاة أو التأثر لما حدث لهم، وقد دل على وجه الشبه قوله «ذبحوا جيرانهم بين البيوت» وشوقى يخاطب عيسي عليه السلام برؤية ما فعله أتباع الصليب فى دول البلقان، من ذبح جيرانهم المسلمين، وسفك دمائهم فى الشوارع دون رحمة أو شفقة أو مراعاة للإنسانية، وهذا يبين لنا أن ما يفعله الصرب اليوم بمسلمى «البوسنة» ليس بجديد، بل هو تكرار لفظائع وجرائم يرتكبها هؤلاء الجزارون على مدار السنين كلما واتتهم الفرصة، بتهاون المسلمين فى دينهم وتفرق كلمتهم.

رابعاً : وجه الشبه باعتبار القرب والبعد :

وجه الشبه قد يكون واضحاً ظاهرا، لا يحتاج في إدراكه إلى طول تفكير، وهذا يسمى عند البلاغيين القريب المبتذل، كما قد يكون دقيقا يحتاج فى إدراكه إلي تأمل ونظر، وهذا يسمى عند البلاغيين البعيد الغريب، ووصف الأول بالابتذال لا يعنى أنه معيب وردئ، بل يعنى أنه سهل المأخذ، قريب التنأول، يدور كثيرا فى الأساليب، ووصف الثانى بالغرابة، لا يعنى أنه حوشى لا يدرك ولا يفهم، بل يعنى أنه دقيق يحتاج إلى تفكير ومعاودة نظر وتأمل، لذلك نرى أن الأولى تسمية النوع الأول بالقريب الواضح، وتسمية النوع الثانى بالبعيد الدقيق، ولا داعى لاستعمال مصطلحى الابتذال والغرابة، لإشعارهما بغير المراد.

والتشبيه ينقسم باعتبار قرب وجه الشبه وبعده قسمين : قريب واضح، وبعيد دقيق.

فالقريب الواضح : هو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير تأمل وتدقيق، لظهور التشابه بينهما، كتشبيه الفاكهة بالعسل في الحلاوة، والرجل بالأسد فى الشجاعة، والرائحة بالمسك في الطيب، فهذه التشبيهات واضحة، لظهور العلاقة بين المشبه والمشبه به، وسرعة إدراكها من النظرة الأولي.

ولقرب التشبيه أسباب منها :

أن يكون وجه الشبه أمرا واحدا بينا، لا تفصيل فيه ولا تركيب، كالتشبيهات الثلاثة السابقة، ومثلها تشبيه الوجه بالبدر في الحسن وتشبيه الجسم الناعم بالحرير فى النعومة، وتشبيه العلم بالنور فى الهداية.

أو أن يكون وجه الشبه فيه شئ من التفصيل، ولكن المشبه به قريب الحضور في الذهن لتكرر مشاهدته، أو لدورانه على الألسنة، كما فى قول الشاعر :

أنت كالشمس رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

فشبهه بالشمس فى الرفعة والضياء، وفى وجه الشبه شئ من التفصيل لجمعه بين وصفين، ولكن التشبيه قريب لحضور المشبه به في الذهن، ووقوعه تحت الحس دائماً.

أو أن يكون وجه الشبه فيه شئ من التفصيل، ولكن المشبه به قريب الحضور في الذهن عند ذكر المشبه واستحضار صورته لقوة التناسب بين الصورتين، والمعانى يستدعى بعضها بعضا، والأمور المتشابهة كما تأتلف فى الحس فإنها تأتلف فى العقل. فالرائحة الطيبة تذكرك بالمسك، والطعم الحلو يذكرك بالعسل، والأطفال الصغار يذكرونك بالزهور، والعمال الذى يعملون

بجد ونشاط يذكرونك بخلية النحل، فإذا عقدت مشابهة بين الشئ وما يستدعيه في الذهن كان التشبيه قريبا واضحاً.

البعيد الدقيق : هو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، إلا بعد إعمال الفكر وإطالة النظر والتأمل، وذلك لدقة وجه الشبه وخفائه والبلاغيون يقدرون هذا اللون من التشبيه ويعلون شأنه، ويرونه أحق بوصف البلاغة، وأولى بالبقاء في عالم الأدب، لإثارته النفس والحس، وإمتاعه العقل والعاطفة، وإثرائه الأدب والفكر.

ولبعد التشبيه ودقته أسباب منها :

أن يكون وجه الشبه مركبا من أمور متعددة، أو فيه تفصيل يحتاج إلى مراعاة كيفيات مخصوصة، وقد سبق عرض كثير من التشبيهات التى تدخل في هذا الإطار.

ومن هذا قوله تعالى :(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ) (١) شبهت أعمال الكافرين بالرماد المتراكم عصفت به رياح شديدة لم تبق له أثرا، ووجه الشبه هيئة شئ يفنى ويمحى أثره، ومثل هذا الوجه يحتاج فى استنباطه إلى تدقيق وتأمل.

ومن هذا قول صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتى تراه مونقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يبسه

ووجه الشبه فيه : شئ يعنى به من أول الأمر، فيصلح شأنه ويظهر نفعه، وهو وجه مركب يحتاج إلي دقة فى انتزاعه، لما فيه من تفصيل.

---

(١) إبراهيم : ١٨.

أو يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن مطلقا لكونه أمراً خيالياً، كمداهن الدر المحشوة بالعقيق، أو لكونه أمرا وهمياً، كأنياب الأغوال، أو لكونه غير مألوف فلا يخطر بالبال، كالمرآة فى كف الأشل، وكما فى قول الشاعر :

كأنما النار فى تلهبها والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أصابعها من فوق «نارنجة» لتخفيها

فصورة الزنجية التى تشبك أصابعها فوق «النارنجة» صورة نادرة ولاتخطر ببال الناس .

أو يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند ذكر المشبه، لعدم تجانسهما وبعد الصلة بينهما فى الظاهر. فإذا ذكر المشبه لم تخطر صورة المشبه به على الذهن، ومن هذا تشبيه القمر بالعرجون القديم فى قوله تعالى :(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [1] فالمشبه : القمر فى نهاية الشهر، والمشبه به : العرجون القديم، إذا ذكر المشبه وهو القمر، لم يخطر بالبال ذكر العرجون القديم، لما بينهما من البعد فى الجنس، ولكن القرآن الكريم ألف بين المتباعدين في معان دقيقة، منها الدقة، والالتواء وقلة النفع، والإهمال، وغير ذلك.

ومنه قول ابن المعتز:

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

شبه زهور البنفسج فوق سيقانها الضعيفة بأوائل النار فى أطراف الكبريت، ووجه الشبه هيئة شئ بين الزرقة والحمرة يلمع محمولا على قامات

---

(١) يس : ٣٩.

ضعيفة. وصورة المشبه به يندر حضورها فى الذهن عند استحضار صورة المشبه، فعندما ترى زهور البنفسج فى الروض لا يمكن أن تخطر ببالك صورة اتصال النار بأطراف الكبريت.

بين الدقة والغموض :

قلنا- آنفا- إن التشبيه البعيد الدقيق مقدم عند البلاغيين، لما فيه من إثارة للنفس ، وإثراء للفكر، لحاجته في إدراكه إلي فكر وروية، وطول نظر، ومعاودة تأمل.

وهذا لا يعنى أن يكون التشبيه الجيد شديد الخفاء، مرتديا حجاب الغموض، بالغا حد التعمية، فإن الكلام إذا غرق فى خضم الغرابة، وأغلق فهمه على المتأمل، خرج عن نطاق البيان إلى ضجيج منكر وجعجعة بلا طائل.

فمراد البلاغيين ببعد التشبيه ودقته أن يرتفع عن الابتذال، ويحتاج في إدراكه إلي مزيد من النظر والتأمل، فيحرك الفكر، ويشغل العقل، حتى إذا انجلى معناه بعد معاناة معقولة أنست به النفس، وتمكن في القلب وكان له وقع جليل، وأثر لطيف.

التفصيل وأنواعه :

يقصد بالتفصيل في التشبيه اشتمال الطرفين على أوصاف واعتبارات ملفوظة أو ملحوظة، تتمم المشابهة، وتدخل فى تكوين وجه الشبه، ليعبر تعبيرا دقيقا عن مضمون التشبيه. وكلما زادت الأوصاف والاعتبارات في التشبيه كلما ازداد تفصيلا، وازداد مع التفصيل بعداً وخفاء، واحتاج فى إدراكه إلى إعمال الفكر وإطالة النظر واستلزم انتزاع وجه الشبه فيه مزيداً من الدقة والتأمل، ليجمع فى ثناياه الأوصاف والاعتبارات المقصودة في التشبيه.

وكان الشيخ عبد القاهر هو رائد البلاغيين في الحديث عن التفصيل فى التشبيه، وتبعه فى ذلك من جاء بعده من البلاغيين والتفصيل عنده يقع على أوجه: (١)

أحدها أن تفصل بأن تأخذ بعض الأوصاف وتدع بعضا، وهذه الصورة هي الأحق بوصف التفصيل. ومن هذا قول امرئ القيس :

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

شبه سنان الرمح بسنا اللهب الذى لم يتصل بدخان، فى الشكل المخروطى المخصوص، واللون، واللمعان، وقد استثنى الشاعر صفة من صفات المشبه به لم يعتبرها فى التشبيه، وهى اتصال سنا اللهب بالدخان، ليحقق تمام المشابهة بين الطرفين، فإن صورة الدخان الذى يعلو اللهب لا توجد فى المشبه، كما أن الدخان قد يؤثر فى لمعان سنا اللهب، وهو يريده شديد اللمعان، لينصرف هذا الوصف إلى رمحه.

وهذا المعنى اللطيف الذى أوجده التفصيل فى بيت امرئ القيس يخلو منه بيت عنترة الذي شبه فيه السيف بالقبس الملتهب وهو قوله :

يتابع لا يتبغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

فالمشبه به فى البيتين واحد، وهو شعلة النار، ولكن التفصيل فى بيت امرئ القيس حقق التشبيه، وأبعد عنه كل شائبة يمكن أن توجه إليه، أما تشبيه عنترة فجاء على وجه إجمالى لا تفصيل فيه، ومن ثم لم تتحقق المشابهة الدقيقة بين طرفيه، ولم يحتج إلى طول تأمل في إدراكه.

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٦٦ ومابعدها.

وهذا الوجه من التفصيل تجده في قول امرئ القيس أيضا :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فشبه عيون البقر الوحشى حول أخبيتهم بالجزع الذى لم يثقب، والجزع بفتح الجيم أو كسرها نوع من العقيق فيه دوائر بيض وسود، وقد نفى التثقيب عن الجزع تحقيقا للتشبيه، وبيانا لتساوى الطرفين فى وجه الشبه، فإن الجزع إذا كان مثقبا خالف العيون بعض المخالفة إذ لا تثقيب فيها[1].

ومن هذا قول ابن المعتز فى وصف عين الناقة :

ترنو بناظرة كأن حجاجها وقب أناف بشاهق لم يحلل

والحجاج : العظم المستدير حول العين، والوقب : نقرة يجتمع فيها الماء، والشاهق: الجبل، شبه حجاج العين بالوقب الذى أشرف على جبل لم يحلل، وقد نفى الحلول به، حتى يتحقق التشبيه، إذ لو حل به لخلا الوقب من الماء الذى هو نظير العين في المشبه.

ومنه قول المتنبى .

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

فشبه حالهم وهو مدججون بالسلاح والعتاد الذى يخفى أجسامهم بحال من يسيرون بجياد مالهن قوائم، فاستثنى من الجياد قوائمها ليحقق التشبيه.

والثانى: التفصيل بملاحظة عدة أوصاف في المشبه، وطلبها فى المشبه به، كقول أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى

كعنقود ملاحية حين نورا

---

(١) المنهاج الواضح : ١٥٦.

فقد نظر فى نجوم الثريا إلى الشكل والمقدار واللون والمسافة بين النجوم والتقط لها شبها فى عنقود الكرم المنور، فجاء التفصيل منظوراً فيه إلى جميع الأوصاف دون استثناء.

ومثله قول امرئ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فقد راعى حاله يوم الفراق وقد انتحى عند الأشجار ضيق الصدر مكلوم الفؤاد، يتساقط دمعه دون أن يستطيع منعه، ووجد نظيرا لذلك فى مستخرج حب الحنظل الذي يسيل دمعه من حرارة الحنظل دون أن يتمكن من منعه، بجانب ضيق صدره من جراء هذا العمل المؤلم.

والثالث: التفصيل عن طريق النظر إلى خاصة في بعض الجنس كالتى تجدها فى صياح البازى وعين الديك مثلا، فأنت تراعى هذه الخصوصية، وتأبى أن تمر عليها دون أن تعتبرها...، ترى هذا فى قول ذى الرمة:

كأن علي أنيابها كل سحرة صياح البوازى من صريف اللوائك

شبه صريف أنياب البعير ساعة السحر بصياح البوازى فى الصوت المخصوص، وقد نظر الشاعر فى صوت أنياب البعير، ووجد نظيره في صياح البوازى، وليس فى أى صوت آخر، فبنى التشبيه على هذا مراعيا ما فى صياح البازى من خصوصية.

ومثله قول ذى الرمة أيضا :

وسقط كعين الديك عاورت صحبتى أباها وهيأنا لموقعها وكرا

فشبه سقط النار بعين الديك، مراعيا ما في لون عينه من تفصيل وخصوص، يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة، والسواد صافياً براقا[1]، إنها

---

(١) أسرار البلاغة : ١٦٢.

حمرة من نوع خاص متميز، يراها الناظر كأنها مشوبة بصفرة، وليست حمرة عادية.

وهذه الوجوه الثلاثة هى التى ذكرها الشيخ عبد القاهر للتفصيل وبين أنها موضوعة على الأغلب الأعرف، وإلا فدقائقه لا تكاد تضبط ولاتحصر، لذا عدل عن ضبط وجوه أخرى إلى ناحية شاملة، فبين أن مما يكثر فيه التفصيل، ويقوى معناه فيه، التشبيهات المركبة، خيالية كانت أو محققة، لأنك فى مثل هذه التشبيهات تحصل الشبه بين أمور تقدر اجتماعها على وجه مخصوص، وبشرط معلوم، وتنظر إلى اعتبارات وكيفيات لابد منها في تحقيق التشبيه، وتتفاوت هذه التشبيهات بحسب ما فيها من تفصيل وتركيب، وما يلحظ فيها من دقائق واعتبارات(١).

على أننا يمكننا ضبط هذا فى وجه رابع يضاف إلى وجوه التفصيل السابقة وهو : التفصيل بإضافة وصف أو أكثر إلي التشبيه، يدخل فى مكونات الصورة التشبيهية، ولا يتحقق المراد إلا به. وهذا الوجه مقابل للوجه الأول من التفصيل الذى يقوم على إسقاط بعض الأوصاف، وهو شائع فى كثير من التشبيهات، ومن جيده قول النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

شبه حاله وقد أتاه وعيد النعمان فاضطرب وخاف ولم ينم ليلته بحاله وقد واثبته حية دقيقة رقشاء تختزن السم صافيا فى أنيابها، والتفصيل ظاهر فى المشبه به، إذ لم يكتف بذكر الحية الدقيقة، ولكنه استقصى أوصافها ليبين أنها أشد الحيات فتكا، فهى رقشاء- فيها نقط سوداء وبيضاء- قد خلص السم فى أنيابها وثبت، وهذا يشعر بشدة رهبته وقوة رعبه.

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٦٩ ومابعدها.

ومنه قول ابن المعتز :

وخيل طواها القود حتى كأنها أنابيب سمر من قنا الخط ذبـــل

فشبه الخيل وقد طواها الانقياد والخضوع فى الملمات بأنابيب سمر لرماح خطية دقيقة، وقد فصل في المشبه به، فلم يكتف فى بيان دقتها وهزالها بأن شبهها بالأنابيب، وإنما أضاف أنها أنابيب سمر لرماح خطية دقيقة ليبالغ فى وصف الدقة والنحافة.

ومن عجيب هذا الوجه قول ابن المعتز

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجـــى

نطير غرابا ذا قـــوادم جـــون

وقد وقف الشيخ عبد القاهر أمام هذا البيت مبيناً ما فيه من تفصيل واستقصاء بديع فقال : شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضا، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها، من حيث تلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل منها فى العين كشكل قوادم إذا كانت بيضا.

وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه فى شئ آخر، وهو أن جعل ضوء الصبح، لقوة ظهوره، ودفعه لظلام الليل، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها، ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها. ثم لما بدأ بذلك أولا اعتبره في التشبيه آخرا فقال :«نطير غرابا» ولم يقل :«غراب يطير» مثلا، وذلك أن الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئا في مكان، فأزعج وأخيف وأطير منه، أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأعجل، وأمد له وأبعد لأمده، فإن تلك الفزعة التى تعرض له من تنفيره أو الفرحة التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته، ربما دعته إلي أن يستمر حتي يغيب عن

الأفق، ويصير إلى حيث لا تراه العيون وليست كذلك إذا طار عن اختيار، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول، وألاّ يسرع في طيرانه، بل يمضي على هينيته، ويتحرك حركة غير المستعجل.(١)

وهذا الوجه من التفصيل كثير في التشبيهات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)(٢)

في الآيتين تشبيهان لشئ واحد هو أعمال الكافرين، من حيث عدم نفعها، وبعدها عن نور الحق، وخلوها من الهداية(٣). ففي التشبيه الأول صورت بصورة سراب في أرض مستوية يلمع لمعانا خادعا، فيظنه الظمآن ماء، فيسرع نحوه متلهفا لاهثا، يتوقع الرى، حتى إذا وصل إليه بعد تعب شديد، لم يجد ما يؤمله من شراب، وإنما يفاجا بما لم يخطر له على بال، حيث يوفى حسابه ويعطى جزاءه من غير مهمله، ولا انتظار، ووجه الشبه : البداية المطمعة والنهاية المؤيسة. وقد بين التشبيه بوار أعمال الكافرين، وخيبة أملهم واشتداد حسرتهم وندامتهم، حينما لا يجدون لها نفعا، ولا يظفرون منها بعائد.

والتفصيل ظاهر في المشبه به، إذ لم يقتصر على تشبيه الأعمال بالسراب، إنما ألحق بالسراب من يلهث وراءه طامعاً في الرى، ووصف السراب واللاهث وراءه بصفات تحقق التشبيه، وتقوى المعنى المراد.

---

(١) أسرار البلاغة : ١٧٧، ١٧٨.

(٢) النور : ٣٩ ، ٤٠.

(٣) انظر كتابنا «مع النظم القرآني في سورة النور» : ١٣٨ . ١٣٩.

وفى التشبيه الثانى صورت أعمال الكافرين بصورة ظلمات كثيفة في بحر عميق متلاطم الأمواج، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات مطبقة متراكمة، إذا أخرج المبتلى بها يده وقربها من عينيه لينظر إليها لم يقارب رؤيتها فضلا عن أن يراها، ووجه الشبه هيئة ظلمات تتجمع وتتراكم فى إطباق شديد، لا يمكن النفاذ منها، وقد بين التشبيه ما يلازم الكافرين من جهالة وضلال، وما يحيون فيه من ظلمات مدلهمة، وهى ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة العمل.

والتفصيل واضح في المشبه به من خلال الاستقصاء فى بيان قوة الظلمات، وشدة تراكمها على نمط مخيف هائل، فلا يرجى منها نفاذ، ولا يؤمل منها خلاص.

ومن عجيب التفصيل فى التشبيهات القرآنية ما فى قوله تعالى :(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهاأمرنا ليلا أونهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك تفصل الآيات لقوم يتفكرون) (١).

فقد مثلت الحياة الدنيا فى إقبالها على الناس واغترارهم بها، ثم سرعة فنائها وزوالها بحال المطر نزل من السماء على الحب فنبت ونما وترعرع، وازدانت الأرض وفتن بها الناس وظنوا أنهم ملكوا ناصيتها يتصرفون فيها كما شاءوا ففاجأهم قدر الله تعالى فذهب بكل شئ وأصبح ما كان كأن لم يكن.

وقد اشتمل المشبه به على عشر جمل تضامت وتلاحمت وفصلت جميع جوانب الصورة لتؤدى الغرض المقصود.

---

(١) يونس : ٢٤.

مراعاة الحركة والسكون فى التفصيل :

قد يراعى المبدع فى الصورة التشبيهية جانب الحركة أو السكون غير مقتصر على ملاحظة الشكل واللون ونحو ذلك. والإمام عبد القاهر أول من لفت الأنظار إلى هذه الناحية، واعتبر مراعاة هيئة الحركة أو السكون فى التشبية من جوانب التفصيل البديعة، التى تتفاضل بها التشبيهات؛ وتزداد بها دقة وسحرا(١).

وهيئة الحركة المقصودة فى التشبيه على وجهين :

أحدهما: أن تقترن الحركة بغيرها من الأوصاف كاللون والشكل، كما فى قول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل لما بدت من خدرها فوق الجبل

فقد أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق واللمعان، الحركة التى تراها للشمس إذا أنعمت التأمل، ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة، وذلك لأن للشمس حركة متصلة دائمة فى غاية السرعة، ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب عجيب، ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الأشل،، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد، حتى ترى المرآة لاتقر فى العين، وبدوام هذه الحركة يتموج نور المرآة ويضطرب، وتلك حال الشمس بعينها.

وعلى هذا جاء قول الشهاب التلعفرى:

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها

مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

---

(١) انظر : أسرار البلاغة: ١٨٠، ١٨١.

فشبه الشمس عند مطلعها بمرآة من ذهب في كف مرتعشة، ووجه الشبه هيئة تجمع الشكل واللون والإشراق بجانب الحركة والتموج وقد زاد هذا التشبيه تفصيلا بالنص على كون المرآة من ذهب خالص مراعاة للون الشمس عند طلوعها، وتحقيقا لشدة اللمعان وقوة ما يصدر من أشعة متموجة مضطربة.

ومن هذا قول الصنوبرى :

كأن في غدرانها حواجبا ظلت تمط

الغدران : الأنهار، والشاعر يصف صفحة الماء في أنهار الحديقة عندما تحركها الرياح، فتبدو عليها أشكال كأنصاف دوائر صغار، ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها، ويحولها من التقوس إلى الاستواء وقد التقط الشاعر لهذه الصورة شبها فى الحواجب التى تمد وتمط، فالحواجب مقوسة، ومطها ينقص من تقويسها حتي تقارب الاستواء[1]، والشكل والحركة معتبران فى وجه الشبه، لأنه الهيئة الحاصلة من توالى أقواس متحركة بحركة تنقص من انحنائها، وهى حركة دائمة في المياه بفعل الرياح، وفى الحواجب بالمط المستمر.

ومن هذا قول الطرماح :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

يصف ثورا وحشيا أبيض يظهر تارة ويختفى أخرى، فشبهه بالسيف فى مكان عال يسل من غمده ثم يغمد فيه، فراعى في التشبيه اللون والحركة.

والثانى : أن تجرد هيئة الحركة من الأوصاف، ويقع التركيب فيها بأن يكون للجسم حركات فى جهات مختلفة، لأن الحركة إذا كانت فى جهة واحدة

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٨١.

كحركة السهم والرحا فهى حركة بسيطة لا تركيب فيها، وليست من هذا اللون. ومثال الحركة المركبة المجردة من أوصاف الجسم قول الأعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلا له كرع[1]

شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها مع الموج بحركات الفصيل فى نزوة فى الماء إذ تكون له حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب، بحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين فى الأخرى، فلا يتبينه الناظر مرتفعا حتى يراه متسفلا، وذلك أشبه شئ بحال السفينة وهيئة حركتها حين يتدافعها الموج[2]. ووجه الشبه: هيئة حاصلة من تجمع، حركات سريعة مختلفة فى جهات متعددة، ولم ينظر الشاعر فى التشبيه إلا إلى هذه الحركات المخصوصة دون سواها من أوصاف الطرفين:

ومن هذا قول ابن وهب فى وصف روضة :

حفت بسرو كالقيان تلحفت خضر الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريح حين تميلها تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل

فى البيت الأول شبه شجر السرو بالجوارى الحسان ذوات القوام المعتدل، الملتحفات بالحرير الأخضر، وهذا التشبيه ليس مما نحن فيه، والشاهد في البيت الثانى، حيث شبه حركة شجر السرو والريح تميل بعضه إلى بعض، ثم يعود إلي وضعه المعتدل، بحركة من يدنو من حبيبه لمعانقته ثم يمنعه الخجل فيعود إلى وضعه، وقد نظر الشاعر إلى الحركة مجردة عن الأوصاف الأخرى،

---

(١) تقص : تثب، وكذلك : ينزو، والرباح : الفصيل، الكرع : ماء المطر.

(٢) انظر أسرار البلاغة : ١٨٣.

وهى حركة مركبة من حركتين مختلفتين في جهتين متغايرتين، يحدث من الأولى قرب والتصاق، ومن الثانية بعد وافتراق. وقد أسبغ الشاعر على الشجر صفة الإنسان فجعله فى دنوه من بعضه كأنه يبغى المعانقة، ثم يرتد سريعاً إلى حيث كان خجلا وخوفا من رؤية أحد، وهذا من التخييل البديع الذى زاد التشبيه جمالا وسحرا.

ومما هو سهل ممتنع من هذا الضرب قول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معـاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

فجعل الفرس لفرط لينه ورشاقته، وشدة سرعته وخفته متحركا فى كل الجهات فى وقت واحد، وشبهه بجلمود الصخر الذى دفعه السيل من مكان عال، والحجر يندفع إلى أسفل بسرعة فائقة، فكيف إذا أعانته قوة دفع السيل من عل؟، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر[١].

ومن التشبيهات القرآنية من هذا النوع قوله تعالى :(وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب)[٢] وإن من معجزات موسى عليه السلام إلقاء العصا فتصير حية تسعى، وقد شبهت فى اضطرابها وشدة تقلبها بالجان، وهو ذكر الحيات ويكون دقيقا سريع الاضطراب قوى الحركة في كل ناحية[٣]، وهذا التشبيه منظور فيه إلى الحركة، وهى حركة مركبة لكونها فى جميع الاتجاهات وعلى أنماط مختلفة.

---

(١) الإيضاح : ٦١/٤.

(٢) النمل : ١٠.

(٣) انظر التحرير والتنوير : ٢٢٨/١٩.

ومنه قوله تعالى :(يوم يخرجون من الأحداث سراعاً كأنهم إلي نصب يوفضون) [١] شبهوا فى خروجهم من القبور مسرعين يتسابقون إلى الداعى بحالهم وقد كانوا يسرعون ويتسابقون في السير إلى معبوداتهم الباطلة، والتشبيه منصب على الحركة السريعة لهم، وهى حركة مركبة لما يواكبها من تداخل وتدافع واضطراب؛ بسبب السرعة والتسابق للوصول إلى الغرض، وفى التشبيه تعريض وسخرية واستهزاء بهم، حيث صور حالهم يوم البعث بحالهم يوم ذهابهم لآلهتهم المزعومة وكثيرا ما كانوا يفعلون ذلك فى حياتهم، وشتان بين الحالين.

وهيئة السكون فى التشبيه تأتى أيضا علي ضربين :

أحدهما: أن يراعى مع هيئة السكون شئ من أوصاف الجسم، كما فى قول الأخيطل الأهوازى يصف مصلوبا:

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسل

ففى البيت الأول شبه هيئة المصلوب قائما على الجذع، مادا يديه، مائل العنق، تغطى وجهه صفرة الموت بهيئة عاشق مد عنقه وذراعيه لوداع محبوبه، وقد اعتراه السكون وعلت وجهه صفرة الحزن، ووجه الشبه هيئة مركبة من سكون تام فى الأعضاء، مع مد الذراعين وميل العنق واصفرار الوجه.

وفى البيت الثانى : شبه هيئة المصلوب السابقة بهيئة قائم من نعاس مسترخى العضلات، تعلوه صفرة النوم، وقد أخذ في التمطى المتوصل مادا ذراعيه مميلا عنقه، ووجه الشبه هيئة مركبة كسابقة، ومن هذا نرى أن الشاعر قد راعى فى التشبيهين هيئة سكون الجسم مشفوعة بصفات أخرى له.

---

(١) المعارج : ٤٣.

وقد أعجب الشيخ عبد القاهر بالتشبيه الثانى، وبين أنه لطف لكثرة ما فيه من التفصيل، حيث نص الشاعر على استدامه التمطى بقوله «مواصل لتمطيه» وهذا يحقق المشابهة بينه وبين المصلوب، كما أشار إلى علة هذه المواصلة وسببها، وهى وجود لوثة النوم والكسل فى القائم من النعاس، ولو قال : كأنه متمط من نعاس» واقتصر على ذلك لكان تشبيها قريب التناول غير محتاج إلي تأمل ، لخلوه من القيود والتفصيلات.[1].

ومما يماثل التشبيه الثانى، قول دعبل الخزاعى يصف جماعة من الهنود عرفوا «بالزط» خرجوا علي المعتصم وصلبهم قائده على خط من أشجار عالية الجذوع على نهر دجلة:

لم أرصفاً مثل صف الـــزط ... تسعين منهم صلبوا فى خـــط

من كل عال جذعه بالشـــط ... كأنه فى جذعه المشتـــــط

أخو نعاس جد في التمطـــى ... قد خامر النوم ولم يغـــــط

فقد شبه هيئة المصلوب بهيئة المتمطى من نوم خامره ولم ينم، وزاد حاله تفصيلا بوصفه بالجد في تمطيه إشارة إلى بقائه على هذه الهيئة مدة طويلة.

وهذا التشبيه كسابقة على الجملة. إلا أن التشبيهين يفترقان من وجوه :

١- أن الأول أخذ الشبه للمصلوب من حال القائم من نعاس، والثانى أخذه من حال الداخل فيه المشرف عليه.

٢- أن الأول دل على استدامة التمطى التى يكمل بها وجه الشبه بلفظ صريح يدل عليه، وهو «مواصل لتمطيه» والثانى دل عليه بما يفيد المبالغة فى التمطى «جد فى التمطى» والمبالغة فى فعل الشئ لا تقتضى استدامته.

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ١٨٦، ١٨٧.

٣- أن الأول نبه إلي السبب الذى يوجب مواصلة التمطى، وهو استرخاء الجسم وكسله، والثانى لم يشر إليه، وهذه الفروق تجعل تشبيه الأخيطل - أحسن وأدق، لما روعى فيه من كثرة التفصيل[١].

وجعل الشيخ عبد القاهر مما يشبه الأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه ... إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فشبه هيئة المصلوب بهيئة من يمد ذراعيه ليبوع حبلا ولا ينقضى من حبل حتى يبدأ في حبل آخر، فاشتراطه أن يكون له بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر، كقول الأول «مواصل لتمطية من الكسل» فى استيفاء التشبيه، والتنبيه على استدامة مد ذراعيه كالمصلوب[٢]. وهذا التشبيه وأن أشبه الأول فى الاستقصاء إلا أنه يختلف عنه من ناحية اشتمال المشبه به على حركة، لأن الذى يبوع الحبل يحرك يديه كلما قاس باعا لينتقل إلى قياس الآخر، فهيئة السكون لا توجد فى المشبه به، كما لا توجد به إشارة إلى اللون، وقد روعى في التشبيه الأول، وعلى هذا فالتشبيهان مختلفان، وتشبيه ابن الرومى معيب في نظرى لأن صورة المشبه به لا تطابق صورة المشبه لأن صورة المشبه ساكنة تماما، وصورة المشبه به مصحوبة بحركة كما أسلفنا.

والثانى : ألا يراعى مع هيئة السكون شئ من أوصاف الجسم وحينئذ ينبغى أن تكون هيئة واقعة على عدة أشياء لتكتسب صفة التركيب، ومن هذا قول المتنبى يصف كلب الصيد حال جلوسه :

يقعى جلوس البدوى المصطلى ... بأربع مجدولة لم تجدل

---

(١) الإفصاح : ٥٢ وانظر أسرار البلاغة : ١٨٧، ١٨٨.

(٢) انظر أسرار البلاغة : ١٨٨.

واقعاء الكلب : أن يجلس على إليتيه ورجليه، ناصبا ذراعية، وقد صوره المتنبى وهو على هذه الهيئة الساكنة بصورة البدوى الذي يستدفئ بالنار جالسا على إليتيه رافعا ركبتيه مادا يديه إلى المدفأة، ووجه الشبه هيئة حاصلة من وقوع كل عضو منهما في موقعه الخاص مع السكون التام. ولم يضم الشاعر إلى هذه الهيئة الساكنة شيئا من أوصاف الجسم.

وإنما كانت هذه الهيئة مركبة، لأن فيها تفصيلا من حيث وقعت على عدة أعضاء وكان لكل عضو منها موقعه الخاص، وكان مجموع هذه الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف فتجئ منها صورة خاصة وبهذا نال التشبيه حظا من الحسن[1].

التصرف فى التشبيه القريب بما يجعله بعيداً :

عرفت أن التشبيه ينقسم باعتبار وضوح وجه الشبه وخفائه إلى قريب وبعيد ووقفت على أسباب القرب والبعد، وأوجه التفصيل فى التشبيه.

ويمكن للأديب أن يتصرف فى التشبيه القريب بما يجعله بعيدا غريبا فى حاجة إلى مزيد من الفكر والتأمل حتى يدرك، ويكون ذلك بطرق مختلفة أشار إليها البلاغيون، ومنها :

١- تقييد التشبيه بشرط ونحوه، ويسمى :«التشبيه المشروط».

٢- تفضيل المشبه على المشبه به، ويسمى :«تشبيه التفضيل».

٣- التعبير عن التشبيه بأسلوب التشكيك، ويسمى «تشبيه التشكيك».

٤- قلب التشبيه وعكسه، ويسمى «التشبيه المقلوب أو المعكوس».

---

(١) أسرار البلاغة : ١٨٦.

٥- عدم التصريح بالتشبيه، وجعله ضمن الكلام، ويسمى «التشبيه الضمنى».

٦- حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ويسمى «التشبيه البليغ».

وسنتناول هذه الألوان من التشبيه بشئ من التفصيل :

١) التشبيه المشروط :

وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أوكلاهما بشرط وجودى أو عدمى، يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام[١].

فمما قيد فيه المشبه قول بديع الزمان :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبـــا

لو كان طلق المحيا يمطر الذهبـــا

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقـــت

والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ففى البيتين خمسة تشبيهات مشروطة، فالغيث يشبه الممدوح لو كان الغيث باشا، مطره الذهب، والبدر يشبهه لو دام إشراقه، والشمس تشبهه لو أفصحت، والأسد تشبهه لو لم يصدها أحد، والبحر يشبهه لو عذب ماؤه. وهذه التشبيهات فى أصلها قريبة متداولة، ولكن الشاعر تصرف فيها بشيئين: تقييد المشبه بشرط وقلب التشبيه، تحقيقا للمبالغة في وصف الممدوح، وبهذا صارت بعيدة تحتاج فى إدراكها إلى فكر وتأمل، وزاد من المبالغة فى وصف الممدوح مجيئه بفعل المقاربة «يكاد» فهذه الأشياء الخمسة بعد استيفائها الشروط لا تشبه الممدوح بل تقارب أن تشبهه.

ومما قيد فيه المشبه به قول رشيد الدين العمرى :

---

(١) المطول : ٣٤٤.

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أفـــول

فشبه عزائم الممدوح بالنجوم التى تثقب ظلمة الليل شريطة ألا يكون لها أفول، وتشبيه العزيمة بالنجوم تشبيه قريب سهل الإدراك، ولكن الشاعر قيد النجوم بشرط لا يتم التشبيه بدونه، فأضفى على التشبيه تفصيلا صار به محتاجا إلى دقة وإنعام نظر، وقد أفاد هذا الشرط قوة عزيمة الممدوح، ونفاذ مراده على الدوام.

ومنه قول شوقى :

والنيل يقبل كالدنيا إذا احتفلت لو كان فيها وفاء للمصافينا

فشبه النيل فى إقباله بالخير، بالدنيا المزدهرة مشترطاً فيها أن تكون وفية للأصفياء والأصدقاء، وبهذا أوجد فى التشبيه تفصيلا حوله من القرب إلى البعد.

٢- تشبيه التفضيل :

وهو أن يشبه شيئا بشئ مفضلا المشبه على المشبه به كقول بدر الدين بن النحوية :

حسبت جماله بدرا منيـــرا وأين البدر من ذاك الجمـــال ؟

فشبه جماله بالبدر، وهو تشبيه متداول، ولكنه عاد ففضل جماله على البدر، واستبعد تشابههما في الحسن عن طريق الاستفهام، فأضفى على التشبيه ميزة جعلته محتاجا إلى تأمل وتدقيق.

ومنه قول الوأواء الدمشقى :

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلـين

أنت إذا جدت ضاحك أبـــدا وهو إذا جاد دامـــع العـين

فتشبيه الممدوح بالغمام قريب متداول، ولكن الشاعر هنا فضل عطاء الممدوح على الغمام، معللا ذلك بضحك الممدوح عند جوده، وبكاء الغمام عندما يجود وهى علة طريفة، ساهمت مع التفضيل فى جعل التشبيه بعيدا غريباً.

ومنه قول أبى تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فشبه النسوة بالمها الوحشية - فى التهادى وجمال العيون، ثم فضل النسوة بالمآنسة والملاطفة، كما شبههن بالرماح الخطية في استواء القامة ودقة القد، مفضلا النسوة بالطراوة والنضارة على الرماح الجافة الذابلة. والتفضيل في التشبيهين أكسبهما بعدا وحاجة إلي النظر، وقد مثل الخطيب ومن تبعه بهذا البيت للتشبيه المشروط[1]، وظاهر أنه ليس منه، لأن الاستثناء هنا لا يدل على شرط، بل يدل على صفة بها يتميز المشبه على المشبه به، فهو من قبيل التفضيل.

٣- تشبيه التشكيك:

وفيه يؤسس التشبيه على الشك لاعلى التحقيق، ومنه قول العرجى، أو غيره :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

فقد تشكك فى أمر ليلى، أهى ظبية من الظباء على التشبيه، أم هى من البشر. وتشبيه الفتاة بالظبية تشبيه قريب متداول، ولكن الشاعر صاغة فى

---

(١) انظر الإيضاح : ٤/١٢٣، والإفصاح : ١١٠.

صورة الأمر المشكوك فيه فأخرجه من القرب إلي البعد وهذا اللون من الكلام يسمى في البديع تجاهل العارف، أو سوق المعلوم مساق غيره.

ومنه قول البحترى :

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

فتشبيه الابتسامة بلمع البرق وضوء المصباح أمر مشهور، ولكن الشاعر لم يلجأ إلى التشبيه المباشر بل تشكك في الإشراق الذى شاهده أهو لمع برق أم ضوء مصباح أم ابتسامة فتاتة؟، وهذا التشكيك جعل التشبيه طريفاً لم يجر على ألسنة المشبهين.

ومنه قول ابن شمس الخلافة:

أشعرك أم ليل، ووجهك أم قمر ونشرك أم مسك، وثغرك أم درر
وخدك أم ورد، وريقك أم طلى وجسمك أم ماء، وقلبك أم حجر
شككنا على علم، ومن غلب الهوى على قلبه غطى على السمع والبصر

ففى البيتين الأول والثانى ثمانية تشبيهات: حيث شبه الشعر بالليل، والوجه بالقمر، والنشر بالمسك، والثغر بالدر، والخد بالورد، والريق بالخمر، والجسم بالماء، والقلب بالحجر. وهى تشبيهات ظاهرة واضحة ولكن الشاعر صاغها في أسلوب التشكيك فأضفى عليها لطفا ودقة وجعلها من التشبيهات البعيدة.

٤- التشبيه المقلوب :

وهو أن يجعل ما أصله مشبها مشبها به، وما أصله مشبها به مشبها، للمبالغة فى وصف المشبه به بوجه الشبه بادعاء أنه أصل فيه وكثيرا ما يسمى بالتشبيه المعكوس. وقلب التشبيه أوعكسه يجعله من قبيل البعيد، لمجيئه على خلاف الأصل المتعارف، ولقلة دورانه على الألسنة.

ومن أمثلته قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غرتـــه وجه الخليفـــة حـــين يمتـــدح

فالأصل أن يشبه الوجه بالصباح فى الضياء، ولكن الشاعر عكس هذا فشبه الصباح بوجه الخليفة مدعيا أن وجه الخليفة أصل فى الضياء وأن الصباح يقاس عليه.

ومنه قول البحترى فى وصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجت فى تدفقهـا يد الخليفة لما سال وادبهـــا

فشبه البحيرة في تدفقها بالماء بيد الخليفة فى تدفقها بالعطاء... والمتعارف أن تشبه اليد بالبحر فى العطاء ولكن البحترى جرى فى كلامه على خلاف الأصل وعكس التشبيه مبالغة فى وصف الخليفة بالجود والكرم.

ومن هذا قول الشاعر :

والبدر فى أفق السماء كفادة بيضاء لاحت فى ثياب حـــداد

حتى بدا وجه الصباح كأنـــه وجه الحبيب أتى بلا ميعـــاد

فى البيت الأول شبه البدر فى دجى الليل بغادة بيضاء فى ثياب سوداء، وفى البيت الثانى شبه الصباح بوجه الحبيب، والتشبيهان على خلاف الأصل، فهما من التشبيه المقلوب.

ومن هذا اللون فى التشبيهات القرآنية قوله تعالى (إنما البيع مثل الربا)[1]، وهذا محكى عن قول آكلى الربا، فقد شبهوا البيع بالربا عاكسين الكلام لإيهام أن الربا أحل من البيع وأنفع منه، لأن الهدف هو الربح، وهو أكثر في الربا منه فى البيع، فيكون الربا أحق بالحل عندهم.

---

(١) البقرة : ٢٧٥.

والتشبيه المعكوس أو المقلوب مبنى علي جعل الفرع أصلا والأصل فرعا، وهو مظهر حسن من مظاهر الافتنان فى البيان، والإبداع فى الأساليب، وقد بين الشيخ عبد القاهر أنه يكثر فى التشبيهات الصريحة[١]، فإنك إذا استقريتها وجدتهم كثيرا ما يشبهون فيها الشئ بالشئ في حال، ثم يعطفون على الثانى فيشبهونه بالأول، فترى الشئ مشبها مرة ومشبها به أخرى، فيقولون فى النجوم كأنها مصابيح، ثم يقولون في حالة أخرى فى المصابيح كأنها نجوم، ويشبهون الخد بالورد، والورد بالخد، والروض المنور بالوشى المنمنم، والوشى والنقش في الحلل بأنوار الرياض، والعيون بالنرجس، والنرجس بالعيون، والثغر بالأقحوان، والأقحوان بالثغر...[٢].

وكلما كانت المشابهة قوية بين طرفى التشبيه استقام العكس فيه على وجه ظاهر واضح لا تأويل فيه، أما إذا كان بين طرفي التشبيه تفاوت شديد فى وجه الشبه، بأن يكون أحدهما ناقصا فيه والآخر كاملا، فإن العكس لا يستقيم حينئذ إلا على سبيل التخييل وإيهام أن الناقص فى وجه الشبه كامل فيه، وعلى هذا يصح جعله أصلا.

ومثاله ما تقدم فى قول ابن هيب :

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

فقد جرى فيه العكس على تخيل أن وجه الخليفة أعرف وأشهر وأتم وأكمل فى النور والضياء من الصباح، فاستقام بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعا، ووجه الخليفة أصلا[٣].

---

(١) يقصد بها التى ليست من قبيل التشميل، إذ يكون الوجه فيه قائماً على التأول.

(٢) انظر أسرار البلاغة : ٢٠٤-٢٢٠.

(٣) أسرار البلاغة : ٢٢٣.

ويرى الشيخ عبد القاهر أن تشبيه التمثيل - وهو عنده ما كان وجه الشبه فيه حاصلا بضرب من التأويل- لا يجرى فيه العكس بجعل الفرع أصلا والأصل فرعا إلا على سبيل التأويل والتخييل، ومن أمثلة ذلك قول القاضى التنوخى :

وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع

فالنجوم والدجى أصلان في البياض والسواد، فحقهما أن يجعلا مشبها به، لكن الشاعر عكس الوضع فجعلهما مشبها، وجعل السنن والبدع مشبها به، مع أن بياض السنن وسواد البدع وصف تخييلى، وقد بالغ فى هذا الوصف التخييلى فجعله أصلا، تخييلا أن بياض السنن أكمل وأتم من بياض النجوم، وأن سواد البدع أعرف وأشهر من سواد الدجى، وبناء على هذا جرى العكس فى التشبيه.

ومن هذا قول ابن طباطبا :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه لجاء من البأساء بعد وقوع

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحسر عنه الغمام، فيكون الأمر العقلى مشبها بالحسى الذى هو الأصل، ولكن الشاعر عكس التشبيه فجعل العقلى مشبها به بتأويل أنه أظهر وأتم في وجه الشبه من الشئ المحسوس.

ومماهو حسن جميل فى هذا الباب ما كتب به الصاحب بن عباد إلي القاضى الجرجانى وأرسله إليه مع عطر عيد الفطر :

يا أيها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فالعادة أن يشبه الثناء بالعطر ونحوه، وقد عكس الشاعر ذلك، فشبه العطر بالثناء، وذلك على ادعاء أن ثناءه أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأخص به، وأنه قد صار أصلاحتى إذا قيس نوع من العطر عليه، فقد بولغ فى صفته بالطيب، وجعل له فى الشرف والفضل على جنسه أوفر نصيب[١].

٥- التشبيه الضمنى :

وهو تشبيه لا يصرح به فى الكلام، وإنما يلمح في سياقه، ويستنبط من مضمونه، وهو لون دقيق يحول التشبيه من قريب إلى بعيد، ويجعل الصورة التشبيهية في حاجة إلى فكر وروية حتى تدرك على حقيقتها نظرا لخفاء معالمها فى الأسلوب.

والمشبه فى التشبيه الضمنى كثيراً مايتضمن حكما فى حاجة إلى إثبات ويكون المشبه به دليلا على ثبوت هذا الحكم، وبرهانا على إمكان وجوده. ولذلك جعلوا الغرض منه بيان إمكان المشبه.

ومن أمثلته قول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

ففى هذا البيت تشبيه يفهم من مضمون الكلام، والمشبه : خلو الرجل الكريم من الغنى وعدم استقراره عنده، والمشبه به: المكان العالى لا يستقر عليه السيل وإنما ينحدر إلى المنخفضات ولم يصرح بالتشبيه في البيت وإنما أخذ من فحوى الكلام، وقد جاء المشبه به علة للحكم المستفاد من المشبه، والتشبيه بهذه الصورة يحتاج إلي تدقيق وتفكير لاستنباطه وفهمه.

ومنه قول المتنبى :

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٣٤.

فان تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

ففى البيت تشبيه ضمنى، والمشبه : تفوق الممدوح على الناس مع أنه منهم، والمشبه به : تفوق المسك على دم الغزال مع أنه منه، ووجه الشبه هيئة شئ يتفوق على أصله، والمشبه به دليل يثبت تفوق الممدوح على الناس مع كونه منهم.

ومنه قول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

فالمشبه، من يهين نفسه فيقبل الهوان ولا يتأثر به، والمشبه به الميت لا يتألم بالجراح، ووجه الشبه حال يؤدى إلى عدم الاحساس بما يؤلم، والتشبيه مفهوم من مضمون الكلام.

ومنه قول أبى العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فالمشبه حال من يرجو النجاة ولم يسلك طريق النجاة، والمشبه به حال السفينة لا يمكنها الجرى على الأرض اليابسة. ووجه الشبه، عدم بلوغ المقصود لعدم الأخذ بالأسباب، وليس فى البيت تشبيه مصرح به، ولكنه مستفاد من فحوى الكلام، ومثل هذا التشبيه يحتاج إلى دقة وتأمل ليدرك.

٦- **التشبيه البليغ :**

وهو مصطلح أطلقه البلاغيون على كل تشبيه حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه كقولنا : الوجه بدر، والخد ورد، والشعر ليل، ونحو ذلك.

وسمى هذا اللون تشبيها بليغا لما يحققه من المبالغة فى دعوى اتحاد المشبه والمشبه به حتى كأنهما شئ واحد. فحذف الوجه يوهم اشتراك المشبه

والمشبه به في جميع الصفات لا فى الصفة المقصودة وحدها، وحذف الأداة يوهم أن المشبه والمشبه به شئ واحد، وأن الكلام على الحقيقة لا على التشبيه.

ومن هنا زادت المبالغة فى هذا النوع عن غيره من أنواع التشبيه، حيث جاءت من ناحيتين، وكانت مبالغة مزدوجة مضاعفة. فإذا قلت : الوجه بدر فقد بالغت في وصف الوجه بالحسن حتى جعلته بدرا يجمع كل صفات البدر، لا شبيها به، وإذا قلت : البيان سحر، فقد بالغت فى وصف البيان بقوة التأثير وجعلته عين السحر في كل صفاته لا شبيها بالسحر.

وتسمية هذا التشبيه بليغاً لا تعنى أنه موصوف بالبلاغة، لأن بلاغة التشبيه لا تتوقف علي حذف أحد أركانه، بل تتوقف على أدائه للغرض المقصود ومطابقته لمقتضى الحال. وبناء على هذا فقد يأتى التشبيه محذوف الأداة والوجه ويكون معيبا لعدم استيفائه شروط البلاغة، كما يأتى التشبيه مذكور الأداة والوجه ويكون فى أعلى مراتب البلاغة لأنه استوفى شروطها.

ومن أمثلة التشبيه البليغ قوله صلي الله عليه وسلم :«الدعاء سلاح المؤمن»[١] وقوله «المؤمن مرآة المؤمن»[٢] وقوله «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»[٣].

ومنه قول حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهده الحيا[٤] ... بالرى أورق أيما إيراق

---

(١) الجامع الصغير : ٢/١٧.

(٢) السابق : ٢/١٨٤.

(٣) رياض الصالحين : ٢٢٧.

(٤) الحيا : المطر.

وتحليل هذه التشبيهات وبيان ما انطوت عليه من معان لا يخفى على المتأمل.

موقف البلاغيين من التشبيه البليغ :

ولما كان التشبيه البليغ يقوم على حذف الوجه والأداة وهذا يقوى الادعاء بدخول المشبه فى جنس المشبه به، اختلف البلاغيون حول كونه تشبيها أو استعارة وسنعرض أهم آرائهم فيما يلى :.

الرمانى :

يرى أبو الحسن الرمانى ت ٣٨٦هـ أن التشبيه لابد أن يكون بأداة التشبيه، وما حذفت منه الأداة فهو استعارة. فيقول : والفرق بين الاستعارة والتشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه فى الكلام فهو على أصله لم يغير عنه فى الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له فى أصل اللغة(١).

فجعل الفرق بين التشبيه والاستعارة يدور على الأداة، فما كان بأداة فهو تشبيه، لأنه لم يخرج عن أصله، وما كان بغير أداة فهو استعارة لأن اللفظ خرج عن أصله فى اللغة.

ولذلك عندما ذكر أمثلة للتشبيه أوردها كلها محتوية على الأداة(٢)، كما ذكر فى أمثلة الاستعارة بعض أمثلة التشبيه عند المتأخرين، لأن الأداة فيها ليست صريحة فى التشبيه ومن ذلك قوله تعالى (فجعلناها حصيداً) (٣).

---

(١) النكت : ٨٥، ٨٦.

(٢) انظر السابق : ٨٠ ومابعدها.

(٣) يونس : ٢٤. وانظر النكت : ٩٢.

القاضى الجرجانى :

أما القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ت ٣٩٢هـ فلم يوافق على جعل التشبيه البليغ استعارة، وبين أنه تشبيه، فقال فى حديثه عن الاستعارة: وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة، وهو تشبيه أو مثل، فقد رأيت بعض أهل الأدب، ذكر أنواعا من الاستعارة، عد منها قول أبي نواس :

والحب ظهر أنت راكبه فإذا صرفت عنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر، أو الحب كظهر تديره كيف شئت، إذا ملكت عنانه، فهو إما ضرب مثل، أو تشبيه شئ بشئ، وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة، فجعلت فى مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له، للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر[١].

أبو هلال العسكرى :

وبين أبو هلال ت ٣٩٥هـ أن التشبيه منه ما جاء فى الشعر وسائر الكلام بغير أداة[٢]. وهذا يشير إلى أن التشبيه البليغ عنده من قبيل التشبيه لا الاستعارة.

ويؤكد هذا ويقرره قوله فى موضع آخر : وقد يكون التشبيه بغير أداة التشبيه كقول امرئ القيس :

له أيطلا ظبى، وساقا نعامة وإرخاء سرحان، وتقريب تتفل

---

(١) الوساطة : ٤١.

(٢) الصناعتين : ٢٣٩.

فهذا إذا لم يحمل على التشبيه فسد الكلام، لأن الفرس لا يكون له أيطلا ظبى، ولا ساقا نعامة، ولا غيره مما ذكره، وإنما المعنى له أيطلان كأيطلى ظبى، وساقان، كساقى نعامة[١].

فهذا الكلام واضح وصريح فى أنه يحكم على التشبيه المحذوف الأداة بأنه تشبيه لاستعارة.

الإمام عبد القاهر :

المتتبع لكلام الشيخ عبد القاهر فى موقفه من التشبيه البليغ يرى أن له رأيا واضحاً أيده بالأدلة القوية، ولكنه عاد ففصل الكلام مقسماً ومفرعاً فيه ليبين الحقيقة لمن يريدون مخالفة الرأى الواضح.

فأما رأيه الواضح الذى يؤيده فيقوم على أن هذا اللون تشبيه لا استعارة، وهذا- فى نظره- هو ما يقتضيه القياس، ويدل عليه كلام القاضي الجرجانى.

وفى ذلك يقول : اعلم أن الوجه الذي يقتضيه القياس وعليه يدل كلام القاضى فى الوساطة[٢]، ألا تطلق الاستعارة على نحو قولنا: زيد أسد، وهند بدر، ولكن تقول : هو تشبيه، وإذا قال : هو أسد، لم تقل : استعار له اسم الأسد، ولكن تقول : شبهه بالأسد[٣].

وتعليل ذلك : أنك قد صرحت فيه بذكر المشبه، وذكرك له صريحا يأبى أن تتوهم كونه من جنس المشبه به.

---

(١) السابق : ٢٤٩.

(٢) يقصد الكلام الذى سقناه آنفا في رأى القاضى الجرجانى.

(٣) أسرار البلاغة : ٣٢١.

وإذا سمع السامع قولك : زيد أسد، استحال أن يظن أنك قصدت أسدا لأنك صرحت بزيد، ولما كان كذلك، كان قصد التشبيه من هذا النحو بينا لائحا[١].

كما أنه في مثل قولك : زيد أسد، وكان زيد أسداً، وعلمت زيداً أسداً وقع المشبه به خبرا عن المشبه أو بمنزلة الخبر، والاسم إذا كان خبرا عن الشئ، كان خبرا عنه إما لإثبات وصف هو مشتق منه لذلك الشئ، كالانطلاق في قولك : زيد منطلق، أو إثبات جنسية هو موضوع لها كقولك : هذا رجل، فإذا امتنع في قولنا : زيد أسد، أن تثبت الجنسية لزيد على الحقيقة، كان لإثبات شبه من الجنس له، وإذا كنا إنما نثبت شبه الجنس، فقد اجتلبنا الاسم لنحدث به التشبيه، فيكون خليقا بأن نسميه تشبيها، لأنه إنما جاء لإفادة التشبيه[٢].

هذا هو رأى الإمام عبد القاهر، وكلامه صريح في أن قولنا: زيد أسد ونحوه تشبيه لا استعارة. ولكنه عاد إلى هذا التركيب وما أشبهه، ففصل الحديث فيه إيضاحاً لمن يصر على مخالفة هذا الرأى، ويأبى إلا أن يسمى هذا اللون من التشبيه استعارة، فجعله على أربعة أقسام :

١- ما لا يجوز تسميته استعارة، وهو كل موضع حسن دخول جميع أدوات التشبيه عليه بلا تكلف، ويتحقق ذلك إذا كان المشبه به معرفة، كقولك: هو الأسد، وهو البدر حسنا، إذ يمكنك أن تقول : هو كالأسد، وكأنه الأسد، وخلته الأسد.

٢- ما تسميته بالتشبيه أقرب، وهو ما أمكن دخول بعض أدوات التشبيه عليه دون بعض، ويتحقق ذلك إذا كان المشبه به نكرة كقولك : هو أسد، فلو قلت: هو كأسد، كان كلاما نازلا غير مقبول، ولكنك إذا قلت: كأنه أسد، وحسبته أسدا، كان كلاما مقبولا. فحسن دخول بعض الأدوات

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٢٢ .

(٢) السابق: ٣٢٦ .

عليه دون بعض، فأصبح له بعض الشبه بالاستعارة، فى عدم تقدير الأداة معها، ولكنه أقرب إلى التشبيه من جهة صحة تقدير بعض الأدوات معه.

٣- ما يترجح تسميته بالاستعارة، وهو ما لا يمكن تقدير شئ من أدوات التشبيه فيه إلا بتغيير فى صورة الكلام، وذلك إذا كان المشبه به نكرة موصوفة بما يلائم المشبه، وليس من أوصاف المشبه به، كقولهم : هو بدر يسكن الأرض، وهو شمس لا تغيب، فلا يحسن فى هذه الأمثلة ونحوها دخول أداة التشبيه إلا بتغيير فى صورة الكلام بأن تقول : هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض، وهو كالشمس إلا أن الفراق غروبها، ومتى أحوج تقدير الأداة إلي هذا التغيير، كان تسمية الكلام استعارة أولى.

٤- ما يتعين حمله على الاستعارة، وهو ما كان تقدير الأداة فيه مستحيلاً، لأنه يؤدى إلى التناقض، أو إلى إفساد غرض المتكلم. ويتحقق ذلك إذا كان المشبه به نكرة، موصوفة بصفات لا توجد فى المشبه به، ومراعاة التشبيه معها يفسد معنى الكلام، أو يبطل الغرض منه.

فمما يؤدى إلى التناقض، قول المتنبى يمدح :

أسد، دم الاسد الهزبر خضابه
موت، فريص[1] الموت منه يرعد

فإن تقدير الأداة هنا بأن نقول : هو كأسد ليس بممكن، لأن مقتضى التشبيه أن يكون الأسد أقوى من الممدوح، أو مثله فى القوة، ومقتضى الوصف وهو أن دم الأسد خضاب يده، يقتضى أنه أقوى من الأسد، فيتناقضا، ولا يدفع هذا التناقض إلا حمل الكلام على الاستعارة، بجعل لفظ أسد، مستعارا للممدوح، وتكون الصفات بعده منصبة عليه هو، لا على الأسد الحقيقى، لتفيد أنه انفرد من بين الأسود بصفات مميزة له. وكذلك تقول فى لفظ الموت.

---

(١) الفريص : لحمة بين الثدى والكتف، تضطرب عند الفزع.

ومما يؤدي إلى إفساد غرض المتكلم، قول البحترى :

وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا ... وموضع رجلى منه أسود مظلم

فإن تقدير الأداة هنا بأن تقول : هو كبدر يضئ الكون إلا مكانى، تشبيه بمجهول لا وجود له، وهو في الوقت نفسه يبطل غرض المتكلم، لأن غرضه أن يثبت هذه الصفات للممدوح، ويدل علي أنه يعم الناس بخيره، ويخصه بالحرمان، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يجعل لفظ «البدر» مستعارا للممدوح ليكون بدرا مختصاً بصفة لا توجد فى البدر الحقيقى، ولو جعل الكلام مبنيا على التشبيه بتقدير الأداة، فستكون هذه الصفات جارية على المشبه به وهو البدر الحقيقى، وهى صفات لا تلائمه، فيكون تشبيها بمجهول، وتفوت بذلك المبالغة التامة التى تحققها الاستعارة ويريدها المتكلم[1].

هذا ما ذكره عبد القاهر من تقسيم وتنويع، استقصى فيه أحوال التشبيه الذى حذفت منه الأداة، ليبين لمن يصرون على تسميته استعارة، أن هذه التسمية لا تصلح فى كل حال، ولذلك نرى أن رأيه الأول الذي دافع فيه عن كونه تشبيها لا استعارة، هو الذي يمثل وجهه نظره، وهو الراجح عنده.

الزمخشرى :

يرى الزمخشرى أن محذوف الأداة والوجه من قبيل التشبيه لا الاستعارة، فيقول فى قوله تعالى (صم بكم عمى)[2]: فإن قلت : كيف طريقته عند علماء البيان؟ قلت : طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان، وبحور

---

(١) راجع تفصيل هذه الأقسام فى أسرار البلاغة : ٣٢٨-٣٣٢ والإيضاح : ٤٧/٥-٤٩ والإفصاح : ١٥٠-١٥٣.

(٢) البقرة : ١٨.

للأسخياء، لأن هذا فى الصفات، وذاك في الأسماء... ويتساءل : هل يسمى ما فى الآية استعارة؟ ويقول : مختلف فيه، والمحققون علي تسميته تشبيها بليغاً لا استعارة، فإن المستعار له مذكور، وهم المنافقون، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلوا عنها، صالحا لأن يراد به المنقول عنه، والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام. وليس لقائل أن يقول : طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ، فانساق بذلك إلى تسميته استعارة، لأنه فى حكم المنطوق به[١].

وبهذا يرى الزمخشرى أن التشبيه الذى حذفت منه الأداة والوجه تشبيه لا استعارة.

السكاكى :

يرى أبو يعقوب السكاكى ت ٦٢٦هـ أنك إذ قلت : زيد أسد، واكتفيت بذكر الطرفين أو حذفت المشبه وقدرت أنه مبتدأ محذوف والمشبه به خبر للمحذوف، فقلت : أسد، عد تشبيها، مثله إذا قلت : كأن زيداً الأسد، اللهم إلا فى كونه أبلغ[٢].

فبين أنه تشبيه، لا يفترق عن التشبيه الذى ذكرت أداته إلا فى دلالته على مزيد من المبالغة.

ودليله على أنه تشبيه : أنك حين أوقعت أسداً، خبرا لزيد، استدعى أن يكون هو إياه، مثله فى قولك : زيد منطلق، فى أن الذى هو زيد بعينه منطلق، وإلا كان : زيد أسد، مجرد تعديد، نحو : خيل فرس، لا إسنادا، لكن العقل يأبى أن يكون الذي هو إنسان هو بعينه أسداً، فيلزم لامتناع جعل

---

(١) الكشاف : ١/٥٨، ٥٩.

(٢) مفتاح العلوم : ٣٥٤.

اسم الجنس وصفا للإنسان، حتى يصح إسناده إلى المبتدأ المصير إلى التشبيه بحذف كلمة التشبيه، قصدا إلى المبالغة[١].

خلاصة القول :

وبعد أن فصلنا لك وجهة نظر أئمة البلاغة فى حكم التشبيه الذى جاء محذوف الأداة والوجه، يتضح لك أن جمهور البلاغيين يجعلونه من قبيل التشبيه لا الاستعارة، وهذا ما تؤيده الأدله، وعليه مضى الخطيب القزوينى في إيضاحه[٢].

مبحث أداة التشبيه :

أداة التشبيه هى اللفظ الذى يدل على معنى التشبيه ويفيده.

وأدوات التشبيه حروف وأسماء وأفعال :

١- **الحروف:** وهى الكاف وكأن. فالكاف حرف بسيط، وتفيد المشابهة فى جميع استعمالاتها، لذا كانت الأصل فى أدوات التشبيه، والأصل فى الكاف أن يليها المشبه به فتقول : العلم كالنور، والجهل كالظلام، وكمافى قوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش) [٣].

وقد تدخل على جزء من أجزاء المشبه به إذا كان مركبا كما فى قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) [٤] وكقول امرئ القيس :

---

(١) مفتاح العلوم : ٣٥٤.

(٢) انظر الإيضاح : ٥/٤٤-٤٦.

(٣) القارعة : ٤، ٥.

(٤) الكهف : ٤٥.

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وربما دخلت على شئ لا دخل له فى التشبيه، وانما هو قيد فيه كما فى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسي بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) [١] فالمراد كونوا أنصار الله ككون الحواريين أنصار الله وقت قول عيسي من أنصارى إلى الله،ودخلت الكاف على قول عيسي وهو ظرف للمشبه به وليس مشبها به.

وقد تدخل الكاف على أداة تشبيه أخرى نحو «مثل» كما فى قوله إبراهيم بن العباس :

تدانت بقوم عن ثناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها

وليلى كمثل النار ينفع ضوؤها بعيدا نأى عنها ويحرق جارها

أما «كأن» فقيل إنها بسيطة، وقيل إنها مركبة من الكاف وأن المشددة وهى تفيد التشبيه غالبا إذا كان خبرها جامدا كقولك : كأن الشعر ليل، وكما فى قوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) [٢] فان كان خبرها مشتقا فالأرجح أنها تفيد الظن بوقوع الخبر الذى بعدها كقولك : كأن محمداً مجتهد، وكقول القاضى التنوخى:

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقد تخفف نون «كأن» وتكون دالة على التشبيه كما فى قول الشاعر :

وصدر مشرق النحر كأنه ثديا ه حقان

---

(١) الصف : ١٤.

(٢) الرحمن : ٥٨.

كما تتصل بها ما ويستفاد منها التشبيه كما فى قول الشاعر :

وكأنما المريخ بين نجومه ياقوتة فى لؤلؤ متبدد

والأصل فى كأن أن يليها المشبه كمارأيت فى الأمثلة التى مرت بك، وكما فى قول ابن المعتز :

وقد لاحت لساريها الثريا كأن نجومها نور الأقاح

وكأن أقوى فى الدلالة على المشابهة من الكاف وغيرها من الأدوات قال الشيخ عبد القاهر : تقول : زيد كالأسد، أو مثل الأسد، أو شبيه بالأسد، فتجد ذلك كله تشبيها غفلا ساذجاً، ثم تقول : كأن زيدا الأسد، فيكون تشبيها أيضا، إلا أنك ترى بينه وبين الأول بونا بعيدا لأنك ترى له صورة خاصة، وتجدك قد فخمت المعنى وزدت فيه، بأن أفدت أنه من الشجاعة وشدة البطش، وأن قلبه قلب لايخامره الذعرولا يدخله الروع، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه(١).

وقد استعمل التعبير القرآنى «كأن» عندما قويت المشابهة إلى درجة لا يمكن التفريق فيها بين المشبه والمشبه به، وذلك فيما حكاه عن ملكة سبأ عندما سئلت عن العرش (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) (٢) فجاء التعبير بكأن عندما اشتدت المشابهة وقويت، وكان العرش هو عرشها فعلا دون أن تعلم ذلك.

---

(١) دلائل الاعجاز : ٤٢٥.

(٢) النمل : ٤٢.

٢- **الأسماء** : وتكون جامدة : كمثل وشبه ونحوهما. كماتكون مشتقة كمماثل ومشابه، ومحاك ونحو ذلك.

والأسماء الجامدة يليها المشبه به، كما فى قوله تعالي (وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) (١) وكما فى قول الشاعر :

والوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

أما الأسماء المشتقة فيليهاالمشبه ممثلا فى ضميره غالبا تقول محمد مشابه الأسد، ومماثل البحر، فالمشبه هو الضمير المستتر فى اسم الفاعل، وهو يعود على محمد.

٣- **الأفعال**: وهى على نوعين :

أحدهما: أفعال تفيد التشبيه صراحة، وتعد من أدوات التشبيه وهى كل فعل اشتق من مادة المشابهة وما يماثلها وكان متعديا نحو: شابه ويشابه، وماثل ويماثل، وحاكى ويحاكى، وضارع ويضاع، وضاهى ويضاهى. وهى تدخل على المشبه أو على ضميره، ومن هذا قول الشاعر :

والنهر يشبه مبردا من أجل ذا يجلو الصدى

فالمشبه ضمير النهر، والمشبه به المبرد، والأداة يشبه وهى فعل ونحوه قول الشاعر :

وصبغ شقائق النعمان يحكى يواقيتا نظمن على اقتران

فالمشبه الضمير المستتر فى يحكى ويعود على صبغ شقائق النعمان والمشبه به اليواقيت المنظومة. والأداة : يحكى وهى فعل.

---

(١) غافر : ٣٠.

ومثله قول أبى الفتح البيغاء :

أليس من العجائب أننـــى فارقته وحييت بعـــد فراقـــه
يا من يحاكى البدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقـــه

فإن كانت الأفعال لازمة نحو :تشابه، وتماثل، فإنها لا تدل على التشبيه، لأنها تقتضى مساواة كل من الطرفين بالآخر فى الصفة المرادة، والتشبيه لا يعنى التساوى بين الطرفين، بل يقصد به إلحاق ناقص بكامل حقيقة أو ادعاء، فإذا قلت : تشابه محمد وعلى فى الشجاعة، كان المعنى أنهما تساويا فيها، وهذا يتنافى مع التشبيه أما إذا قلت : محمد يشبه عليا فى الشجاعة، فإنه يفهم منه علو منزلة على في الشجاعة، ويكون الكلام على التشبيه.

والثانى: أفعال لا تفيد التشبيه صراحة وإنما تنبئ عنه، وتدل على قرب المشابهة أو بعدها حسب معناها.

فمما يدل على قرب المشابهة وتحققها : وجد، ورأى، وجعل، وعلم. تقول: وجدت القائد أسدا، ورأيت الدنيا سرابا، وقال تعالى :(وجعلنا الليل لباسا) (١)، وقال الشاعر :

ولقد علمتك فى الكريهة ضيغما أظفاره بيض السلاح وحمره

وقال شوقى :

ربوا على الإنصاف فتيان الحمى تجدوهم كهف الحقوق كهولا

فالتشبيه فى الأمثلة السابقة يتم دون وجود الفعل أما الفعل فيدل على تحقق المشابهة وتيقنها، لأن هذه الأفعال تدل على اليقين.

---

(١) النبأ : ١٠.

ومما يدل على بعد المشابهة: ظن، وحسب، وخال، فهذه الأفعال تفيد الظن والرجحان، ووجودها في التشبيه يشير إلى رجحان المشابهة وعدم تيقنها. تقول: ظننت السراب ماء، وقال تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) (١) وقال الفرزدق:

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

وقال البحترى :

وإذا الأسنة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب فى الماء

يصف الدروع فيقول : إن الرماح اللامعة إذا خالطتها خلتها فى هذه الحالة خيال كواكب فى الماء.

أقسام التشبيه باعتبار الأداة :

التشبيه باعتبار الأداة على قسمين : مرسل ومؤكد.

فالمرسل : ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كمافى قوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن) (٢).

ومنه قول البوصيرى فى البردة :

سريت من حرم ليلا إلى حرم كما سرى البدر فى داج من الظلم

والمؤكد: ما حذفت منه أداة التشبيه، والتأكيد فيه حاصل من ادعاء أن المشبه عين المشبه به، فإذا قلت : العلم نور، فقد ادعيت أن العلم هو عين النور، حيث لم تستعمل أداة ظاهرة تدل على أنك تشبه العلم بالنور.

---

(١) المعارج : ٨، ٩.

(٢) الإنسان : ١٩.

والتشبيه المؤكد يأتى على صور منها :[١]

١- أن يقع المشبه به خبرا عن المشبه، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم «الدعاء سلاح المؤمن»[٢] وقوله صلي الله عليه وسلم «النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتى أبدلته أيمانا يجد حلاوته فى قلبه»[٣].

ومنه قول المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

وقد يحذف المشبه لقرينة تدل عليه كما فى قول عمران بن حطان فى هجاء الحجاج :

أسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

٢- أن يقع المشبه به خبرا لإحدى النواسخ، ومن هذا قول البحترى :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح الناس أرضا

فالمشبه به «سماء» و«أرضا» وكل منهما وقع خبرا لأصبح.

ومما جمع النوع الأول والثانى قول المتنبى :

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحمت فإذا نطقت فإننى الجوزاء

فالمشبه به فى الشطر الأول صخرة الوادى وقد وقع خبرا للمشبه، والمشبه به فى الشطر الثانى الجوزاء وقد وقع خبرا لإن.

٣- أن يقع المشبه به حالا من المشبه، كقول المتنبى :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

---

(١) علمت آنفا أن التشبيه إذا حذف منه الوجه مع الأداة سمى «بليغاً» وهذا لا يمنع من تسميته «مؤكدا» باعتبار حذف الأداة.

(٢) الترغيب والترهيب : ٦٣/٢.

(٣) الجامع الصغير : ١٧/٢.

وكقول ابن الأثير الجزرى :

إن التى ملكتنى فى الهوى ملكت
مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا
رنت غزالا وفاحت روضة وبدت
بدرا وماجت غديرا وانثنت غصنا

٤- أن يقع المشبه به صفة للمشبه، كقولك : مررت برجل بحر وسلمت على قائد أسد.

٥- أن يقع المشبه به مضافا للمشبه، كقولك : لبس محمد ثوب العافية، والأصل : عافية كالثوب فحذفت الأداة وأضيف المشبه به إلى المشبه ومنه قول ابن خفاجة :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء[1]

ففى البيت تشبيهان وأصل الكلام أصيل كالذهب وماء كاللجين فأضيف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة فقيل : ذهب الأصيل، ولجين الماء وقيل : ان التشبيه فى «لجين الماء» أما «ذهب الأصيل» فليس مما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، لأن الأصيل وقت وزمان فلا يوصف بصفرة ولا بغيرها من الألوان، وعلى هذا ففى لفظ «ذهب» استعارة ويمكن الرد على هذا بأن الوقت يمكن وصفه على سبيل التخييل، كما وصفوا السنة بالبياض والبدعة بالسواد. وعلى هذا فيكون تشبيها أضيف فيه المشبه به إلى المشبه.

ومنه قول الشريف الرضى :

---

(١) اللجين :الفضة الخالصة.

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت
حوامل المزن فى أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه
على قبوركم العراضه الهمع[١]

ففى «حوامل المزن» تشبيه والأصل : المزن المشبه بالحوامل نظرا لامتلائه بالماء فأضيف المشبه به إلى المشبه وقيل : حوامل المزن، وفى «جنين النبت» تشبيه، والأصل : نبت كالجنين، فأضيف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة وقيل : جنين النبت.

٦- أن يقع المشبه به مصدرا مبينا لنوع المشبه، كما فى قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب)[٢] فالمشبه مر الجبال، والمشبه به مر السحاب، ووجه الشبه السرعة وقد جاء المشبه به مصدرا مبينا لنوع المشبه، والتشبيه يبين حركة الجبال السريعة يوم القيامة، وهى لكبر حجمها يظنها الرائى غير متحركة والحقيقة أنها تسير سيرا سريعاً.

ومنه قول أبى العلاء :

هرب النوم عن جفونى فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان

فالمشبه هروب النوم عن جفون الشاعر، والمشبه به : هروب الأمن عن فؤاد الجبان، وقد وقع مصدرا مبينا لنوع المشبه، ووجه الشبه ذهاب شئ مطلوب بلا عودة.

ومنه قول شوقى في الظباء:

يمشين أسرابا على هينة مشى القطا الآمن فى سربه

---

(١) المزن : السحاب المحمل بالماء، والعراضة السحاب ذو الرعد والبرق والهمع: السائل الماطر.

(٢) النمل : ٨٨.

فالمشبه مشى أسراب الظباء، والمشبه به مشى القطا الآمن، وهو مصدر مبين لنوع المشبه.

٧- أن يكون المشبه به مبينا بالمشبه، كما فى قوله تعالى :(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[١]) فالفجر مشبه بالخيط الأبيض، وقد جاء بعد المشبه به مبينا له والتقدير : حتى يتبين لكم الفجر كالخيط الأبيض.

تشبيه التمثيل :

سبق أن أشرنا فى حديثنا عن وجه الشبه المركب إلي تشبيه التمثيل، وسنوضح الحديث عنه فى هذا الموضع.

وقد فصل الإمام عبد القاهر الحديث عن التمثيل وفرق بينه وبين التشبيه بما لم يسبق إليه. وهو يرى أن التشبيه على ضربين : تمثيل وغير تمثيل[٢] فغير التمثيل: ما كان الشبه فيه من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأويل.

وذلك بأن يكون وجه الشبه فيه محسوسا، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة، والشعر بالليل فى السواد، والقامة بالرمح في الاستقامة، والشئ الناعم بالحرير فى النعومة.

أو يكون وجه الشبه عقليا حقيقياً، كالأخلاق والطباع والغرائز نحو تشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة، والعدو بالذئب فى الغدر، والصديق بالبحر فى الكرم، وغير ذلك من الصفات الثابتة المتقررة في الموصوف.

والتمثيل : ما كان الشبه فيه محصلا بضرب من التأول، وذلك بأن يكون وجه الشبه عقليا غير حقيقى، أى ليس وصفا ثابتا متقررا فى الموصوف،

---

(١) البقرة : ١٨٧.

(٢) أسرار البلاغة : ٩٠-٩٧.

كتشبيه الحجة بالشمس في الظهور، فالظهور وصف حقيقي في الشمس، وليس حقيقيا في الحجة، اذ معنى الظهور فيها عدم وجودمانع من ادراكها والعلم بها، وقد اعتبر هذا بمثابة الظهور في الأجسام المشاهدة وبذلك لم يتم وجه الشبه بين الحجة والشمس إلا بتأويل.

ومن هذا قولهم : ألفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاوة، يريدون أن اللفظ لا يستغلق ولا يشتبه معناه، ولا يصعب الوقوف عليه، فصار لذلك كالماء الذى يسوغ فى الحلق والنسيم الذى يسرى في البدن، ويتخلل المسالك اللطيفة منه، ويهدى إلي القلب روحا، ويوجد في الصدر انشراحاً، ويفيد النفس نشاطا، وكالعسل الذى يلذ طعمه، وتهش النفس له، ويميل الطبع إليه، ويحب وروده عليه، فهذا كله تأول ورد شئ إلى شئ بضرب من التلطف.(١)

وهذا الشبه الذى يحتاج إلى تأويل تختلف درجاته، ويتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إلي حقيقته كالأمثلة السابقة، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجه إلى فضل روية، ولطف فكرة، كما في قول الأنمارية تصف بنيها: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها. فاستخراج الشبه فى هذا القول يحتاج إلى تأمل وطول نظر، ولا يفهمه إلا الخواص، ومن ثم لا نرى نظائره إلا فى الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء.

وينتهى الإمام عبد القاهر من التفرقة بين التمثيل وغير التمثيل إلى حقيقة هامة، هى أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا(٢). فقول قيس بن الخطيم :

---

(١) السابق : ٩٣.

(٢) أسرار البلاغة : ٩٠-٩٧.

وقد لاح في الصبح الثريا لمـــن رأى

كعنقود ملاحية حين نـــورا

تشبيه حسن، وليس تمثيلا لأن وجه الشبه فيه هيئة محسوسة تجمع الهيئة والشكل واللون، وليس شيئا متأولا. وقول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحســـو فـإن صبرك قاتلـــه

فالنار تأكـــل نفسهـا إن لم تجد ما تأكلـــه

تمثيل، لأن وجه الشبه فيه هو سرعة الفناء لعدم المد بأسباب البقاء، وهو وجه عقلى لا يحصل إلا بتأول، وهو فى ذات الوقت تشبيه لأن التشبيه وصف عام للتمثيل وغير التمثيل.

وجاء الزمخشرى فلم يفرق بين مصطلحى التشبيه والتمثيل فى الاستعمال، بل أطلق كلا منهما فى موضع الآخر، ومن هنا ذكر العلماء أنه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل، ومن أظهر الأدلة على عدم تفريقه بينهما ما ذكره في تفسير قوله تعالى :(إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) [١] إذ قال فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميرا، وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة فى الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة الله عز وجل بمكان [٢].

فتشبيه الأصوات بالنهاق تشبيه صريح، ولكن الزمخشرى سماه تمثيلا وهذا أوضح دليل على أنه لا يفرق بينهما [٣]، وإن كـــان لم يصـــرح بذلـــك.

---

(١) لقمان : ١٩.

(٢) الكشاف : ٣/٢٤٣.

(٣) انظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى : ٤٠٢.

ومن الذين لم يفرقوا بين التشبيه والتمثيل ابن الأثير، ولام البلاغيين على التفريق بينهما فقال : وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا، ولهذا بابا مفردا وهما شئ واحد لا فرق بينهما فى أصل الوضع، يقال : شبهت هذا الشئ بهذا الشئ، كما يقال : مثلته به. وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه[١] ؟

ولا حجة لابن الأثير فى الاستدلال على عدم الفرق بينهما بأصل الوضع، لأن الوضع اللغوى شئ والاصطلاح شئ آخر، ولا تعارض بينهما، وكثير من المصطلحات لها معنى فى اللغة ومعنى آخر فى الاصطلاح يغاير المعنى اللغوى، ولا يجب التمسك بالوضع فى تفسير المصطلحات.

والتمثيل عن السكاكى ما كان وجه الشبه فيه وصفا غير حقيقى، وكان منتزعا من عدة أمور... كما فى قوله تعالى :(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون)[٢] فوجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم فى الآية، هو رفع الطمع إلى تسنى مطلوب، بسبب مباشرة أسبابه القريبة، مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وهو أمر توهمى كما ترى منتزع من أمور جمة».[٣]

بهذا اشترط السكاكى فى التمثيل شيئين : أن يكون وجه الشبه متأولا، وأن يكون مركبا من عدة أمور.

ويرى الخطيب القزوينى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من أمرين أو أمور سواء أكان حسيا أم عقليا[٤]، وعلى هذا الرأى سار

---

(١) المثل السائر : ٢/١١٥.

(٢) البقرة : ١٧.

(٣) مفتاح العلوم : ٣٤٧.

(٤) الايضاح : ٤/٩٠.

جمهور البلاغيين، فالتمثيل عندهم: ما كان وجه الشبه فيه مركبا، دون نظر إلى الحسية أو العقلية.

ولعل الخطيب استقى هذا الرأى من كلام الفخر الرازى حيث قال وقد خصوا التشبيه المنتزع من اجتماع أمور يتقيد البعض بالبعض باسم التمثيل[١].

وخلاصة القول أن آراء البلاغيين في التمثيل أربعة :

١- رأى الزمخشرى وابن الأثير. والتمثيل والتشبيه عندهما سواء، ولا فرق بينهما.

٢- رأى الإمام عبد القاهر. والتمثيل عنده ما كان وجه الشبه فيه محصلا بالتأول، أي كان عقليا غير غرزى.

٣- رأى السكاكى. والتمثيل عنده ما كان وجه الشبه فيه وصفا متأولا منتزعا من متعدد.

٤- رأى الخطيب وجمهور البلاغيين. والتمثيل عندهم ما كان وجه الشبه فيه وصفا مركبا من متعدد. وهذا الرأى هو ما نميل إليه ونسير عليه فى دراستنا للتشبيه، وبناء عليه فكل التشبيهات التى أوردناها فيما سبق، وكان وجه الشبه فيها مركبا هى من قبيل التمثيل.

ومن أمثلة التمثيل التى لم تذكر فيما سبق قوله تعالى :(مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) [٢] شبهت هيئة إنفاق الكافرين فى الدنيا وعدم حصولهم على نفع منه فى الآخرة، بهيئة زرع نما وترعرع ولكن أتت عليه رياح باردة، فأهلكته دون أن يعطى فائدة، ووجه الشبه هيئة شئ معجب

---

(١) نهاية الايجاز : ٢٢٩.

(٢) آل عمران : ١١٧.

ينتظر عطاؤه ثم يفنى مخيبا الآمال. وهو وجه شبه مركب، والتشبيه تمثيلى أبرز الأمرالمعقول فى صورة محسوسة ليتقرر لدى السامعين ويتأكد بما لا يدع مجالا للشك.

ومنه قول الرسول صلي الله عليه وسلم :«مالى وللدنيا، ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سافر فى يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها [١]» شبه الرسول صلى الله عليه وسلم حاله فى علاقته بالدنيا وزهده فيها براكب مسافر فى يوم شديد الحرارة يستظل تحت شجرة فترة قصيرة ثم يرحل ويتركها، ووجه الشبه هيئة شئ لابقاء فيه، فلا يستفاد منه الا بقدر الضرورة. والتشبيه تمثيلي يوضح نظرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا، ويلفت أنظار الطامعين إلي أن بقاءهم فيها محدود بوقت قصير، فعليهم أن يتخذوها مزرعة للدار الباقية.

ومنه قول ابن المعتز :

رددت إلى التقى نفس فقرت كما رد الحسام إلى القراب

فشبه نفسه وقد استقرت واطمأنت بعد أن ردها إلى التقوى بالسيف الذى استقر بعد أن رد إلى قرابه، ووجه الشبه هيئة شئ يستقر بعد رده إلى ما فيه قراره. والتشبيه تمثيلى يصور أثر التقوى في هدوء النفس واطمئنانها، وقد كانت قبل التقوى تصول وتجول فى الشهوات كما يصول الحسام ويجول فى يد الفارس.

ومنه قول شوقي يصف رجوع المشركين من غار ثور بعد أن يئسوا من العثور على النبى صلى الله عليه وسلم مع أنه كان بالغار:

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم

---

(١) الترغيب والترهيب : ٤/١١٤.

شبه هيئة رجوع المشركين من الغار بالخزى والعار بهيئة الباطل وهو منهزم من جلال الحق، ووجه الشبه هيئة شئ ينبوء بالخسران لفوات مطلوبة، وقد صور التشبيه شدة خزى المشركين، وعظم خيبتهم، وكان الشاعر موفقا فى إظهار قبح صورتهم حين عبر بقوله: «فأدبروا»، وجعل الأرض تلعنهم، وصورهم فى صورة الباطل، وصور الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة الحق.

أثر التمثيل فى إظهار المعانى وتأكيدها فى النفس:

للتمثيل أثر قوى في إظهار المعاني واضحة جلية وتأكيدها فى نفوس المتلقين، فإنك إذا مثلت الشئ بالشئ فإنما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد فى الترغيب فيه أو التنفير عنه[١] ولضرب الأمثال والنظائر شأن جلى فى إبراز خبيات المعانى، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق، والمتوهم فى معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد[٢].

وقد فصل الشيخ عبد القاهر أثر التشبيه التمثيلى في تقوية المعنى وتأكيده، فبين أنه إذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا، وقصر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا[٣].

---

(١) انظر المثل السائر: ٢/١٢٣.

(٢) الكشاف: ١/١٩٥.

(٣) أسرار البلاغة: ١١٥

والدليل على ذلك أنك إذا استعرضت بعض فنون الكلام وقد كساها التشبيه رداء الحسن ولباس الفخامة، ثم استعرضتها وقد نزعت عنها هذا الرداء، تبينت الفرق الواضح بين الحالين، وأيقنت بما للتشبيه من أثر فعال فى إيضاح المعانى وتأكيدها، وجعلها مقنعة للعقل، ممتعة للوجدان، محركة للمشاعر.

ففى المدح(١):

ترى المعنى بالتشبيه أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح، وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

وانظر إلى قول البحترى :

دان على أيدى العفاة وشاسع ... عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوءه ... للعصبة السارين جد قريب

وفكر فى حالك وحال المعنى معك، وأنت في البيت الأول لم تنته إلي الثانى، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه، وتأملت طرفيه، فإنك تعلم بعد ما بين حالتيك، وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك، وتحببه إليك، ونبله في نفسك، وتوفيره لأنسك.

لقد أطلق الشاعر فى البيت الأول قضية مفادها قرب الممدوح بعطائه، وبعده فى منزلته ومكانته، وهى قضية عارية عن الدليل مما يقلل من قيمتها، ويضعف من تقبل النفوس لها، فجاء فى البيت الثانى ببرهان عليها، ممثلا فى

---

(١) انظرهذا وما يليه من فنون فى أسرار البلاغة : ١١٥، ١٣١.

نظيرها المشاهد أمام الأنظار وهو البدر في قرب ضيائه وبعد مكانه، وبهذا ثبت المعنى وتأكد، وقبلته العقول، وهشت له النفوس.

وفي الذم :

تجد المعنى مع التشبيه مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحده أحد. والفرق واضح بين أن تقول : فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ولا يفهم منها شيئا، وتسكت. وبين أن تقرأ الآية الكريمة (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) [١] إنك في الحالة الثانية قد أبرزت المعنى ممثلا بصورة شديدة الإيلام.. قوية الإيجاع.

وتجد الفرق كبيرا بين أن تذم قوما فتقول : أرى قوما لهم بهاء ومنظر، وليس هناك مخبر، بل في الأخلاق دقه، وفي الكرم ضعف وقلة «وتقطع الكلام، وبين أن تتبع هذا بنحو قولك ابن لنكك :

في شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

أو قول ابن الرومي :

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء

ترى المعنى في الحالة الثانية قد قوى بالتشبيه، وتمكن في الذهن، ووقع في النفس موقعا لطيفاً مؤثراً.

وفي الحكمة :

تراها عندما يعقبها التمثيل بينة واضحة، ثابتة بالدليل، مؤكدة بالبرهان، لاشك فيها ولا مماراة. وانظر إلى قول أبي تمام، وقد وشى به واش عند الوزير ثم ظهرت براءته فعلا شأنه وارتفع ذكره عنده:

وإذا أراد الله نشر فضيلـــة طويت أتاح لها لسان حســود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

شبه حال الفضيلة، يحاول الحسود إخفاءها وإيذاء صاحبها بالطعن والذم، فيكون ذلك سببا فى نشرها وذيوعها، بحال العود يكون مستورا غير معروف، فتشتعل فيه النار فتعرف رائحته الطيبة، وتظهر قيمته النفيسة.

ولم يثبت المعنى وتتأكد صحته، ويظهر حسنه وبهاؤه، ويتم فضله ونبله فى النفس الا بالبيت الثانى وما فيه من التمثيل والتصوير، ولو اقتصر الشاعر على البيت الأول لجاءت الحكمة غفلا من الدليل، مفتقرة إلى ما يثبت صحتها، ويلبسها ثوب اليقين.

وفى النصح والإرشاد:

ترى النصيحة المعقبة بالتشبيه أقوى أثرا فى النفوس، وأدعى لأن يستجاب لها، ويلتزم بما فيها، وتأمل قول أبى تمام :

وطول مقام المرء في الحـــى مخلـق
لديباجتيـــه فاغتـــرب تتجـــدد
فإنى رأيت الشمس زيـــدت محبـــة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

شبه حال الرجل يمله الناس بطول بقائه معهم، ويكتسب محبتهم وتقديرهم بالاغتراب عنهم بحال الشمس يتشوق الناس إليها، وتزداد محبتهم لها بطلوعها حينا وغيابها حينا آخر. لذا ينصح بالاغتراب وعدم الإقامة الدائمة بين القوم دفعا للملل وكسبا للمحبة.

والذى ضاعف من حسن النصيحة، وهيأ النفوس لقبولها، تمثيله لها فى البيت الثانى بمشهد محسوس يؤكدها ويزيل عنها شائبة الشك، ولو ساق النصيحة دون تمثيل لما وقعت هذا الموقع اللطيف، كما إذا قلت اغترب عن الناس تنل محبتهم، واقتصرت على ذلك.

وقارن بين قولك لمن ابتلى فى مال أو أهل: الدنيا لا تدوم ولا تبقى وتسكت، وبين أن تنشده قول لبيد :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يوما أن ترد الودائع

تجدك مع التمثيل قد بلغت بالنصح شغاف قلبه، ومكنته فى نفسه، وأعنته على الرضا بالقضاء والصبر على شدة البلاء، وأقنعته بأن مانزل به أمر معتاد، لايخرج عن أن يكون وديعة استردها مودعها .

وفى الوصف :

يأتى التشبيه مصوراً للأحوال والهيئات المقصودة فى لوحات فنية ترسمها الكلمات، وتشهدها العيون، وتعيها العقول، مما يغنى عن طول الحديث المجرد عنها، تأمل قول ابن المعتز يصف شدة قلقة واضطرابه وخوفه يوم رحيل أحبابه، ويصور الحية التى تخيلها كأنها تشاغله :

كأننى ساورتنى يوم بينهم رقشاء مجدولة فى لونها برق
كأنها حين تبدو من مكامنها غصن تفتح فيه النور والورق
ينسل منها لسان تستغيث به كما تعوذ بالسبابة الفرق

فالشاعر شديد القلق عظيم الاضطراب يوم رحيل أحبابه، كأنه شاغلته حية شديدة الفتك لأنهامن النوع المفتول الجسم الملون بالبياض والسواد، وحين تخرج من وكرها تشبه الغصن الذى تفتح زهره وورقه ويخرج منها لسان حاد تستعين به فى إدراك الأشياء، كما يستعين الخائف بسبابته، فياله من مشهد

مخيف مرعب لا أمن معه ولا نوم، ولا اطمئنان، وقد اتكأ الشاعر فى تصويره على التشبيه، ولو أراد وصفه بالكلام المجرد عن الصورة ما بلغ هذا المبلغ من الدقة والتأثير.

ويستطيع الشاعر من خلال الوصف التشبيهى أن يعرض الشئ فى صور مختلفة، كل منها يوضح المقصود، وتتآزر جميعها فى تأكيده وإقراره، وعلى سبيل المثال ترى المتنبى يصف طول ليله وثقل همومه فيه فيقول :

أعزمي طال هذا الليل فانظـر ... أمنك الصبح يفرق أن يثوبـا؟
كأن الفجر حب مستـــزار ... يراعى من دجنتـه رقيبـا
كأن نجومه حلى عليـــه ... وقد حذيت قوائمه الجبوبـا
كأن الجو قاسى ما أقاســى ... فصار سواده فيها شحوبـا
كأن دجاه يجذبها سهـــادى ... فليس تغيب إلا أن يغيبـا
أقلب فيه أجفانى كأنـــى ... أعد به على الدهر الذنوبـا

ينادي الشاعر عزمه، ويخبره بطول ليله، ويطلب منه أن ينظر هل علم الصبح بعزمه على اقتحام الأعداء، فخشى أن يناله مكروه، فخاف أن يعود وتأخر في الطلوع؟ ثم يتبع هذا بلوحات تشبيهية متغايرة، تصور طول الليل، واستمرار الدجى :

فالفجر مستتر، وكأنه حبيب طلب إليه زيارة محبه، ويراقبه ظلام الليل فهو يؤخر الزيارة ولا يظهر خوف الرقيب.

والنجوم كأنها حلى وزينة يرتديها الليل فهو متمسك بها ولا يخلعها وهى لا تفارقه، والأرض كأنها جعلت حذاء لليل، فهو واقف لا يتحرك ولا يستطيع المشئ، لثقل الأرض على قوائمه.

والجو كأنه عانى ما عاناه الشاعر من آلام الوجد، فصار سواد الليل دائماً فيه لا يفارقه كالشحوب الذى يعلو العاشقين ولا يفارقهم.

وظلمة الليل كأن سهر الشاعر الطويل يجذبها إليه، فلا تنقضى حتى يزول سهاد الشاعر، وسهاده لا ينتهى، فكذلك ظلمة الليل لا تنتهى.

وأجفان الشاعر تنقلب فى هذا الليل الطويل، فلا نوم ولا راحة، وكأنه ساهر يعدد ذنوب الدهر وآلامه، وهى كثيرة لا تكاد تنتهى.

إنها صور متنوعة، يعقب بعضها بعضا، لتجعل متلقيها يخرج فى نهايتها بتصور هائل لهذا الليل الطويل، الذى أطبق بظلامه على الشاعر ولم يبلغ المتنبى ما بلغه من الافتنان في وصف طول الليل إلا من خلال هذا التصوير البديع القائم على التشبيه. وما كان له أن يحقق هذا من خلال الوصف المجرد عن التصوير.

وعلى الجملة فانك ترى أثر التشبيه واضحا فى كل فن من فنون القول بجانب ما فصلناه لك. فإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان افتخارا كان شأوه أسد، وشرفه أجد، ولسانه ألد. وان كان اعتذاراً، كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب العضب أفل، وفى عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث. وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ فى التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلى الغباية، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفى الغليل، وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه[١].

والمعانى التى يجئ التمثيل فى عقبها علي ضربين [٢]:

أحدهما: ضرب غريب بديع يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده، فهو في حاجة إلى دليل يثبته، ويبين أن وجوده صحيح غير مستحيل، فالتمثيل فى هذا الضرب يدفع الشك ويقوم مقام الدليل على جواز وجوده. وذلك نحو قول المتنبى:

---

(١) اسرار البلاغة: ١١٥، ١١٦.

(٢) راجع تفصيل هذا فى أسرار البلاغة: ١٢٤-١٢٩.

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أراد أن ممدوحه فاق الأنام وفاتهم إلى حد بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة، بل صار كأنه أصل بنفسه، وجنس برأسه، وهذا أمر غريب، يحتاج ممن يدعيه إلى ما يصحح دعواه، فجاء قوله «فإن المسك بعض دم الغزال» حجة لدعواه، حيث أبان أن لما ادعاه أصلا فى الوجود ممثلا فى المسك الذى خرج عن أصله وهو الدم وصار جنسا برأسه وأصلا بذاته لا شبه بينه وبين الدم.

وثانيهما: ضرب ظاهر لا يحتاج إلى دليل، ولا يفتقر إلى بينة، فالتمثيل فى هذا الضرب يؤثر فيه من حيث بيان مقداره، ومبلغه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان، ومن هذا قول مجنون ليلى :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

فبين أنه قد خاب فى ظنه أنه يتمتع بها ويسعد بوصلها، وهذا أمر غير عجيب، ولا خارج عن المألوف، حتى يحتج على إمكانه، فكثيرا ما يخيب ظن الإنسان فى أشباه هذه الأمور، ولكن التمثيل هنا أراك رؤية لا تشك معها ولا ترتاب، أنه قد بلغ فى خيبة ظنه وبوار سعيه إلى أقصى المبالغ، وانتهى فيه إلى أبعد الغايات، حتى لم يحظ لا بما قل ولا ما كثر.

وقد يأتى التمثيل لما فيه من زيادة الأنس، وتحريك النفس بالصور المشاهدة، والمناظر المعاينة، دون حاجة إلى إثبات أمر، أو بيان مقداره ومبلغه.

ومما يدلك على أن التمثيل بالمشاهدة يزيد أنساً وإن لم يكن بك حاجة إلي تصحيح المعنى، أو بيان لمقدار المبالغة فيه:

أنك تعبر عن المعنى بالعبارة التى تؤديه وتبالغ وتجتهد حتي لا تدع فى النفوس منزعا، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالطول: يوم كأطول ما يتوهم، وكأنه لا آخر له، وما شاكل ذلك من نحو قول حندج المرى :

في ليل صول تناهى العرض والطـــول
كأنما ليله بالحشـــر موصـــول

فلا تجد له من الأنس ما تجده لقول شبرمة بن الطفيل :

ويوم كظل الرمـــح قصـــر طولـــه
دم الزق عنا واصطفاق المزاهـر[١]

على الرغم من أن عبارتك الأولى أشد وأقوى في المبالغة من هذا، فظل الرمح- على كل حال- متناه تدرك العين نهايته، وأنت قد أخبرت عن اليوم بأنه كأنه لا آخر له.

وكذلك تقول واصفا اليوم بالقصر : يوم كأقصر ما يتصور، وكأنه ساعة، وكلمح البصر، و«كلا ولا»[٢]، فتجد هذا مع كونه تمثيلا لا يؤنسك إيناس قولهم: أيام كأباهيم القطا، وقول ابن المعتز :

بدلت من يوم كظل حصـاة ليلا كظل الرمح غير موات[٣]

وقول الشاعر :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذبـــاب

وسر الأنس بهذا ما للصورة المشاهدة من تأثير قوي، ووقع لطيف في النفس.

---

(١) دم الزق : الخمر. المزاهر : جمع مزهر وهو العود.

(٢) كناية عن سرعة الانقضاء والانتهاء.

(٣) موات: اسم فاعل من واتاه بمعنى طاوعه.

أسباب تأثير التمثيل في النفس :

إذا بحثنا عن سر تأثير التمثيل في النفس، وجدنا لذلك أسبابا وعللا، وكل منها يقتضي أن يفخم المعنى بالتمثيل وينبل، ويشرف ويكمل، وقد ذكر الشيخ عبد القاهر لذلك أسبابا ثلاثة[١]:

السبب الأول :

أنه ينقل النفس من الخفي إلى الجلي ومن المعقول إلى المحسوس، وعما يعلم بالفكر والروية إلى ما يعلم بالضرورة والطبع، وهذا أدعى إلى أن يتمكن المعنى في القلب، ويثبت في النفس، وتأنس به، وتطمئن إليه.

ومرجع هذا إلى شيئين :

أحدهما : أن العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه بغاية التمام، كما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظن كاليقين، والمعنى مع الصورة التشبيهية يرد على النفس من جهة المشاهدة والمعاينة فتأنس به وتطمئن اليه لما فيه من القوة والاستحكام.

والآخر: أن العلم المستفاد من طريق الحواس والطباع أسبق إلى النفس على ما يأتيها من جهة النظر والفكر والروية، فهو إذن أمس بها رحماً، وأقوى لديها ذماً، وأقدم لها صحبة، وآكد عندها حرمة، فإذا نقلتها عما يدرك بالعقل والفكر إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، كنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم، وكنت كمن يخبر عن شئ من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب، ويقول ها هو ذا فأبصر تجده على ما وصفت.

---

(١) راجع تفصيل هذا في أسرار البلاغة : ١٢١-١٣٩.

السبب الثانى :

أنه قد يجمع بين أمرين متباعدين فى الجنس، ولا يحضران معا فى الذهن، ولا يلتقيان فى الخاطر، وهذا من دواعى الأنس بالمعنى، والابتهاج به، والارتياح له، مما يمكنه فى النفس ويؤكده.

ومبعث هذا : أن تصوير الشئ بماليس من جنسه وشكله لون من ألوان الظرف، واللطف، ومذهب من مذاهب الأحسان لا يخفى موضعه من العقل، لأنك حين تؤلف بين المتباعدين، وتجمع بين المتنافرين، تحدث فى النفوس هزة وطربا من هذا الربط العجيب، الذى ترى به الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة فى السماء والأرض، وفى خلقة الإنسان وخلال الروض، وغير ذلك من الطرائف.

كما أن مبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشئ إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صبابة النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر، ويقاس على هذا أن تلتقط شبه الشئ فى شئ ليس من جنسه، ولم تعهد مقارنته به.

وبناء على هذا فكلما كان التباعد بين طرفى التشبيه أشد، كان إلى النفوس، أعجب، وكانت النفوس له أطرب، ولذلك نجد تشبيه البنفسج فى قول الزاهى :

ولا زوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار فى أطراف كبريت

أغرب وأعجب، وأحق بالولوع وأجدر من تشبيه النرجس: بمداهن در حشوهن عقيق»، لأنه أراك شبها لنبات غض يرف، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف، بلهب نار في جسم مستول عليه اليبس، وباد فيه الكلف، ولو أنه شبه

البنفسج ببعض النبات، أو صادف له شبها فى شئ من المتلونات، لم تجد له هذه الغرابة ولم ينل من الحسن هذا الحظ.

ومن هذا نرى أن تصوير الشبه بين المختلفين فى الجنس مما يحرك قوى الاستحسان، ويثير الكامن من الاستظراف، والتمثيل أخص شئ بهذا الشأن، وأسبق جار فى هذا الرهان، فهو يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعانى الممثلة بالأوهام شبهاً فى الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال فى الممدوح : هو حياة لأوليائه، موت لأعدائه، ويجعل الشئ من جهة ماء ومن أخرى نارا كما قال ابن مقلة :

لست ذا ذلة إذا عضنى الدهـ ـر ولا شامخا إذا واتانى
أنا نار فى مرتقى نظر الحا سد ماء جار مع الإخوان

فشبه نفسه بالنار مع أعدائه فى الإيلام وبالماء مع أخوانه في الصفاء والرقة كما يجعل الشئ حلوا مرا، وقبيحا حسنا، وقريبا بعيدا، ودانيا عاليا، حاضرا غائبا وانظر إلى قول الشاعر:

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

فشبه حال الممدوح فى دنوه بالتواضع وعلوه بالمجد بحال الشمس فى دنو ضوئها وعلو منزلتها. وارجع إلى قول البحترى السابق : دان على أيدى العفاة وشاسع.... تجده جعل الممدوح قريبا بعيدا فى آن واحد، والأمثلة على هذا كثيرة يضيق المقام عن ذكرها.

وما يتصل بهذا أن التمثيل يأتيك من الشئ الواحد بأشباه عدة، ويشتق من الأصل الواحد أغصاناً فى كل غصن ثمر على حدة، وانظر على سبيل المثال إلى القمر :

تراهم يشبهون به الوجه فى الحسن والضياء، ويشبهون به الممدوح فى الشهرة والنباهة والرفعة والعز.

ويتخذ تدرجه من النقصان إلى الكمال مثلا للتدرج في الفضل والخلال الحميدة حتى مشارفة الكمال، ومن هذا قول أبى تمام يرثى ولدى عبد الله بن طاهر قائد المأمون، وقد ماتا فى يوم واحد:

لهفى على تلك الشواهد منهما ... لو أمهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما ... كرما وتلك الأريحية نائلا
ولأعقب النجم المرذ بديمة ... ولعاد ذاك الطل جودا وابلا
إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيصير بدرا كاملا(١)

فشبه الحال التى كان الولدان سيصيران إليها من بلوغ الكمال فى الفضل والشرف والكرم بحال الهلال ينمو ويتدرج حتى يصير بدرا كاملا، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من التدرج من النقصان إلى الكمال.

ويجعلون من هذه الصفة علة للأمر بالسير فى الأرض والضرب فى أنحائها لاكتساب القدر والشرف، ومن هذا قول الشاعر :

سافر إذا ما شئت قدرا ... سار الهلال فصار بدرا

---

(١) الشواهد : الأمارات، والأريحية: الاهتزاز للمعروف، والمرذ : المطر مطرا خفيفا، والديمة: المطر الدائم، والطل:المطر الخفيف، الجود، بفتح الجيم وسكون الواو : المطر الغزير، والوابل : المطر الشديد.

والتشبيه ضمنى ، يصور حال الرجل يزيد قدره ويرتفع ذكره بسياحته فى الأرض بحال الهلال يسير ويتحرك حتى يصبح بدرا.

وينظرون إلى نقصانه بعد كماله، فيأخذون من ذلك حجة لطلب التوسط فى الأمور وعدم التناهى فيها كما قال أبو العلاء :

فإن كنت تبغى العيش فابغ توسطا فعند التناهى يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل

فشبه حال الإنسان يكون فى مأمن من النقص عندما يعيش عيشة وسطا، ويكون معرضا للنقص عندما يتقلب فى رغد من العيش بحال البدور لايلحقها النقص، وهى أهله، ويعتريها النقص بعد كمالها.

ويجمعون بين حالتى القمر فى التدرج من النقصان إلى الكمال ومن الكمال إلي النقصان، ويضربون من ذلك مثالا لمراحل حياة الإنسان، حيث يتدرج من ضعف إلي قوة واكتمال، إلي ضعف ونهاية، كما قال محمد بن يزداد وزير المأمون :

المرء مثل هلال حين تبصره يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق

يزداد حتى إذا ما تم أعقبه كر الجديدين نقصا ثم ينمحق

ويفرعون من حالتى تمامه ونقصانه فروعا لطيفة، فمن غريب ذلك قول ابن بابك فى أبى على الحسن بن أحمد لما قلده فخر الدولة الوزارة هو وأبو العباس الضبى على سبيل المشاركة والمشاطرة :

فأعرت شطر الملك ثوب كماله والبدر فى شطر المسافة يكمل

فشبه حال الملك وقد كمل بتولى أبى على نصف الوزارة، بحال البدر يتم ويكمل فى شطر الشهر. ومن هذا قول أبى بكر الخوارزمى.

أراك إذا أيسرت خيمت عندنا ... مقيما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه ... أغب وإن زاد الضياء أقاما

فشبه حال ممدوحه فى إقامته بينهم حال يسره، وزيارته لهم قليلا حال عسره بحال البدر يظهر طويلا ويقيم عند كماله، ويختفي عند نقصانه، والمعنى لطيف وإن كانت العبارة لم تساعده على الوجه الذى يجب وقد سبق أن أوضحنا ذلك.

ويأخذون من ظهوره في كل مكان ورؤيته من كل موضع شبها للممدوح الذى يغمر عطاؤه الناس في كل ناحية، وفى أى مكان، ومن هذا قول المتنبى:

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا

وينظرون إلى قرب ضوئه وبعد مكانه ويشبهون به الممدوح فى قرب عطائه وبعد منزلته، كما سبق فى قول البحترى : دان على أيدى العفاة ... وغير ذلك من الأوصاف التى يلحظونها في القمر، ويشبهون بها الأشياء وهى كثيرة لمن تأملها، وما قصدنا إلا أن نعطيك مثلا على المجئ من الشئ الواحد بصور كثيرة.

السبب الثالث :

حاجته إلي الفكر والروية فى إدراكه. وذلك أن المعنى إذا أتاك ممثلا، فهو في الأكثر ينجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له والهمة فى طلبه.

ومن المركوز فى الطبع أن الشئ إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه في النفس

أجل وألطف، وكانت به أرضن وأشغف لأنها نالته بعد مجاهدة ومكابدة وشوق إليه ولهفة عليه. ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ، كما قال القطامى :

وهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهذا السبب مرتبط بسابقه، لأن التشبيه إذا وقع بين متباعدين فى الجنس كان محتاجا إلى تأمل وطول نظر حتى يدرك، ويفهم على حقيقته.

أغراض التشبيه :

إذا تأملت أسلوب التشبيه وجدته يحقق البيان والمبالغة والإيجاز[١]. أما البيان فلأنه يظهر المراد ويوضحه عن طريق تصويره وتمثيله، والصورة خير وسائل البيان، وأما المبالغة، فلأنه يقوى المراد ويؤكده بجعله نظيرا لما هو أتم وأشهر، وأما الايجاز فلأنه يغنى عن وصف المشبه بعدد من الصفات التى يمكنها أن تفيد ما يفيده التشبيه.

وقد فصل البلاغيون البواعث والأغراض التى تحمل المتكلم على أن يعرض معانيه من خلال التشبيه، وهذه الأغراض على ضربين : ما يعود على المشبه وما يعود على المشبه به.

أولاً : الأغراض التى تعود على المشبه :

وهى أكثر أغراض التشبيه، لأن المشبه هو الأمر الذي يكون مقصودا بالحديث ويراد وصفه وتوضيحه، فكان المعقول أن ينصرف الغرض من التشبيه إليه ويعود عليه. والأغراض التى تعود على المشبه سبعة هى :

---

(١) المثل السائر ٢/١٢٢.

١- بيان حال المشبه وإيضاح الصفة التى هو عليها، وذلك إذا كانت صفته المرادة مجهولة، فيؤتى بالتشبيه لبيانها، وينبغى أن يكون المشبه به معروفا عند المخاطب بوجه الشبه حتى يصح أن يكون مبينا المشبه وموضحا حاله، إذ لا يصح بيان الشئ بالمجهول، ويكثر هذا الغرض فى التشبيهات التى يفهم منها أحكام وأمور لم تكن معلومة للمخاطبين.

ومن هذا قوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش)(١) شبه الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث، وشبهت الجبال بالعهن المنفوش، وكل من التشبيهين يبين حال المشبه التى كانت مجهولة لدي المخاطبين قبل نزول القرآن الكريم.

ومنه قوله صلي الله عليه وسلم «النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله سبعمائة ضعف»(٢) شبه صلى الله عليه وسلم النفقة في الحج بالنفقة في سبيل الله فى الثواب الكبير، وقد بين التشبيه أجر النفقة فى الحج وهو حكم لم يكن معلوما قبل بيان الحديث له.

ومنه قول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

شبه مشية الفتاة حين تزور جارتها بمرور السحابة، فى التهادى والغرض من التشبيه بيان صفة مشيتها التى لا تبطئ فيها ولا تتعجل.

ومنه قول شوقي :

والشوق نار في رماد الأسى ... والفكر يذكى والحشا يصطلى

فشبه الشوق بالنار وهو تشبيه يبين حال المشبه.

---

(١) القارعة : ٤، ٥.

(٢) الجامع الصغير : ١٨٩/٢.

٢- بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف، والزيادة والنقصان، وذلك إذا كان حال المشبه معلوما، ويراد بيان مقداره ومن هذا قوله تعالى :(يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلي نصب يوفضون) [١] فحال المشبه معلومة وهى السرعة، وقد جاء التشبيه ليبين درجة هذه السرعة، وكان من عادتهم أن يذهبوا إلى أصنامهم مسرعين متلهفين.

ومنه قوله صلي الله عليه وسلم :«الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» [٢] ففى الحديث تشبيهان وحال المشبه فى كل منهما معلومة، وهى إذابة الخطايا في التشبيه الأول، وافساد العمل فى التشبيه الثانى، وقد بين التشبيه مقدار هذه الحال.

ومن هذا قول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

فحال الفرس معروفة قبل التشبيه وهى الحركة السريعة فى جميع الاتجاهات وبين التشبيه حجم هذه الحركة ومقدارها من السرعة.

ومن هذا قول لبيد :

وتضئ فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرى سل نظامها

وصف البقرة الوحشية بالبياض والإشراق، فبين لنا وصفها أولا، ثم شبهها باللؤلؤ فكشف بالتشبيه عن مقدار بياضها وإشراقها وتلألؤها فى الظلام.

---

(١) المعارج : ٤٣.

(٢) الترغيب والترهيب : ٣/ ٢٦٠.

٣- تقرير حال المشبه، وتمكينها فى نفس السامع بإبرازها في صورة توضحها وتؤكدها. ويغلب أن يكون هذا فى تشبيه المعقول بالمحسوس كما فى قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) (١) وكمافى تشبيه أعمال الكافرين بالرماد وبالسراب وبالظلمات فى الآيات التي مرت بك فيما سبق.

ومنه قوله تعالى :(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (٢) شبه حال من يشرك بالله فيهوى من سماء الإيمان إلي حضيض الكفر بالذى يسقط من السماء فيهلك وتتخطفه الطير أو تلقى به الريح أشلاء فى كل مكان بعيد. وهو تشبيه معقول بمحسوس، وتصوير المشرك بهذه الصورة يوضح حاله السئ ويؤكده فى النفس.

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٣) فأبرز التشبيه ترابط المؤمنين فى صورة تقرره وتقويه وتجعله ثابتا فى الأذهان.

ومنه قول الشاعر :

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

شبه هيئة القلوب المتنافرة بهيئة الزجاجة المتصدعة فى تعذر عودتها إلى حالتها الأولى، والتشبيه يصور الشئ المعقول فى صورة محسوسة أبرزته قويا مؤكدا لا تحوم حوله شائبة.

---

(١) البقرة : ٢٦١.

(٢) الحج : ٣١.

(٣) البخارى : ٤/٥٥.

٤- بيان إمكان المشبه، أى بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك عندما يكون المشبه أمرا غريبا يمكن أن يمارى فى وجوده، فيؤتى بالمشبه به ويكون أمرا مسلما لا ينازع فى وجوده ليكون دليلا على ثبوت المشبه، وبرهاناً على وجوده.

ويكثر هذا الغرض فى التشبيهات الضمنية، حيث يكون المشبه به علة للمشبه ودليلا عليه، والأمثلة التى ذكرناها فى حديثنا عن التشبيه الضمنى من شواهد هذا الغرض.

ومما يفيد هذا الغرض قول البحترى :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حد حين يسطو ورونق

شبه حال ممدوحه حين يلقى الشجعان بوجه ضاحك وهو يروعهم ويفزعهم ببأسه وسطوته، بحال السيف يكون له بريق ورونق وهو يفتك بالأعداء، والتشبيه يبين إمكان وجود المشبه وهو ضحك الممدوح حال منازلة الشجعان، حيث أتى له بنظير موجود وهو حال السيف.

ومنه قول المتنبى :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فالمشبه العتاب المحمود العواقب، والمشبه به صحة الأجسام بالعلل، ووجه الشبه مجئ النفع من حيث يتوقع الضرر، والتشبيه دليل على إمكان المشبه وإثبات لوجوده.

ومنه قول أبى تمام :

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

فاحتجاب الممدوح لا يقطع له رجاء منه، ولا يمنع له أملا فيه، لأن السماء يرجى منها الغيث حين تحتجب بالسحاب، وهذا تشبيه ضمنى يبين إمكان المشبه، ويصحح وجوده.

٥- تزيين المشبه، وذلك بتصويره بصورة جميلة محببة للنفوس، ترغيبا فيه ويمكنك أن تلحظ هذا الغرض فى التشبيهات القرآنية والتشبيهات النبوية التى تحث على الأعمال الصالحة، وتصف الجنة ونعيمها ترغيبا للناس فى سلوك النهج القويم. ومن هذا قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) [١] فصورت الكلمة الطيبة بصورة حسنة جميلة في مظهرها ومخبرها، ترغب الناس في قولها، وتحفزهم على نطقها والعمل بها.

ومنه قوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) [٢] شبه الولدان المخلدون باللؤلؤ المنثور، وهى صورة جميلة تسبغ عليهم رداء الحسن، وترغب الناس فى العمل الصالح للفوز بالجنة ونعيمها ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم «.. ومن جرح جراحة فى سبيل الله ختم له بخاتم الشهداء له نور يوم القيامة، لونها مثل لون الزعفران وريحها مثل ريح المسك، يعرفه بها الأولون والآخرون» [٣] شبه لون الدم الذى يراق فى سبيل الله بلون الزعفران فى الحمرة، وشبه ريحه بريح المسك فى الطيب، والصورة جميلة ترتاح لها النفس، وتأنس بها، وفيها ترغيب للاستشهاد فى سبيل الله تعالى

ومن هذا فى الشعر قول البحترى فى وصف الشيب :

عيرتنى المشيب وهى بدتـــه ... فى عذارى بالصد والاجتنـاب
لا تريه عارا فما هو بالشـــ ... ـــيب ولكنه جلاء الشبـاب
وبياض البازى أصدق حسنـا ... إن تأملت من سواد الغـراب

---

(١) إبراهيم : ٢٤، ٢٥.
(٢) الإنسان : ١٩.
(٣) الترغيب والترهيب ٢/١٦٧.

فالشاعر يريد تزيين المشيب وتحسينه فى نظر فتاته، فشبهه فى البيت الثانى بجلاء الشباب، وفى البيت الثالث ببياض البازى الذى هو أحسن فى العين من سواد الغراب، والذى هو صورة الشباب، ومنه قول الآخر :

تفاريق شيب فى الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم ؟

فشبه هيئة ظهور بياض الشيب يلمع بين سواد الشباب بهيئة نجوم تتألق فى جنح الليل، وهى صورة جميلة تحسن المشيب في عيون الناظرين، فلا ينفرون منه.

ومنه قول الشاعر فى وصف فتاة سوداء :

سوداء واضحة الجبين كمقلة الظبى الغرير

فأعطاها صورة حسنة مع السواد حيث شبهها بعين الظبى فى حسن سوادها وجمالها.

ومنه قول ابن الأنبارى في الوزير ابن بقية لما صلبه عضد الدولة :

علو في الحياة وفى الممات لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا وكلهم قيام للصلاة
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافيات

فصوره فى البيت الأول بصورة المعجزة لمخالفته العادة في الممات، وفى البيت الثانى صور الناس حوله وقد مد يديه، بالوفود التى جاءته لنيل عطائه وصلاته، وصوره في البيت الثالث بصورة الخطيب الذى قام يخطب الناس ويعظهم، وصور الناس بصورة القائمين للصلاة وكل هذه الصور المتتالية أضفت على المصلوب حسنا وبهاء، وزينته وأعلت من شأنه، مع أنه فى وضع ينفر منه الناس.

٦- تقبيح المشبه وتشويهه، وذلك من خلال تصويره بصورة قبيحة مشوهة تنفر منها النفوس، وتعافها الطباع، وتلحظ هذا فى التشبيهات القرآنية والتشبيهات النبوية التى تصف الأعمال السيئة وتحذر من الوقوع فيها، ومن هذا قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) [١] فصورت الكلمة الخبيثة بصورة قبيحة مشوهة ترهيبا من الوقوع فيها، وتحذيرا من قولها. ومن هذا قوله تعالى فى شجرة الزقوم (طلعها كأنه رءوس الشياطين) [٢] فتصوير طلع شجرة الزقوم بهذه الصورة البشعة القبيحة يظهر قبح هذه الشجرة، وبشاعتها، ويبين ضررها وخطرها، مما يجعل النفوس تنفر منها وتبتعد عما يؤدى إليها، وتسارع إلى طريق الهداية الذى يبعدهم عن شرها، وينجيهم من فظاعتها.

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم :« ... ليس لنا مثل السوء، الذى يعود فى هبته كالكلب يرجع فى قيئه» [٣].

فشبه العائد فى هبته بالكلب يعود فى قيئه، وهى صورة قبيحة تظهر بشاعة الرجوع فى الهبة، وتحذر من الوقوع فى هذا العمل الخسيس، الذى يجعل صاحبه فى صورة تشمئز منها النفوس، وتقشعر منها الأبدان.

وقد اجتمع تحسين المشبه وتقبيحه فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة» [٤] فصور الجليس

---

(١) إبراهيم : ٢٦.

(٢) الصافات : ٦٥.

(٣) البخارى : ٢/٩٦.

(٤) مسلم : ٥/٤٨٤.

الصالح فى صورة حسنة جميلة هى صورة حامل المسك، وصور الجليس السوء فى صورة قبيحة خبيثة هى صورة نافخ الكير، والتشبيه من النوع الملفوف حيث ذكر المشبهان في طرف ثم ذكر المشبهان بهما فى الطرف الآخر.

ومن تقبيح المشبه قول المتنبى فى هجاء إسحاق بن كيغلغ :

وجفونه ما تستقر كأنهـــا مطرونة أوفت فيها حصـرم

وإذا أشار محدثا فكأنـــه قرد يقهقه أو عجوز تلطـم

فى البيت الأول جعل جفونه كأنها مصابة بأذى أو عصر فيها العنب الأخضر، فهى دائمة التحرك مما صابها ولا تستقر بحال. وفى البيت الثانى شبهه عند حديثه بالقرد الذي يضحك والعجوز التى تولول وتلطم فى قبح المنظر وعدم الإفصاح عما يريد، ولذلك جعله مشيرا عند الحديث لعدم إفصاحه، كأن حديثه من عيه يكون بالإشارة، وبهذين التشبيهين رسم للمهجو صورة بشعة مخيفة ينفر منها الناس. ومن هذا قول البهاء زهير يهجو ويصف بغلة المهجو في صور ساخرة تبعث على الضحك :

لله يا صديقى بغلـــــة ليست تساوى خردلـــــة

تمشى فتحسبها العيـــــ ـــون على الطريق مشكلـة

وتخـــال مدبـــرة إذا ما أقبلـــت مستعجلـــة

مقدار خطوتها الطويـــ ـــلة حين تسـرع أمثلـة

تهتز وهـــى مكانهـــا فكأنما هـــى زلزلـــة

أشبهتها بل أشبهتـــ ـــك كأن بينكما صلـــة

تحكي صفاتك فى السفـا لة والمهانـــة والبلـــه

فى الأبيات هجاء ساخر يعتمد على التصوير الذى يشكل جوا من الفكاهة المفعمة بالاستهزاء. فالبغلة وهى سائرة على الطريق كأنها مقيدة،

وهى فى إقبالها على عجل كأنها مدبرة، وخطوتها الطويلة حين السرعة مقدار طرف الإصبع، ولا تتقدم فى مشيها بل تهتز في مكانها لا متبرحه كالزلزلة، وصاحبها يشبهها، بل هى تشبهه كما لو كان بينهما قرابة واتصال، وهى تحاكى صفات صاحبها الذميمة، التى تأصلت فيه وشهر بها، حتى أصبحت مثالا للمحاكاة.

وتحسين الأشياء وتقبيحها غرضان دقيقان من أغراض التشبيه، وللشعراء فى هذا الباب باع طويل فتارة يصورون الشئ بصورة جميلة، فيخلعون عليه رداء الحسن والزينة، وتارة يصورونه بصورة قبيحة، فيلبسونه كساء مشوها منفرا، ترى ذلك فى قول ابن الرومى :

فى زخرف القول ترويج لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... فإن تعب قلت ذا قئ الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما ... حسن البيان يرى الظلماء كالنور

٧- استطراف المشبه، أى جعله طريفا بديعا، وذلك بواحد من شيئين :

أحدهما: تصويره بصورة متخيلة لا وجود لها فى الخارج، كما قدمنا فى التشبيه الخيالى. وشبيه به قول ابن لنكك :

وروض عبقرى الوشى غض ... يشاكل حين زخرف بالشقيق

سماء زبرجد خضراء فيها ... نجوم طالعات من عقيق

شبه هيئة الروض الغض وقد كسى بالخضرة وزخرف بالشقيق بهيئة سماء من زبرجد أخضر طلعت فيها نجوم من عقيق أحمر، وصورة المشبه به لا وجود لها، وبذلك أفاد التشبيه استطراف المشبه.

والثانى: أن يصور بصورة نادرة الحضور فى الذهن، أو من جنس يغاير جنس المشبه فلا تقترن به عند تصوره.

ومن هذا قوله تعالى :(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [١] فصور القمر فى محاقه بصورة العرجون القديم وهما جنسان متباعدان لا يحضران معا فى الذهن .

ومن هذا قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

فشبه طرف قرن الظبى بالقلم الذى غمس فى الدواة فعلق به المداد وصورة المشبه به صورة نادرة، لا تخطر بالبال عند مشاهدة الظبي، وندرة المشبه به وبعده عن جنس المشبه يجعل التشبيه طريفا بديعا، ويسبغ هذه الطرافة على صورة المشبه.

ثانياً : الأغراض التى تعود على المشبه به :

وأهمها غرض واحد يستفاد من التشبيه المقلوب، وهو المبالغة فى وصف المشبه به بوجه الشبه، وتخيل أنه أقوى وأتم فى هذا الوصف، ومن ثم جعل مشبها به وكان الأصل يقتضى أن يجعل مشبها.

وقد قدمنا فى حديثنا عن التشبيه المقلوب أمثلة متعددة يتجلى فيها هذا الغرض، ومما يضاف إلى الأمثلة السابقة قول ابن طباطبا:

رب ليل كأنه أملسى فيـ ... ـك وقد رحت عنه بالحرمان

جبته والنجوم تنعس في الأفـ ... ـق ويطرفن كالعيون الروانى

هاربا من ظلام فعلك بى نحـ ... ـو ضياء الفتى الأغر الهجان

والشاهد فى البيت الأول حيث شبه الليل بالأمل الذى لم يتحقق، مدعيا أن أمله الذى حرم منه أشد فى السواد والظلمة وأقوى من أى شئ آخر ولذلك

---

(١) يس : ٣٩.

جعله مثلا لليل، وكأنه يقول : تفكرت فيما أعلمه من الأشياء السود، فرأيت صورة أملى فيك زائدة على جميعها فى شدة السواد، فجعلته قياسا في ظلمة ليلى الذى جبته.(١)

وقول أبى طالب المأمونى :

وفلا كآمال يضيق بها الفتى ... لا تصدق الأوهام فيها قيلا

أقريتها بشملة تقرى الفلا ... عنقا وتقريها الفلاة نحولا

فشبه الفلاة فى سعتها بالآمال، والأصل أن تشبه الآمال بالفلاة وقد قلب التشبيه: ليبالغ فى وصف الآمال بالسعة وأنها لا نهاية لها، فهى الأجدر بأن يقاس عليها وتجعل مثلا فى السعة والامتداد.

ولا يفوتنا فى نهاية حديثنا عن أغراض التشبيه أن نلفت نظرك إلى أن المتأمل قد يلمس فى التشبيه الواحد أكثر من غرض، ولا تعارض فى هذا فالأسرار البلاغية لا تتزاحم، وقد تنظر إلى التشبيه من زاوية الإيضاح فتراه مبينا لحال المشبه، وتنظر إليه من زاويه التحسين فتراه مزينا للمشبه وهكذا..

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض منه إلي قسمين : مقبول ومردود.

فالمقبول : ما كان مؤديا للغرض الذى سيق من أجله، وخلا من العيوب المخلة ببلاغة الكلام. وفيما قدمناه من أمثلة للتشبيه غنية عن التمثيل لهذا القسم.

والمردود، أو المعيب : ما لم يكن مؤديا للغرض الذى سيق من أجله، أو اشتمل على عيب من العيوب المخلة ببلاغة الكلام.

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٣٢.

ويمكن إرجاع غالب عيوب التشبيه إلى مايلى :

١- اختلاف صورة المشبه به عن المشبه، ومن هذا قول الفرزدق :

يشون في حلق الحديد كمـــا مشـــت
جرب الجمال بها الكحيل المشعل

شبه الأبطال فى دروع الزرد بالجمال الجرب مريدا السواد وهذا الوصف يختلف عن وصف المشبه، لأن لون حديد الزرد أبيض، ويشتد بياضه مع كثرة الاستعمال. فاختلف وصف المشبه به عن المشبه لذا كان التشبيه معيبا.

ومنه قول ساعدة بن جؤية :

كساها رطيب الريش فاعتدلت لهـــا
قداح كأعناق الظباء الفـــوارق[1]

شبه السهام بأعناق الظباء، وليس بينهما شبه، ولو وصفها بالدقة لكان أولى[2] ومنه قول النابغة الجعدى :

كأن حجاج مقلتها قليـب **من السمقين أخلق مستقاهـــا**

والحجاج العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب، وقد شبهه بالقليب وهو ما لا يغور، وإنما تغور العين.[3]

ومن هذا قول المزار :

وخال على خديك يبـــدو كأنـــه
سنا البدر فى دعجاء باد دجونهـــا

---

(١) قداح : سهام.

(٢) الصناعتين : ٢٥٧.

(٣) انظر عيار الشعر : ١٥٠، والصناعتين : ٢٥٨.

فشبه الخال فى الخدين بسنا البدر فى ليلة مظلمة شديدة السواد، وصورة المشبه به تختلف عن صورة المشبه، فالمتعارف أن الخال أسود والخد أبيض، وهذا مخالف لصورة المشبه به التى جاء بها الشاعر، فكان التشبيه معيباً.

٢- أن يكون المشبه به غير متميز فى الوصف المقصود. ومما عيب لهذا السبب قول النابغة الذبيانى :

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

فشبهه فى حفظ الأمانة وعدم خيانتها بنوح عليه السلام، والرسل جميعا موصوفون بالأمانة. وليس هذا خلقا تميز به نوح عليه السلام وحده حتى يضرب به المثل فى ذلك، وقد أشار الجاحظ إلى هذا إذ قال : وليس لهذا الكلام وجه، وإنما ذلك كقولهم : كان داود لا يخون، وكذلك كان موسى لا يخون، وهم وان لم يكونوا فى حال من الحالات أصحاب خيانة ولا تجوز عليهم، فإن الناس إنما يضربون المثل بالشئ النادر من فعل الرجال، ومن سائر أمورهم، ولو ذكر ذاكر الصبر على البلاء فقال : كان أيوب لا يجزع، كان قولا صحيحا، ولو قال : كذلك كان نوح عليه السلام لا يجزع، لم تكن الكلمة أعطيت حقها، ولو قال : سألتك فمنعتنى وقد كان الشعبى لا يمنع، وكان النخعى لا يقول : لا، لكان غيرمحمود فى جهة البيان، لأنه لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تصرف الأمثال إليهما ولم تضرب بهما [١].

٣- عدم مطابقة صورة المشبه به لمقتضى الحال. ومن هذا قول الشاعر يصف روضا :

---

(١) الحيوان : ٢/١٠.

كأن شقائق النعمان فيه ثياب قد روين من الدماء

فشبه شقائق النعمان بالثياب المروية بالدماء، وهو تشبيه مصيب من حيث الصورة، ولكنه معيب لعدم مناسبته للمقام إذ بشاعة الدماء وما تبعثه من اشمئزاز وخوف فى النفوس لا تتناسب مع جو الرياض المفعم بالورد والرياحين مما يريح النفوس ويسر العيون ويشرح الصدور.

ومن هذا قول أبى محجن الثقفى في وصف مغنية :

وترفع الصوت أحيانا وتخفضه كما يطن ذباب الروضة الغرد

فشبه صوت المغنية بطنين الذباب، وهذا غير ملائم للمقام ولا مطابق لمقتضى الحال، وجدير بهذا أن يكون فى ميدان الذم والهجاء لا فى مجال الوصف والثناء.

ومن هذا قول أبى تمام :

مازال يهذى بالمكارم والعلا حتى ظننا أنه محموم[1]

فجعله يهذى، وشبهه بالمحموم، وهذا لا يليق بمقام المدح ومن ثم كان البيت معيبا والتشبيه مردودا.

والأمثلة على هذا كثيرة وفيما ذكرناه كفاية فيما قصدناه. وبهذا ننهى الحديث عن التشبيه.

---

(١) فى ديوانه : ٣/٢٩١: بالمواهب دائبا.

الباب الثانى

الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز

المقصود بالحقيقة والمجاز هنا : الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوى، لأنه إذا إطلق هذان اللفظان انصرفا إلى هذا المعنى.

وينبغى أن تتذكر أنك درست لونا آخر من الحقيقة والمجاز هو : الحقيقة العقلية والمجاز العقلى. وجمهور البلاغيين يهتمون بدراسة هذا اللون فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى، بناء على أن البحث في الحقيقة العقلية والمجاز العقلى يقوم على النظر فى الإسناد. فإذا أسند الفعل أو ما فى معناه إلى ما هو له كان ذلك حقيقة عقلية كقولك : شفي الله المريض، فقد أسندت الشفاء إلى فاعله الحقيقى وهو الله عز وجل، ويسمى هذا حقيقة عقلية، وإسنادا حقيقياً. وإذا أسند الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له كان ذلك مجازا عقليا، كقولك : شفى الطبيب المريض، فقد أسندت الشفاء إلى سببه وليس إلى فاعله، ويسمى هذا مجازا عقليا، ومجازا حكميا، وإسنادا مجازيا.

والكلام من حيث استعماله فى الأساليب على قسمين : حقيقة ومجاز. وإليك تفصيل القسمين :

الحقيقة اللغوية :

هى الكلمة المستعملة فى المعنى الذى وضعت له فى الاصطلاح الذى وقع به التخاطب. كلفظ الأسد «إذا استعمل فى الحيوان المفترس المعروف، ولفظ «الصلاة» إذا استعمله الشرعى فى الأقوال والأفعال المخصوصة، ولفظ «الفاعل» إذا استعمله النحوى في الاسم المرفوع الذى سبقه فعل ودل على من فعله أو اتصف به.

والكلمة قبل الاستعمال لا توصف بأنها حقيقة أو مجاز، فالحكم عليها بأى منهما إنما يتم من خلال استعمالها فى الكلام. ولكل فن اصطلاح محدد في الكلام، فاللغة مثلا تحدد معنى الصلاة : بالدعاء، والشرع يحدد معناها : بالأقوال والأفعال المخصوصة. والألفاظ يحكم عليها بالحقيقة أو المجاز من خلال الاصطلاح الذى وقع به التخاطب، فإذا كان التخاطب جاريا على الاصطلاح اللغوى كان استعمال لفظ الصلاة فى الدعاء حقيقة، واستعماله فى الأقوال والأفعال المخصوصة مجازا، وإذا كان التخاطب جاريا على الاصطلاح الشرعى كا ن استعمال لفظ الصلاة في الأقوال والأفعال المخصوصة حقيقة، واستعماله فى الدعاء مجازا وهكذا يحدد الاصطلاح موقف الكلمة من الحقيقة والمجاز.

والحقيقة تنقسم باعتبار مصطلح التخاطب الذى تعود إليه إلي أربعة أقسام :

١- **الحقيقة اللغوية** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلى الوضع اللغوى. كاستعمال الأسد فى الحيوان المفترس المعروف، واستعمال الصلاة فى الدعاء، واستعمال الزكاة فى التطهير والنماء فهذه الألفاظ استعملت فى معانيها اللغوية فهى حقيقة لغوية.

٢- **الحقيقة الشرعية** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلى اصطلاح الشرع كاستعمال الصلاة فى الأقوال والأفعال المخصوصة، واستعمال الزكاة فى إخراج مقدار معلوم من المال بشروط مخصوصة.

٣- **حقيقة عرفيه خاصة** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف خاص تعين صاحبه ،كالمصطلحات التي يستعملها النحاة مثل المبتدأ والخبر، والحال، والتمييز، وكذلك كافة المصطلحات المستخدمة في سائر العلوم والفنون.

٤- **حقيقة عرفيه عامة** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلي عرف عام لم يتعين صاحبه. كلفظ الدابة يستعملها الناس في ذوات الأربع، مع أنها وضعت لكل ما يدب على وجه الأرض، ومستعمل هذه الكلمة لم يتعين، ولكن استعمالها شاع عند الناس وصار عرفا عاما.

المجاز اللغوى :

المجاز فى الأصل : مصدر ميمى على وزن مفعل، من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه. أو اسم مكان من جاز المكان يجوزه إذا سلكه.

وهو عند البلاغيين: اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى. والمناسبة بين المعنى البلاغى والمعنى اللغوى ظاهرة، فعلى أن «المجاز» مصدر ميمى، تكون الكلمة المستعملة في غير معناها الأصلى مجازا، إما لأنها جائزة، أى تعدت مكانها الأصلى إلى غيره، وإما لأنها مجوز بها مكانها الأصلى إلى غيره. وعلى أن «المجاز» اسم مكان، تكون الكلمة المستعمله فى غير معناها الأصلى مجازا، لأنها جعلت طريقا لفهم معناها الذى نقلت إليه. كقولهم : جعلت كذا مجازا إلى حاجتى، أى طريقا له، وهذا ما استظهره الخطيب القزوينى[1].

وقد علمت فى حديثنا عن الحقيقة، أن الكلمة قبل الاستعمال لا توصف بحقيقة ولا مجاز، وأن الاصطلاح الذى يتم به التخاطب أساس فى بيان موقف الكلمة من الحقيقة أو المجاز، فإذا استعملت الكلمة فيما وضعت له فى

---

(١) انظر الإيضاح : ١٦/٥، وشروح التلخيص : ٤/ ٢٠، ٢١.

الاصطلاح التى تم به الكلام فهى حقيقة، وإذا استعملت فى غير ما وضعت له فهى مجاز.

وبجانب ذلك لابد من الحكم على الكلمة بالمجازية من أمرين :

١- وجود صلة تربط بين المعنى الحقيقى للكلمة والمعنى المجازى لها، وتسمى «علاقة».

٢- وجود دليل يبين أن الكلمة مستعملة فى المعنى المجازى، ويمنع أن تكون الكلمة مستعملة فى المعنى الحقيقى، وهذا الدليل يسمى «قرينة».

والمجاز ينقسم باعتبار اصطلاح التخاطب إلى أربعة أقسام :

١- **المجاز اللغوى:** وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى عرف اللغة كاستعمال لفظ الأسد فى الرجل الشجاع.

٢- **المجاز الشرعى:** وهو اللفظ الذى يستعمله الشرعيون فى غير ما وضعوه له، كاستعمالهم لفظ الصلاة في الدعاء.

٣- **المجاز العرفى الخاص:** وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له عند أصحاب هذا العرف كأن يستعمل النحوى المبتدأ فى كل شئ يقع فى البداية اسما أو فعلا أو حرفا.

٤- **المجاز العرفى العام** : وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى هذا العرف. كاستعمال العامى لفظ الدابة فى الدواجن.

وقد وجه البلاغيون عنايتهم إلى المجاز اللغوى، فاهتموا بضبطه وتقسيمه ودراسته دراسة موسعة تفصل كافة جوانبه، وهذا ما سنلقى عليه الضوء فيما يلى :

المجاز اللغوى باعتبار الافراد والتركيب :

نظر البلاغيون إلى اللفظ المستعمل فى المجاز من حيث كونه مفردا أو مركبا وبناء على هذا جعلوا المجاز على قسمين مفرد ومركب، فإذا كان التجوز فى لفظ مفرد كان مجازا مفرداً نحو فى إطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع، وإذا كان التجوز فى لفظ مركب كان مجازا مركبا كأن تقول للمتردد فى شئ : انى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.

وقد استأثر المجاز المفرد بجل دراسات البلاغيين نظرا لكثرته فى الأساليب، وتشعب مباحثه.

المجاز اللغوى المفرد :

هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له، لعلاقة، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى. فإذا قلت : حدثنى أسد، ترى أن كلمة «أسد» مستعملة فى غير معناها الأصلى لأنك تقصد بها الرجل الشجاع، وهى فى الأصل موضوعة للحيوان المفترس المعروف، وعلى هذا فهى من قبيل المجاز.

ويطلق البلاغيون على المعنى الأصلى : المعنى الأول، ويطلقون على المعنى المجازى : المعنى الثانى. وقولهم فى التعريف «الكلمة المستعملة» يخرج الكلمة التى لم تستعمل، فهى لا توصف بحقيقة ولا مجاز، وقولهم : «فى غير ما وضعت له» يخرج الحقيقة، لأنها مستعملة فيما وضعت له.

والعلاقة: هى المناسبة بين المعنى الأصلى الموضوع له اللفظ وبين المعنى المجازى المقصود، كالشجاعة في المثال السابق. ولابد فى كل مجاز من علاقة تربط بين المعنى الأصلى والمعنى المجازي، وإلا كان معيبا غير مقبول. وكثيرا ما يطلقون على هذه العلاقة مصطلح «الجامع» نظرا لأنها تجمع بين المعنيين الأول والثانى.

والقرينة هى ما تدل على أن الكلمة مستعملة فى غير معناها الأصلي، ولولاها ما عرفنا أن الكلمة من قبيل المجاز، والقرينة قد تكون لفظية، وقد تكون مفهومة من الحال والواقع ونحو ذلك[١]. وفى المثال الذى سبق توجد قرينة لفظية وهى لفظ «حدثنى» إذ يدل على أن المراد بالأسد هو الرجل الشجاع، لا الأسد الحقيقى لأنه لا يتحدث مع أحد، ولابد في كل مجاز من قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقى، وبدون هذه القرينة لا يصح القول بمجازية اللفظ ويلزم صرفه إلى الحقيقة.

أقسام المجاز باعتبار العلاقة :

عرفت أن المجاز لابد فيه من علاقة تربط بين المعني الحقيقى والمعنى المجازي. وقد تبين للبلاغيين من تتبع الأساليب وجود نوعين من العلاقات : علاقات تقوم على التشابه فى صفة من صفات. وعلاقات تقوم على رابطة أخرى غير التشابه. وبناء على هذين النوعين، قسموا المجاز إلي قسمين: استعارة ومجاز مرسل.

فإذا كانت العلاقة فى المجاز قائمة على التشابه بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى صفة من الصفات كان هذا المجاز «استعارة» كما إذا قلت: صافحت الغيث، فلفظ الغيث مجاز، ومعناه الرجل الكريم، وهذا المعنى المجازى يرتبط بالمعنى الحقيقى للغيث من جهة التشابه فى صفة الجود والعطاء، وعلى هذا فهو من قبيل الاستعارة، لقيام العلاقة فيه على المشابهة.

---

(١) سيأتى حديث مفصل عن القرينة فى ص:١٦٢ .

وإذا كانت العلاقة في المجاز قائمة على رابطة أخرى غير التشابه فهو «مجاز مرسل» كما إذا قلت : ألقيت فى الحفل كلمة بليغة، فلفظ «كلمة» مجاز، ومعناه الخطبة، والعلاقة بين الكلمة والخطبة هى الجزئية لأن الكلمة جزء من الخطبة، وهذا النوع من المجاز يسمى «المجاز المرسل» لأن العلاقة فيه تقوم على غير المشابهة. وسنبدأ بالحديث عن الاستعارة ثم يلى ذلك حديثنا عن المجاز المرسل.

الاستعارة

هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى. وبناء على هذا التعريف يكون مدلول الاستعارة نفس اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له، كالأسد والغيث فيما سبق.

وقد يراد بالاستعارة فعل المتكلم الذى نقل اللفظ فى معناه إلى معنى آخر، وحينئذ يقال فى تعريفها: استعمال اللفظ فى غير ما وضع له..الخ. ويقال فى تعريفها: هى مجاز علاقته المشابهة، أو هى ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له، والتعريف الأول أيسر وأسهل لذا كان شائعا فى كتب المحدثين دائرا على ألسنة الدارسين.

وللاستعارة أركان ثلاثة :

١- المستعار : وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له.

٢- المستعار منه : وهو المعنى الحقيقى للفظ المستعار.

٣- المستعار له : وهو المعنى المجازى الذى يقصده المتكلم. والمستعار منه، والمستعار له، هما طرفا الاستعارة. وهما بمثابة طرفى التشبيه، فالمستعار له بمثل المشبه، والمستعار منه بمثل المشبه به.

وإليك مثالا يوضح ذلك: استقبل الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنشاد جميل جاء فى مطلعه :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

والمقصود بالبدر الرسول صلي الله عليه وسلم، ففي اللفظ استعارة، ويمكنك أن تتبين فيه الأركان الثلاثة. فالمستعار : البدر، والمستعار منه : البدر الحقيقى الذى ينير ليلا، والمستعار له : الرسول صلى الله عليه وسلم. والعلاقة بينه وبين البدر الحقيقى، هى التشابه فى الضياء والهداية فالبدر ينير ظلام الليل، والرسول صلى الله عليه وسلم ينير العقل ويهدى الناس إلى

الطريق المستقيم، والقرينة التى دلت على إرادة المجاز ومنعت قصد الحقيقة قولهم : من ثنيات الوداع، لأن البدر الحقيقى لا يطلع من هذا المكان، وإنما طلع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. والاستعارة في أصلها تشبيه بولغ فيه فحذفت أركانه سوى طرف منه، فإذا قلت: رأيت أسدًا يخطب فى الجنود، فلفظ الأسد مستعار للقائد الشجاع، وأصل الكلام : رأيت قائدا كالأسد يخطب فى الجنود، فحذف المشبه، والأداة، وبقى المشبه به، فصار الكلام: رأيت أسدا يخطب فى الجنود، وبذلك تحول الكلام من التشبيه إلى الاستعارة.

ومن هنا قالوا أن العلاقة فى الاستعارة قائمة على المشابهة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازي، وذلك لأن أصلها التشبيه. وعندما يريدون تحليل الاستعارة، فإنهم يعودون بها إلى أصلها الذى هو التشبيه، ويبينون ما حذف منه حتى صار استعارة، ويسمون هذه العملية «إجراء الاستعارة» فإذا أرادوا إجراء الاستعارة فى المثال السابق يقولون : شبه القائد الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة فى كل منهما، وحذف المشبه وجئ بالمشبه به مكانه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية[1]، والقرينة : يخطب فى الجنود، لأن هذا الفعل لا يقع من الأسد الحقيقي.

واذا أرادوا إجراء الاستعارة فى لفظ «البدر» فى البيت السابق، يقولون: شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبدر، بجامع الضياء والهداية فى كل، وحذف المشبه وجئ بالمشبه به مكانه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وهكذا يفعلون بكل استعارة ليبينوا أصلها، وما حذف منه، ونوع الاستعارة بناء على هذا الحذف.

---

(١) سيأتى بيان هذه المصطلحات في أقسام الاستعارة.

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى :

اختلف البلاغيون في نوع المجاز الاستعارى، هل هو مجاز لغوى أو مجاز عقلى ؟

فجمهور البلاغيين يرون أن الاستعارة مجاز لغوى، ودليلهم على ذلك : أن اللفظ المستعار، منقول من معناه اللغوى الحقيقى إلي معنى آخر، وهذا التصرف مجاله اللغة، ويتعلق بالدلالة اللغوية للفظ.

كما أن اللفظ المستعار الذى هو«أسد» مثلا فى قولك : حدثنى أسد، موضوع للمشبه به الذى هو الحيوان المفترس المعروف، وليس موضوعا للمشبه الذى هو الرجل الشجاع، ولا لأمر يجمع المشبه والمشبه به كمطلق الشجاعة، لأنه لو كان موضوعا للمشبه لكان استعماله في الرجل الشجاع حقيقة، لا عن طريق التشبيه، ولو كان موضوعا للمعنى العام الذي هومطلق الشجاعة، لكان وصفا مشتقا لا اسم جنس، وهو ليس كذلك، وإذا ثبت أنه ليس موضوعا لأحدهما، كان استعماله في الرجل الشجاع على سبيل التشبيه، والادعاء، ونقله من معناه اللغوى الحقيقى إلى معنى آخر، وهذا أمر يتعلق باللغة، وعلى هذا فالاستعارة مجاز لغوى[١].

وبعض البلاغيين يرى أن الاستعارة مجاز عقلى، بمعنى : أن التصرف فيها يتم عن طريق أمر عقلى لا لغوى[٢].

---

(١) انظر فى ذلك : أسرار البلاغة : ٣٧٣، ٤١٤. ومفتاح العلوم : ٣٧٠، والإيضاح : ٥/ ٥١، ٥٢.

(٢) من هذا تعلم : أن المراد بالمجاز العقلى هنا : هو التصرف فى أمر يدرك بالعقل، وهو المعانى العقلية، وذلك بادعاء أن بعضها، وهو المشبه، داخل فى بعضها الآخر، وهو المشبه به على سبيل الادعاء والتقدير، وليس المراد بالمجاز العقلى هنا : إسناد الشئ لغير ما هو له، لأنه إنما يكون فى التراكيب المحتوية على إسناد، وهذا غير متحقق هنا. فالمجاز العقلى يطلق على أمرين كما رأيت. وانظر حاشية الدسوقى «شروح التلخيص» : ٤/ ٨٥.

لأنك لا تنقل اللفظ المستعار من المشبه به إلى المشبه مستقلا عن معناه، بل تنقله مع معناه، وتطلقه على المشبه بعد تناسى التشبيه، وادعاء دخول المشبه فى جنس المشبهٍ به، وجعله فردا من أفراده، وهذه تصرفات عقلية. وهى تجعل اللفظ المستعار مستعملا فيما وضع له، لأن التصرفات العقلية قد صيرت المشبه فردا من أفراد المشبه به، فإطلاق اسم المشبه به عليه حقيقة لغويه، وليس مجازا لغويا، لأن اللفظ فى المجاز اللغوى يكون مستعملا فى غير ما وضع له.

واستدلوا على أن اللفظ المستعار إنما يكون استعارة بعد نقله ونقل معناه إلي المشبه بأمور[١]:

١- أن مجرد نقل الاسم وحده دون معناه، لو كان استعارة، لكانت الأعلام المنقولة مثل : يزيد، ويشكر، وصخر، استعارة وهى ليس كذلك، لأنها منقولة دون معانيها.

٢- أن الاستعارة لو قامت على نقل الاسم وحده دون معناه، لما كانت أبلغ من الحقيقة، إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه، فلا مبالغة- مثلا- فى إطلاق اسم الأسد، على الرجل الشجاع، إلا بعد نقل معنى الأسدية إليه.

٣- أن الاستعارة لو قامت على نقل الاسم وحده دون معناه، لما صح أن يقال لمن قال : شاهدت بدراً، وهو يريد به وجهها حسناً، أنه جعله أو صيره بدراً، كما لا يقال لمن سمى ابنته بدرا: أنه جعلها أوصيرها بدراً، بل يقال : سماها بدراً.

---

(١) راجع هذا فى الإيضاح : ٥/٥٢، ٥٣، وشروح التلخيص : ٤/٥٩-٦٢.

واستدلوا على أن إطلاق اسم المشبه به على المشبه فى الاستعارة، إنما يكون بعد ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به[١]، وهذا تصرف عقلى بمايلى[٢]:

١- لولا ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، وجعله فردا من أفراده، لما صح التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

فلفظ «شمس» في البيت الثانى مستعار للغلام الذى قام على رأسه يظلله من حر الشمس، ولولا أنه ادعى لذلك الغلام معني الشمس الحقيقى، وجعله شمسا على الحقيقة، لما كان لتعجبه منه معنى، إذ لا تعجب فى أن يظلل إنسان مشرق الوجه إنسانا آخر.وحاصل هذا أن الشمس بهذا الادعاء مستعملة فيما وضعت له فليس فيها مجاز لغوى، والمجاز واقع فى الادعاء وما صاحبه من أمور عقلية، فالمجاز عقلى.

٢- لولا هذا الادعاء، لما صح النهى عن التعجب فى قول ابن طباطبا :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر[٣]

وقول ناصر الدولة الحمدانى :

---

(١) هذا الادعاء يجعل اللفظ المستعار عندهم مستعملا فيما وضع له، والمجاز بني على تصرف عقلى فهو مجاز عقلى كما ذكرنا آنفا.

(٢) انظر الإيضاح : ٥/٥٤، ٥٥، وشروح التلخيص : ٤/٦٢-٦٤. وراجع أسرار البلاغة : ٣٠٢-٣٠٧.

(٣) الغلالة : ثوب صغير ضيق الكمين كالقميص يلبس تحت الثوب، وزر : أي شد.

ترى الثياب من الكتان يلمحهـــا
نور من البدر أحيانا فيبليهـــا
فكيف تنكر أن تبلى معاجرهـــا[1]
والبدر فى كل وقت طالع فيهـا

فـالقمر فى بيت ابن طباطبا، والبدر فى البيت الثانى من بيتى ناصر الدولة، مستعاران للمشبه، بعد ادعاء دخولهما فى جنس القمر، والبدر، وأنهما قد صارا قمراً وبدراً على الحقيقة، ولولا هذا الادعاء، لما صح النهى عن التعجب من بلى الغلالة، والمعاجر، لأنهما تلاصقان جسم القمر والبدر، وهما يبليان الثياب. والشائع لدى العرب، أن ضوء القمر يبلى الثياب الكتانية.

وكأن هذا الادعاء جعل القمر والبدر مستعملين فيما وضعا له، فلا مجاز فيهما من حيث اللغة، والمجاز فى الادعاء وما صاحبه من خطوات عقلية، فهو مجاز عقلى.

وقد رد الجمهور على المخالفين بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له، لأن الألفاظ لها معان محددة فى اللغة، فالأسد يطلق على الحيوان المفترس المعروف، والشمس تطلق على الكوكب النهارى الذي يضئ الكون، والبدر يطلق على الكوكب الليلى المخصوص، وهكذا...

فإذا ادعينا أن الرجل الشجاع أسد، وأطلقنا عليه اسم الأسد، أو أن الوجه الحسن بدر، وأطلقنا عليه اسم البدر، فهذا الادعاء لا يغير من الحقيقة شيئاً مهما بلغ، ويكون الأسد والبدر مستعملين فى غير ما وضعا له، على

---

(١) المعاجر: جمع معجر، وهو ثوب تشده المرأة على رأسها.

سبيل الاستعارة، وتكون الاستعارة من المجاز اللغوى، الذى يستعمل فيه اللفظ فى غير ما وضع له.

وأما التعجب والنهى عن التعجب فقد صحا فيما ذكر، لبناء الاستعارة على تناسى التشبيه، وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، وهذا أمر ادعائى تخييلى، يحقق المبالغة ولكنه لا يغير من الحقيقة شيئاً، فيبقى اللفظ المستعار مستعملا فى غير ما وضع له، مهما بلغت درجة الادعاء، وعلى هذا فهى من المجاز اللغوى[١].

القرينة المانعة لا تنافى الادعاء :

تقوم الاستعارة على تناسى التشبيه، وادعاء أن المشبه داخل فى جنس المشبه به، وهذا يقتضى أنهما شئ واحد، كما أنه لابد فى الاستعارة من نصب قرينة تمنع إرادة المشبه به، وتعين إرادة المشبه، وهذا يقتضى أنهما متغايران. فهل نصب القرينة المانعة يتعارض حقا مع ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ؟

أجاب البلاغيون عن هذا التساؤل بما حاصله: أن نصب القرينة المانعة لا يتعارض ولا يتنافى مع الادعاء، لأنك حين تقول : حدثنى أسد، مدعيا الأسدية للرجل الشجاع، تبنى هذا الادعاء على تخيل أن أفراد جنس الأسد قسمان: قسم متعارف وهو الذى يمثل حقيقة الأسد الأصلية كما هو موجود، وقسم غير متعارف وهو الذى يمثل حقيقة الأسد على سبيل الادعاء، لما يتصف به من شجاعة وقوة. والقرينة التى تنصب فى الكلام تمنع إرادة القسم الأول الذى يمثل الحقيقة الأصلية، وتعين إرادة القسم الثانى الذي يمثل الحقيقة الادعائية. ومن هنا لا تتنافى القرينة مع الادعاء.

---

(١) انظر رد الجمهور فى الإيضاح : ٥/٥٥، وشروح التلخيص : ٤/٦٥-٦٧.

وتنويع أفراد الجنس الواحد، مسلك موجود فى كلام العرب، مبني على التأويل والتخييل العقلى، فهم يقولون للرجل الشجاع : ليس بإنسان ولكنه أسد، فيتخيلون أن أفراد الأسد على نوعين: نوع هو الحيوان المعروف، ونوع هو الإنسان الذى يتصف بالشجاعة.

ومماجاء من التنويع في أفراد الجنس قول المتنبى :

نحن ركب ملجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال[1]

فجعل الجن نوعين : نوع حقيقى، ونوع فى لباس الإنس، كما جعل الطير نوعين : نوع هو الطير الحقيقى، ونوع هو الجمال. وفى الشطر الأول شبه الركب بالجن، وفى الشطر الثانى استعار الطير للجمال.

ومما هو مبنى على هذا التنويع الخيالى قول عمرو بن معدى كرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع[2]

فجعل التحية نوعين : نوع بالسلام كما هو معهود، ونوع بالضرب، وهو ما نص عليه. وفي «تحية» استعارة تهكمية، مبنية على تنزيل مواجهة الأعداء بالأذى، منزلة ملاقاتهم بالتحية، تهكما بهم، وسخرية منهم.

ومنه قولهم : عتابك السيف. فجعلوا العتاب على نوعين : عتاب بالكلام، وعتاب بضرب السيف. وفى التعبير استعارة تهكمية، حيث نزل الضرب بالسيف منزلة العتاب بالكلام، قصداً للتهكم والسخرية، واستعير

---

(١) ملجن : أراد من الجن، فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن، يقول : إنهم كالجن فى ألفة المجاهل والفلوات، وركائبهم كالطير فى سرعة قطع المسافات. شرح ديوان المتنبى : ٣/٣١١.

(٢) دلف : نهض وتقدم.

اللفظ الدال على المشبه به وهو العتاب للمشبه وهو الضرب، بقرينة السيف[١].

الاستعارة تفارق الكذب :

والاستعارة لون بديع من ألوان البيان تقوم على التأويل، والتخييل، وهى ليست كذبا، ولا يقصد بها الكذب، لأنها تفارق الكذب من وجهين :

١- أن بناء الاستعارة على دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به لا صلة له بالكذب، لأن هذا الادعاء قائم على التأويل والتخييل العقلى، والكذب لا تأويل فيه ولا تخييل.

٢- أن الاستعارة لابد فيها من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى، وتعيين المراد، والكذب لا تقوم فيه قرينة تمنع إرادته، والكاذب بجتهد فى إخفاء كذبه، ولا يقيم قرينة تدل على أنه لا يريد حقيقة كلامه.

وبهذا تختلف الاستعارة عن الكذب.

قرينة الاستعارة :

علمت أنه لابد فى الاستعارة من قرينة تدل على المراد، وتبين أن اللفظ المستعار لا يراد به معناه الحقيقى، وهذه القرينة تكون فى الاستعارة التصريحية شيئا له علاقة بالمشبه، وفى المكنية تكون شيئا له علاقة بالمشبه به.

والقرينة نوعان : لفظية وغير لفظية :

فغير اللفظية، كدلالة الحال، أو استحالة المعنى على قصد الحقيقة، ونحو ذلك. فمثال دلالة الحال : أن ترى وجها حسنا فتقول :

---

(١) الإفصاح : ١٥٨، وراجع مفتاح العلوم : ٣٧٢، والإيضاح : ٥/٥٦، ٥٧.

طلع البدر، فدل الحال على أن البدر مستعار للوجه الحسن، ومثال استحالة المعنى الحقيقى قولك : نطقت الحال، فالنطق مستعار للدلالة، بقرينة استحالة النطق الحقيقى من الحال.

والقرينة اللفظية : هى ذكر ما يلائم المشبه فى الاستعارة التصريحية، وذكر ما يلائم المشبه به، وإثباته للمشبه، فى الاستعارة المكنية.

بيان ذلك أنك تقول : شاهدت جبالا تعبر المحيط، فاستعرت الجبال للسفن بجامع الضخامة، والقرينة: تعبر المحيط، وهى مما يلائم المشبه، الذى هو السفن، والاستعارة تصريحية.

وتقول : نواجذ الشر حادة، فشبهت الشر بحيوان مفترس، وحذفت المشبه به، وجئت بلازمه، وهو النواجذ، وأثبته للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات لازم المشبه به للمشبه.

وقرينة الاستعارة تأتى على وجوه :

١- أن تكون معنى واحدا، كقولك : حدثنى أسد، وغنت لنا ظبية، فذكر الحديث قرينة تدل على أن المراد بالأسد الرجل الشجاع، وذكر الغناء قرينة تدل على أن المراد بالظبية المغنية الحسناء. وكل منهما شئ واحد.

٢- أن تكون أكثر من معنى : وكل واحد منها يكفى لأن يكون قرينة بمفرده كما فى قول بعض العرب :

فان تعافوا العدل والإيمانا فإن فى أيماننا نيرانا

ومعناه : إن تكرهوا الإنصاف والإيمان، نحاربكم بسيوفنا التى تلمع فى أيدينا كالنيران، فالنيران مستعارة للسيوف، والقرينة الدالة على الاستعارة تعلق الفعل «تعافوا» بكل من العدل والإيمان، وكل واحد منهما كاف لأن يكون قرينة بمفرده. وإنما جمع بينهما، لأن حربهم لا

يكون إلا برفضهم الأمرين معا، أما الرضا بواحد منهما فيمنع حربهم، بناء على أن المطلوب هو الإيمان أو الجزية أو القتال عند رفض ذلك.

٣- أن تكون عدة معان ملتئمة ارتبط بعضها ببعض، وتتكون من مجموعها القرينة، ولا يصلح الواحد منها أن يكون قرينة على انفراده كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها
على أرؤس الأقران خمس سحائب[1]

فاستعار لفظ «السحائب» لأصابع الممدوح، لأنها تشبه السحاب فى العطاء والجود. والقرينة المانعة من إرادة السحائب الحقيقية، جميع ما سبق فى البيت، من ذكر الصاعقة، وأنها ساقطة من حد سيفه، وأنها منقلبة على رؤوس الأقران، وأن الذى يقلبها عليهم «خمس» وهو عدد أصابع اليد، فدل كل ذلك على أن السحائب واردة على المجاز، لا على الحقيقة، ولا يكفى واحد من هذه الأشياء الأربعة أن يكون قرينة بمفرده، لعدم تعين المراد به.

أقسام الاستعارة[2]:

للاستعارة أقسام متنوعة باعتبارات مختلفة، فلها :

١- أقسام باعتبار تحقق المعنى المستعار له وعدم تحققه.

٢- أقسام باعتبار ذكر أحد طرفيها.

٣- أقسام باعتبار اللفظ المستعار.

---

(١) النصل : حد السيف، أى : من نصل سيف الممدوح. وتنكفى: تنقلب والأقران : جمع قرن، وهو والمكافئ المماثل.

(٢) انظر مفتاح العلوم : ٣٧٣، والإيضاح : ٦٢/٥، والإفصاح : ١٦٢.

٤- أقسام باعتبار ذكر الملائم.

٥- أقسام باعتبار الطرفين.

٦- أقسام باعتبار الجامع.

٧- أقسام باعتبار كل من الطرفين والجامع.

٨- أقسام باعتبار الإفراد والتركيب.

وفيما يلى تفصيل لهذه الأقسام :

١- أقسام الاستعارة باعتبار تحقق المعنى المستعار وعدم تحققه :

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى قسمين : تحقيقية، وتخييلية.

فالاستعارة التحقيقية : ما كان المعنى المراد بها له تحقق ووجود، سواء أكان حسيا، أم عقليا. كما في قوله تعالى :(وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) (١).

ففى لفظ «يموج» استعارة، والمستعار منه، حركة الماء المضطربة، والمستعار له، حركة الخلائق يوم القيامة وما فيها من اضطراب وحيرة، وهذا المعنى له تحقق ووجود، وهو مدرك بالحس.

وكما فى قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) (٢) ففى لفظ «اصدع» استعارة، والمستعار منه، كسر الزجاجة، والمستعار له، الجهر بتبليغ الدعوة، وهذا المعنى أمر عقلى متحقق.

والاستعارة التخييلية : ما كان المستعار له أمرا متخيلا لا تحقق له ولا وجود، وهى مرتبطة بالاستعارة المكنية، لأنها تتمثل فى إثبات لازم المشبه به للمشبه في الاستعارة المكنية، فإذا قلت : أنياب الدهر حادة، فقد جعلت

---

(١) الكهف : ٩٩.

(٢) الحجر ٩١.

للدهر أنيابا، وإثبات الأنياب للدهر استعارة تخييلية، كما يرى البلاغيون- وأنت ترى أن هذا الأمر لا تحقق له فى الخارج، لأن الإثبات ليس أمرا لفظيا بل هو أمر عقلى متخيل.

٣- اقسام الاستعارة باعتبار ذكر احد طرفيها :

سبق أن عرفت أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، والمذكور فى الاستعارة تارة يكون المشبه به دون المشبه، وتارة يكون بعض لوازم المشبه به مع المشبه، وبناء على هذا تنقسم الاستعارة إلى قسمين : تصريحية ومكنية.

فالتصريحية : هى ما صرح فيها بلفظ المشبه به، المستعار للمشبه بعد حذفه. كالأمثلة التى سبقت فى الاستعارة التحقيقية، ومن هذا أيضا قول الرسول صلي الله عليه وسلم «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها» ففى لفظ «طار» استعارة والمستعار منه الطيران الحقيقى فى الجو، والمستعار له السرعة، فالاستعارة مبنية على تشبيه السرعة بالطيران وحذف فيها المشبه الذي هو السرعة، وأبقى على المشبه به وهو الطيران، فالاستعارة تصريحية.

ومنها قول المتنبى فى مدح محمد بن سيار :

فلما رآنى مقبلا هز نفسه
إلى حسام كل صفح له حد
فلم أر قبلى من مشى البحر نحوه
ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

لقد استقبل الممدوح الشاعر استقبالا حافلا، فلما رآه مقبلا عليه اهتز للقائه، وأسرع إليه يعانقه عناقا حاراً. وقد شبهه فى البيت الأول بالحسام الذى يقطع بوجهيه، وفى البيت الثانى جعله بحرا وأسدا على سبيل الاستعارة

التصريحية التى قامت على حذف المشبه والتصريح بالمشبه به، والقرينة فى ذكر المشى والمعانقة.

والمكنية : ما ذكر فيها لازم المشبه به بعد حذفه وأثبت للمشبه.

كما فى قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) [١] فالذل مشبه بطائر ضعيف، وحذف المشبه به، وجئ بلازمه وهو الجناح وأثبت للمشبه والمراد - والله أعلم - أمر الولد بخفض جانبه لوالديه، واللين لهما، حتى يبلغ بالذل والاستكانة لهما إلى أبعد غاية، فاستعير الجناح، لما فيه من المعانى التى لا تحصل من خفض الجانب، لأن من ميل جانبه إلي جهة السفل أدنى ميل، صدق عليه أنه خفض جانبه، والمراد خفض يلصق الجنب بالإبط، ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر [٢].

وبعد هذا التصور المبسط للمكنية نفصل لك الحديث عنها فنقول :

يختلف البلاغيون في ضبط الاستعارة المكنية وتحديدها، وأشهر الآراء فى ذلك ثلاثة :

(١) رأى الجمهور :

يرى جمهور البلاغيين أن الاستعارة بالكناية هى : لفظ المشبه به المستعار للمشبه، المحذوف، والمدلول عليه بذكر لازمه، فاذا قلت : لسان الحال يغنى عن المقال، فقد شبهت الحال بإنسان ثم حذفت المشبه به وهو الانسان، وجئت بلازم من لوازمه وهو اللسان وأثبته للحال فقلت : لسان الحال. فالاستعارة هنا فى لفظ المشبه به المحذوف وهو الإنسان، وقد رمز إليه بشئ من لوازمه ليدل عليه. وسميت مكنية لأنها مضمرة ومختفية، وقد كنى عنها بذكر لازمها والقرينة فى هذه الاستعارة هى إثبات لازم المشبه به للمشبه، وهذا

---

(١) الاسراء : ٢٤.

(٢) البرهان : ٣/٤٣٣.

اللازم- الذى هو «اللسان فى المثال السابق- مستعمل فى معناه الحقيقى وإنما المجاز فى إثباته للمشبه، وهذا الإثبات استعارة تخييلية، ولا تحقق له فى الخارج كما علمت آنفا.

(٢) رأى السكاكى :

يرى السكاكى أن الاستعارة بالكناية هى : لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به، على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به. وقد بين ذلك بقوله : هى أن تذكر المشبه، وتريد به المشبه به، دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها [١]، ففى المثال السابق : لسان الحال يغنى عن المقال.

تكون الاستعارة فى لفظ «الحال» بعد ادعاء أنه داخل فى الإنسان وفرد من أفراده، وعلى هذا فلفظ «الحال» مستعمل فى غير معناه ادعاء فيكون استعارة من هذه الزاوية، ولماكان هذا الأمر خفيا سميت الاستعارة «مكنية» لخفائها وعدم ظهورها.

وقرينة هذه الاستعارة عنده تتمثل فى نسبة شئ من لوازم المشبه به للمشبه المذكور، على سبيل الاستعارة التخييلية[٢].

ويرد على رأى السكاكى، أن الاستعارة مجاز لغوى، يقوم على استعمال الكلمة فى غير معناها الذى وضعت له، وكلمة «الحال» في المثال السابق مستعملة فى معناها الحقيقى، وليست مستعملة فى الإنسان حتى تكون استعارة، وادعاء أنها من جنس الإنسان لا يلزم منه أنها استعملت فى غير معناها. ولو سلمنا جدلا بهذا الادعاء، لكان لفظ «الحال» مستعاراً

---

(١) مفتاح العلوم : ٣٧٨.

(٢) المرجع السابق نفسه.

للإنسان، وكان هذا من قبيل الاستعارة التصريحية، حيث حذف المشبه وصرح بالمشبه به.

(٣) رأى الخطيب :

ويرى الخطيب القزوينى أن الاستعارة بالكناية هى التشبيه المضمر فى النفس الذى لم يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه، ودل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به للمشبه.

ففى المثال السابق: لسان الحال يغنى عن المقال. يكون «الحال» قد شبه بإنسان تشبيها مضمرا فى النفس، ولم يصرح فى الكلام بشئ من أركانه سوى لفظ المشبه وهو «الحال» ، وأثبت لازم المشبه به للمشبه، للدلالة على وجود التشبيه المضمر فى النفس، وإثبات هذا اللازم للمشبه استعارة تخييلية.

ويرد على رأى الخطيب بأنه سمى التشبيه المضمر فى النفس استعارة، ولا وجه لذلك، لأنه عمل من أعمال المتكلم، وليس لفظا استعمل فى غير ما وضع له حتى يكون استعارة. ومن عرض آراء البلاغيين في الاستعارة المكنية ترى أن رأى الجمهور هو أوضح الآراء وأولاها بالقبول.

ولازم المشبه به الذى يسند إلى المشبه، لابد أن يكون شيئا له اختصاص قوى بوجه الشبه فى المشبه به، وقد قسموه إلى نوعين :[١]

أحدهما: ما يتحقق به كمال وجه الشبه فى المشبه به، كما فى قولك : ظهر وجه الحق. شبه الحق بإنسان مشرق الوجه، بجامع الظهور والإشراق فى كل، وحذف المشبه به، وأثبت لازمه وهو الوجه للمشبه وهو الحق، وهذا اللازم يتحقق به كمال الإشراق والوضوح في المشبه به، لأن الوجه هو مظهر الوضوح والإشراق فى الإنسان.

---

(١) الإفصاح : ٢٠٢.

الثانى : ما يتحقق به وجود وجه الشبه فى المشبه به، كما فى قولك : مشتت بنا أقدام الزمن إلي المصير المحتوم، شبه الزمن بإنسان يذهب إلي غايته ومنطلقه، بجامع الانتقال فى كل ، وحذف المشبه به وأثبت لازمه وهو الأقدام للمشبه، وهذا اللازم لايوجد وجه الشبه فى الإنسان إلا به.

وإليك بعض أمثلة الاستعارة المكنية وبيانها على رأى الجمهور.

قال أبو ذؤيب الهذلى:

واذا المنية أنشبت أظفارهـــا ألفيت كل تميمة لا تنفـــع

فجعل للمنية أظفارا على سبيل الاستعارة المكنية، والأصل فيها تشبيه المنية بالسبع بجامع الفتك والافتراس فى كل، حذف المشبه به، ورمز إليه بلازمه وهو الأظفار، وأسند هذا اللازم إلى المشبه.

وقال لبيد بن ربيعة فى معلقته :

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فى البيت استعارتان بالكناية : الأولى فى قوله : بيد الشمال، شبهت الشمال بالإنسان بجامع التصرف في كل، واستعير الإنسان للشمال وحذف ورمز إليه بشئ من لوازمه وهواليد، وإثبات اليد للشمال استعارة تخييلية.

والثانية فى قوله : زمامها. حيث جعل للقرة زماما، بناء على تشبيهها بالبعير بجامع الانقياد للغير فى كل ، وحذف المشبه به، وإثبات لازمه وهو الزمام للمشبه الذى هو القرة.

وقال شوقى :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا

وانشـر على سمع الزمان الجوهـــرا

فأثبت للدنيا فما، وللزمان سمعا، على سبيل الاستعارة المكنية، وشبهت الدنيا بإنسان وحذف المشبه به بعد استعارته للمشبه، ورمز إليه بلازمه وهو الفم وأثبت للمشبه، وشبه الزمان بانسان وحذف المشبه به بعد استعارته للمشبه، ورمز إليه بلازمه وهو السمع، وأثبت للمشبه، وإثبات الفم للدنيا والسمع للزمان استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية.

وقال قريط بن أنيف العنبرى :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم

طاروا إليه زرافات ووحدانا

جعل للشر نواجذ، وفى هذا استعارة بالكناية، شبه فيها الشر بالسبع بجامع الضرر فى كل، وحذف المشبه به، بعد استعارته للمشبه ورمز إليه ببعض لوازمه وهو النواجذ.

وفى البيت استعارة تصريحية فى «طاروا» مبنية على تشبيه السرعة بالطيران، وحذف المشبه واستعارة المشبه به له، ومن هذا تعلم الفرق بين التصريحية والمكنية.

ومن هذا قول شوقي في مطلع الهمزية :

ولدى الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

وفى قوله «فم الزمان» استعارة بالكناية مبنية على تشبيه الزمان بإنسان وحذفه بعد استعارته للزمان، والدلالة عليه بلازم من لوازمه وهو الفم. وفى البيت استعارة تصريحية فى «الهدى» والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث شبه بالهدى وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به مكانه على سبيل الاستعارة.

(٣) أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار :

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى قسمين : أصلية وتبعية.

فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس يدل على غير معين من جنسه. سواء أكان اسم ذات كأسد وبدر، وشمس، أم كان اسم معنى كالكرم والضرب والقتل، وغير ذلك من المصادر.

ومن أمثلتها قول الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مـــرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

يستعطف الحطيئة أمير المؤمنين عمر حين حبسه، ويذكر له حال أطفاله الصغار الذين تركهم دون طعام أو شراب، وقد استعار للأطفال لفظ الأفراخ بجامع الضعف والحاجة إلى الرعاية فى كل ، وهى استعارة أصلية لأنها فى اسم جنس.

ومنها قول شوقى فى رثاء سعد زغلول :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانثنى الشرق عليها فبكاهـا

فقد استعار الشمس لسعد يرحمه الله، وهى استعارة أصلية لأن اللفظ المستعار اسم جنس.

ومنها قوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) [١] فالظلمات مستعارة لما كان فيه الناس من شر وضلال وجهل والنور مستعار للإيمان والهدى، وكل من الظلمات والنور اسم جنس، فالاستعارة فيهما أصلية.

---

(١) إبراهيم : ١.

ومنها قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)[١] فالصراط فى الأصل الطريق والمراد به هنا الإسلام، ففيه استعارة أصليه لأنه اسم جنس. ويدخل فى الاستعارة الأصلية أسماء الأعلام[٢] التى اشتهرت بصفات حتى صارت مثلا فيها كحاتم، وسحبان، وغيرهما، تقول : زارنا اليوم حاتم، تريد رجلا كريما واستمعت اليوم إلي سحبان، تريد خطيبا بليغاً.

وسميت الاستعارة فى الأنواع السابقة أصلية لأنها ليست متفرعة عن شئ ولأن المصدر أصل للمشتقات وهو من أنواعها.

والتبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا، أواسما مشتقا، أو حرفا. فمثال التبعية في الفعل قوله تعالى :(إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية)[٣] ففى «طغى» استعارة والأصل فيها تشبيه ارتفاع الماء على الأرض بالطغيان. بجامع مجاوزة الحد فى كل ، ثم استعير الطغيان لارتفاع الماء، واشتق من الطغيان طغى بمعنى ارتفع. ومن هذا نرى أن الاستعارة فى الفعل تابعة للاستعارة فى المصدر ومتفرعة عنه، لذا سميت تبعية.

ومنها قول ابن المعتز :

جمع الحق لنا فى إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

---

(١) الفاتحة : ٦.

(٢) الأصل : أن الاستعارة لا تقع فى أسماء الأعلام، لأنها موضوعة لذوات محددة، ولا تفيد الجنسية التى تطلق على كثيرين، ولكن إذا اشتهرت هذه الأعلام بصفات تفهم منها عند إطلاقها، صلحت للاستعارة، لأن الصفة تجعل اسم العلم كاسم الجنس، فى صلاحيته لأن يطلق على كثيرين.

(٣) الحاقة : ١١.

ففى كل من «قتل» و«أحيا» استعارة تبعية، ففي «قتل» شبه القضاء على البخل بالقتل بجامع إنهاء شئ فى كل، واستعير القتل للقضاء على البخل، واشتق منه قتل بمعنى قضى، وفى «أحيا» شبه إشاعة السماح بالإحياء بجامع إظهار شئ فى كل، واستعير الإحياء لإشاعة السماح واشتق منه أحيا.

ومنها قول الشاعر :

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبان

ففى كل من «يزرع» و«يحصد» استعارة تبعية مبنية على تشبيه فعل الشر بالزرع، وتشبيه ما يعود على فاعله من ضرر بالحصد، واستعير الزرع والحصد لفعل الشر وما يعود منه واشتق من المصدرين زرع وحصد.

والتبعية فى الاسم المشتق : تشمل ما تكون في اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وأسماء الزمان والمكان والآلة.

ومن أمثلتها قول شوقي :

دقات قلب المرء قائلة لـه إن الحياة دقائق وثـوان

ففي كلمة «قائلة» استعارة وهي اسم فاعل فالاستعارة فيها تبعية، وأصلها فى تشبيه الدلالة بالقول بجامع الإبانة فى كل، واستعير القول للدلالة، واشتق من القول قائلة بمعنى دالة.

ومنه قول الشاعر :

ولئن نطقت بشكر بـرك مفصحـا

فلسان حالى بالشكاية أنطـق

ففى قوله «أنطق» استعارة تبعية لأنها فى أفعل التفضيل، شبهت الدلالة بالنطق بجامع الإبانة فى كل ، واستعير النطق للدلالة، واشتق من النطق أنطق بمعنى أدل، والقرينة إسناد أنطق إلى ضمير «لسان حالى».

وظاهر لك أن فى «لسان حالى» استعارة مكنية سبق أن مر بك نظيرها» ومنها قوله تعالى (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)[١] ففى «مرقدنا» استعارة تبعية على جعله اسم مكان، إذ يكون مستعارا لمكان الموت وهو القبر، حيث شبه الموت بالرقاد بجامع انعدام الأثر فى كل، واشتق من الرقاد« مرقد» ويمكن جعله مصدرا ميميما وحينئذ يكون استعارة أصلية.

والاستعارة التبعية فى الحرف تكون في متعلقات معانيها، وهى المفهوم الذى يعبر عنهما عند تفسير الحرف، كمعنى الاستعلاء في «على» والظرفية فى «فى»، وهذا رأى الجمهور، أما رأى الخطيب فمتعلق معنى الحرف عنده هو مدخوله.

ومن أمثلتها المشهورة عند البلاغيين قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)[٢] ففيه استعارة تبعية فى «لام» ليكون «بناء» على أن اللام المذكورة مستعملة فى غير ما وضعت له، لأن ما بعدها ليس علة حقيقية لما قبلها، إذ التقطة آل فرعون لينتفعوا به أو يتخذوه ولدا.

وتوضيح الاستعارة على رأى الجمهور : شبه مطلق ترتب علة واقعية على الالتقاط بمطلق ترتب علة غائيةعليه، بجامع مطلق ترتب شئ على شئ، فسرى التشبيه من هذا الترتب العام إلى أفراده وجزئياته، فاستعيرت اللام من جزئى للمشبه به، وهو التقاطه للانتفاع به أو تبنيه، لجزئى من جزئيات المشبه، وهو التقاطه ليكون عدوا وحزنا.

---

(١) يس : ٥١.

(٢) القصص : ٨.

وتوضيحها على رأى الخطيب : شبهت العداوة والحزن الحاصلان بعد الالتقاط بالعلة الحقيقية التى هى الانتفاع به أو التبنى، بجامع ترتب شئ على شئ، واستعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه.

ومن أمثلتها قوله تعالى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) [١] ففى الحرف «فى» استعارة تبعية، لأنه موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين والجذوع ليست ظرفا للمصلوبين، فالحرف مستعمل فى غير ما وضع له.

وتوضيح الاستعارة فيه على رأى الجمهور : شبه مطلق استعلاء شئ على شئ، بمطلق تلبس ظرف بمظروف، بجامع التمكن فى كل، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «فى» من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه.

وتوضيحها على رأى الخطيب: شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن فى كل، واستعيرت «فى» الموضوعة لتلبس الظرف والمظروف لاستعلاء المصلوبين على الجذوع.

ومن هذا ترى أن مذهب الجمهور يقوم على تقدير التشبيه أولا فى متعلق معنى الحرف، ثم تقديره ثانيا فى جزئية من الجزئيات، ثم يستعار الحرف للمعنى المراد. أما مذهب الخطيب فيقوم على تقدير التشبيه فى المجرور بالحرف، واستعارة الحرف للمعنى المراد.

(٤) أقسام الاستعارة باعتبار الملائم :

الملائم هو ما يناسب أحد الطرفين : المستعار منه أو المستعار له، والاستعارة باعتبار ذكر ما يلائم أحد الطرفين وعدم ذكره على ثلاثة أقسام مرشحة ومجردة ومطلقة.

---

(١) طه/٧١.

١- **المرشحة** : هى ما قرنت بما يلائم المستعار منه- أى المشبه به- وذلك بعد استيفاء القرينة. تقول : حدثنى أسد قوى الزئير، فقد استعرت لفظ الأسد للرجل الشجاع بقرينة حدثنى، ووصفته بقوة الزئير وهى صفة تلائم المستعار منه الذى هو الأسد الحقيقى، وفى هذا تقوية للاستعارة وترشيح لها، وسميت الاستعارة مرشحة، لأنها قويت وأكدت بذكر ملائم المستعار منه الذى هو المشبه به، وذكره في الكلام يبعد الاستعارة عن الحقيقة، ويقوى دعوى الاتحاد التى هى مبنى الاستعارة ومنه قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم)[1] ففى «اشترو» استعارة تبعية، والمستعار له اختيار الضلالة، وقد قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه، وهو نفى الربح والتجارة، وهذا ترشيح وتقوية للاستعارة . لأنه أطلعنا على مشهد تجارة حقيقة، فيها بيع وشراء وربح وخسارة، والذين اشتروا الضلالة ودفعوا الهداية ثمناً لها هم الخاسرون .

ومنها قول الحطيئة السابق :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولاشجر

حيث استعار الأفراخ لأطفاله، وأتبع ذلك بوصف يلائم الأفراخ الحقيقية وهو قوله «زغب» الحواصل «فالاستعارة مرشحة. ومنها قول أبى العتاهية :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

---

(١) البقرة: ١٦ .

ففيه شبهت الخلافة بالعروس، وحذف المشبه به ورمز إليه بشى من لوازمه وهو مجيئها منقادة، وأتبعت بوصف يلائم المستعار منه وهو تجرر أذيالها، فهى مكنية مرشحة .

٢ - **المجردة:** وهى ماقرنت بما يلائم المستعار له - أى المشبه - كقولك: كلمت بحراً يجود بماله، فاستعرت البحر للرجل الكريم، وقرنته بما يلائم الرجل الكريم وهو قولك «يجود بماله» وهذا مايسميه البلاغيون تجريداً، وبه تكون الاستعارة مجردة، وسميت مجردة لتجردها عما يقوى فيها دعوى الاتحاد، لأن ذكر مايلائم المستعار له وهو المشبه يقربها من المعنى الحقيقى، ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين .

ومن الاستعارة المجردة قوله تعالي (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [١] فاللباس مستعار لما أصاب أهل القرية بسبب الجوع والخوف من آلام، وصفرة اللون وهزال الجسم وغير ذلك، وقد عبر بالإذاقة - التى تعنى الإصابة بما ابتلوا به - وهى تلائم المستعار له، فتكون تجريداً والاستعارة مجردة.

ولو كان التعبير فكساها لكان ترشيحاً، وإنما جاءت الآية على التجريد دون الترشيح، مع أنه أبلغ فى الأصل، لأن الغرض من الآية، الدلالة على أمرين: شدة الإصابة، وشمولها وعمومها. وجعل الاستعارة مرشحة لايحقق الدلالة علي كل من الأمرين، فلو قيل: كساها لباس الجوع ليكون ترشيحاً، لأفاد الشمول ولم يفد الشدة، لأن الكساء يلامس الجسد، فالاحساس به من طريق اللمس، وهو أضعف من الإحساس بطريق الذوق، ولو قيل: فأذاقها طعم الجوع، ليكون ترشيحاً أيضاً لأفاد الشدة ولم يفد الشمول الذى يدل عليه

---

(١) النحل: ١١٢ .

اللباس، فكان نظم الآية على ماجاءت عليه محققاً للغرض المقصود [١]، وبذلك يكون التجريد فى الآية أبلغ من الترشيح. ومن الاستعارة المجردة قول البحترى:

يؤدون التحية من بعيد ... إلى قمر من الإيوان باد

فاستعار القمر للممدوح بقرينة يؤدون التحية من بعيد، وقرنه بما يلائم المستعار له، وهو قوله «من الايوان باد» لأن القمر الحقيقى لايظهر من الإيوان، فالاستعارة مجردة .

ومنها قول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقاب المال

فالرداء مستعار للعطاء بجامع صون مايستعمل فيه كل منهما، ووصف الرداء بأنه غمر كثير، وهو وصف يلائم العطاء المستعار له، ولايلائم الثوب فيكون تجريداً، والقرينة مافى البيت من حديث عن المال، وضحك الممدوح عند بذله .

٣ - **المطلقة** : هى مالم تقترن بشئ يلائم أحد الطرفين، أو اقترنت بملائم للمستعار منه وملائم للمستعار له. فمن النوع الأول قولك: أنا فى ظمأ للقائك، فاستعرت الظمأ لشدة الشوق، بجامع التلهف على الشئ فى كل، بقرينة: للقائك، ولم تذكر بعد الاستعارة مايلائم المستعار منه أو المستعار له. وتسمى الاستعارة هنا مطلقة، لإطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد طرفيها .

---

(١) الإفصاح : ١٨٨، والمطول: ٢٧٧، ٢٧٨ .

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر)[١] فالصدع مستعار للجهر بالدعوة، ومعناه الحقيقى الشق والكسر، والقرينة قوله تعالى «بما تؤمر» ولم يذكر مع الاستعارةمايلائم أحد طرفيها، فهى استعارة مطلقة .

ومن النوع الثانى قولك : فى المسجد بحر عميق يعظ الناس، فالبحر مستعار للعالم المتمكن بقرينة «فى المسجد» وقرن بوصفين : العمق، وهو من ملائمات المستعار منه، ووعظ الناس، وهو من ملائمات المستعار له، فاجتمع فى الاستعارة ترشيح وتجريد فتكون مطلقة، لأن اجتماعهما يؤدى إلى تعارضهما وتساقطهما، فكأنه لاترشيح ولاتجريد .

ومن أمثلتها قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

فالأسد مستعار للرجل الشجاع وقد قرن بأوصاف بعضها يلائم المستعار له، وبعضها يلائم المستعار منه، فقوله «شاكى السلاح مقذف» يلائم المستعار له، وقوله: «له لبد أظفاره لم تقلم» يلائم المستعار منه، فاجتمع فى الاستعارة ترشيح وتجريد فهى استعارة مطلقة[٢].

ومن هذا قول كثير :

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر

ظواهر جلدى وهوللقلب جارح

فالسهم مستعار للنظر، وقد قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو «الريش» وبما يلائم المستعار له وهو «الكحل» فالاستعارة مطلقة .

ويرى البلاغيون أن الاستعارة المرشحة أقوى فى المبالغة من الاستعارتين المجردة والمطلقة، لأن الترشيح باعتباره من ملائمات المعنى المجازى المراد، يبعد

---

(١) الحجر: ٩٤ .

(٢) هذا هو الواضح فى البيت وفيه كلام غير هذا لايحتمله المقام .

الاستعارة عن المعنى الحقيقى، ويعضد المعنى المجازى ويقوى الادعاء بأن المشبه هو عين المشبه به، أما التجريد فيبعد الكلام عن المجاز، ويقربه من الحقيقة، ويضعف الادعاء باتحاد المشبه والمشبه به، وأما الاطلاق فيقف فى المبالغة عند الحد المستفاد من الاستعارة دون اعتبارات أخرى. والمبالغة فى الترشيح ناشئة من أن مبناه على كمال تناسى التشبيه، وادعاء أن المستعار له فرد من أفراد المستعار منه، وليس شيئاً شبيهاً به .

ولذلك يبنون على المستعار له مايبنى على المستعار منه، فعلو القدر والمنزلة يستعيرون له علو المكان، ويبنون الكلام على أنه علو مكانى حقيقة كما قال أبو تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء

فاستعار الصعود المكانى لعلو قدر الممدوح وسمو منزلته، وبنى على الاستعارة مايبنى على الحقيقة، معتبراً أن هذا الصعود مكانى، وأن الممدوح مازال يصعد ويصعد حتى كأنه له حاجة فى السماء .

ولولا أن قصده أن ينسى التشبيه، ويرفعه بجهده، ويصمم علي إنكاره وجحده، بجعله صاعداً فى السماء من حيث المسافة المكانية، لما كان لهذا الكلام وجه[1]. ومن هذا قول بشار :

أتعنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

وقول أبى الطيب :

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٠٢. وانظر الإيضاح : ١٠٣/٥، ومعاهد التنصيص : ١٥٣/٢ .

كبرت حول ديارهم لما بدت

منها الشموس وليس فيها المشرق

وقوله:

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه

ولارجلاً قامت تعانقه الأسد

فاستعار بشار الشمس لمن جاءته، وتناسى أن الكلام على التشبيه، وبنى كلامه على أنه بصدد شمس حقيقية، لها من الصفات ماللشمس الحقيقية، وكذلك فعل أبو الطيب فى استعارة الشموس، والبدر والأسد، إذ تناسى التشبيه، وبنى كلامه علي أنها أمور حقيقية(١).

ومن هذا ماذكرناه سابقاً من التعجب والنهى عن التعجب، إذ هو مبنى على تناسى التشبيه، وادعاء دخول المستعار له فى جنس المستعار منه، وجعله فرداً من أفراده(٢). وحكم البلاغيين على الاستعارة المرشحة بأنها أقوى من المجردة والمطلقة لايعنى أن الترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق فى كل حال، بل إن مقام الكلام قد يقتضى التجريد أو الاطلاق، وحينئذ يكون كل منهما أبلغ من الترشيح الذى لايفى بحق المقام، ولايؤدى الغرض المقصود من الكلام، ومثال ذلك ماسبق فى قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فقد بينا أن الآية جاءت على التجريد، وهو فيها أبلغ من الترشيح، لأن التجريد فيها حقق أغراضاً دقيقة لم تكن لتتحقق مع الترشيح .

---

(١) انظر أسرار البلاغة : ٣٠٣، ٣٠٤، وانظر كتابنا بحوث فى البلاغة والنقد: ١١٤ - ١٢٢ .

(٢) راجع موضوع : الاستعارة مجاز لغوى، الذى سبق شرحه .

٥ - أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

تنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها إلى قسمين: وفاقية وعنادية فالاستعارة الوفاقية: هى التى يمكن اجتماع طرفيها - المستعار منه والمستعار له - فى شئ واحد، لعدم تنافيهما. كما فى قوله تعالى: (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) [١] فالمرض مستعار للنفاق، والمستعار منه وهو المرض الحقيقى يمكن اجتماعه مع المستعار له وهو النفاق فى مكان واحد وهو القلب. لأنهما لايتنافيان، فهذه الاستعارة تسمى «وفاقية» .

ومثلها فى قوله تعالى: (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) [٢] فالعمى مستعار للكفر، بجامع الإيقاع فى المهالك والتخبط فى المخاطر، والعمى والكفر يمكن اجتماعهما فى شخص واحد، فالاستعارة وفاقية.

والاستعارة العنادية: هى مالايمكن اجتماع طرفيها فى شى واحد لكونهما متنافيين. ومن هذا قوله تعالى (إنك لاتسمع الموتى) [٣] فالموتى مستعار للكافرين الأحياء الذين لم يستجيبوا للهداية، فهم أحياء وجعلوا أمواتاً لعدم الاعتداد بصفة الحياة فيهم لأنهم لم ينتفعوا بفائدتها. والمستعار منه والمستعار له لايجتمعان .

ومن هذا قوله تعالى (أومن كان ميتاً فأحييناه) [٤] أى ضالاً فهديناه، وفي الآية استعارتان: الأولى عنادية وهى فى استعارة الميت للحى الضال، والضلال إنكار للحق وجحد له، وهو لايقع من الميت، فالطرفان لايجتمعان .

---

(١) البقرة: ١٠.

(٢) فصلت: ١٧ .

(٣) النمل: ٨٠ .

(٤) الأنعام : ١٢٢ .

والثانية وفاقية وهى فى استعارة الإحياء للهداية، والحياة والهداية يمكن اجتماعهما فى شئ واحد .

ويتفرع من العنادية نوعان من الاستعارة هما: التهكمية، والتمليحية: فالاستعارة التهكمية: تقوم على تنزيل التضاد الواقع بين طرفيها منزلة، التناسب لقصد السخرية والهزء، كما فى قوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) [١] فالبشارة فى الأصل هى الإخبار بما يسر، واستعيرت للإنذار، وهوالإخبار بما يسئ، وهم معنيان متضادان، وقد نزل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناسب، لقصد التهكم والسخرية بهم، شبه الإنذار بالتبشير، بجامع إحداث المسرة فى كل منهما، وإن كان ذلك على سبيل التنزيل والتخييل فى المشبه - واستعير التبشير للإنذار واشتق منه «بشر» على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية، وهى استعارة عنادية لأن طرفيها متضادان .

ومنها قوله تعالى: (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) [٢] فالهداية هى الدلالة بلطف، واستعيرت لأخذ الظالمين بعنف إلى النار، بعد تنزيل التضاد الواقع بين المعنيين منزلة التناسب قصداً للتهكم بهم والسخرية منهم وهى استعارة تهكمية لما فيها من هزء واستخفاف بالظالمين، وعنادية لأن اللطف والعنف لايجتمعان فى شئ واحد .

والاستعارة التمليحية: تقوم على تنزيل التضاد الواقع بين طرفيها منزلة التناسب بقصد الملاطفة والممازحة وإضحاك السامعين، مثل أن تلاطف صديقك البخيل وتمزح معه فتقول: جودك عم الناس. فالجود هنا مستعمل فى ضده، وهو البخل، وقد استعرت الجود للبخل بقصد المزح والتظرف، بعد تنزيل التضاد الذى بينهما منزلة التناسب .

---

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) الصافات: ٢٣ .

٦ - أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

الجامع هو العلاقة التى تربط بين المعنى الحقيقى الذى وضع له اللفظ، وبين المعنى المجازى المقصود، وهو مايسمى فى التشبيه بوجه الشبه، والجامع في الاستعارة على قسمين :

الأول: ماكان الجامع داخلاً فى مفهوم الطرفين، كما فى استعارة الطيران للعدو والجرى، فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها» فالطيران مستعار للجرى والعدو، بجامع قطع المسافة بسرعة فى كل ، وهذا الجامع موجود فى الطيران، وموجود فى العدو، وإن اختلفت الهيئة ودرجة السرعة .

وشبيه بهذا قول الأعرابية ترثى قتيلاً وتصفه بالفروسية :

لو يشا طار به ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل

فاستعارت الطيران لعدو الفرس بجامع قطع المسافة بسرعة فى كل، وهو جامع داخل فى حقيقة الطرفين .

ومن هذا استعارة الفيض لانبساط الفجر فى قول البحترى:

يتراكمون على الأسنة فى الوغى
كالفجر فاض على نجوم الغيهب

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص، وذلك أنه يفارق مكانه دفعة فينبسط، وللفجر انبساط وحالة شبيهة بذلك.(١)

---

(١) أسرار البلاغة : ٥٧ .

ومن هذا قوله تعالي (ومزقناهم كل ممزق)[١]، فقد فرق الله تعالي أهل سبأ بعد كفرهم بنعمه، والتمزيق فى أصل اللغة مختص بالثوب ونحوه[٢]، وقد استعير هنا لتفريق القوم وتشتيتهم، والجامع بينهما مافى كل منهما من فصل وتفريق، وفى التمزيق إشارة إلى ماكان بينهم من تلاحم شديد كتلاحم نسيج الثوب، وإلى أن هذا التفريق أفسد حياتهم وأحوالهم، وأثر فيهم تأثيراً شديداً .

ومن هذاقوله تعالى (وقطعنا هم فى الأرض أمماً)[٣] أى فرقناهم، فالتقطيع مستعار للتفريق، بجامع إزالة الاجتماع فى كل، وهذا الجامع متحقق فى طرفى الاستعارة .

والثانى: ماكان الجامع وصفاً خارجاً عن مفهوم الطرفين. كما فى قول المتنبى:

كبرت حول ديارهم لما بدت

منها الشموس وليس فيها المشرق

فاستعار الشموس للممدوحين، بجامع التهلل والإشراق فى كل، وهذا الجامع غير داخل فى حقيقة الطرفين، لأنه من الأوصاف الخارجة عن الحقيقة ومثل ذلك أن تقول: غنى بلبل الشرق فى حفل ساهر، فاستعرت البلبل للمطرب المشهور بجامع حسن الصوت فى كل، وهذا جامع خارج عن حقيقة الطرفين .

وتنقسم الاستعارة بحسب ظهور الجامع وخفائه إلى قسمين :

---

(١) سبأ: ١٩ .

(٢) أسرار البلاغة : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ١٦٨ .

عامية وخاصية .

فالعامية : ماكان الجامع فيها قريباً ظاهراً يدركه كل أحد، كاستعارة الأسد للرجل الشجاع، والبحر للرجل الكريم، والبدر لحسن الوجه، ونحو ذلك من الاستعارات الدائرة كثيراً على الألسنة .

والخاصية: ماكان الجامع فيها دقيقاً يحتاج فى إدراكه إلى تأمل وتفكير كما فى قوله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) (١).

استعير السلخ من كشط الجلد لإزالة ضوء النهار ليأتى الليل، بجامع ترتب شئ علي شئ، وهو جامع عقلى دقيق يحتاج إلى طول تأمل، نظراً لما بين طرفى الاستعارة من تباعد فى الجنس، ولما كان انفصال الليل عن النهار يحدث تدريجياً شيئاً فشيئاً، وكانت هوادى الصبح عند طلوعه كالملتحمة بأعجاز الليل استعير لذلك لفظ السلخ الدال على تفاصل المتلاحمين شيئاً فشيئاً، كما في جلد الحيوان المسلوخ، وهذه الاستعارة فى أعلى المراتب فى بابها (٥).

ومن هذا قول طفيل الغنوى:

وجعلت كورى فوق ناجيـــة يقتات شحم سنامها الرحـل

والكور: الرحل، والناجية الناقة السريعة، والاقتيات أكل الطعام بالفم استعير لإذهاب الرحل شحم السنام من كثرة احتكاكه به، والجامع إزالة الأثر شيئاً فشيئاً مع طول الوقت، وفى هذا الجامع تفصيل ظاهر، لأنه لم ينظر إلى مجرد الإزالة، بل نظر إليها حاصلة بالتدريج شيئاً فشيئاً، وقد حسن هذه الاستعارة أن الشحم نفسه مما يقتات، فيخيل إليك بادئ الأمر قبل أن تنتهى

---

(١) يس: ٣٧ .

(٢) الأكسير: ١١٣ .

إلى آخر البيت أن الاقتيات حقيقة وليس مستعاراً، فإذا انتهيت إلى آخر البيت تبين لك مالم تكن تتوقع، فجاءتك الاستعارة من حيث لاتحتسب.[١]

ومنه قول ابن المعتز :

يناجينى الإخلاف من تحت مطلـــه

فتختصـــم الآمال واليأس فى صدرى

والمناجاة: الإسرار، والإخلاف: عدم الوفاء، والمطل: التأخر فى الإجابة وفى البيت استعارتان:

الأولى: استعارة المناجاة لدلالة الأخلاف على حرمانه من الوصل، بجامع عقلى هو خفاء الدلالة فى كل، والجامع العقلى يحتاج إلى نظرلإدراكه، ولطف الاستعارة جاء من جعل الإخلاف مستتراً تحت المطل، كأنه ينبئ عن نفسه من وراء ستار.

والثانية : استعارة الاختصام لحلول الأمل فى صدره مرة، واليأس مرة أخرى، كأنهما يتنازعان مكاناً واحداً، بجامع مطلق التدافع بين شيئين متعارضين، وفى الجامع خفاء ودقة فهو محتاج إلى تأمل لإدراكه[٢].

وقد تكون الاستعارة خاصية لغرابة التشبيه الذى بنيت عليه كما في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له :

وإذا احتبى قربوسه بعنانـــه

علك الشكيم إلى انصراف الزائر

يقول: إنه فرس مؤدب إذا ركبه لزيارة صديق ونزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه، وقف أمام الدار ساكناً، يضع الشكيم حتى تنتهى الزيارة.

---

(١) الافصاح: ١٧١ .

(٢) انظر السابق : ١٧٢ .

والاحتباء: ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه، والقربوس مقدم السرج، والعنان: اللجام، والشكيم: الحديدة: المعترضة فى فم الفرس .

وقد استعار الاحتباء لضم اللجام مقدم السرج إلى فم الفرس، بجامع هيئة انضمام شيئين بواسطة شئ آخر وهو جامع فيه تفصيل يحتاج إلى تأمل، بجانب أن التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة بعيد غريب، لندرةحضور صورة المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه .

وقد يتصرف فى الاستعارة العامية بما يجعلها خاصية غريبة، وذلك بأن يضم إليها مجاز آخر يتصل غرضه بغرضها كما فى قول كثير :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

فاستعار «سالت» لسير الإبل سيراً حثيثاً فى غاية السرعة، مع اللين والسلاسة. وقرن بها مجازاً عقلياً أسند فيه السيلان بمعنى السير إلى الأباطح لاإلى الإبل، ليفيد أن الأباطح امتلأت بالركبان، حتى يخيل إليك أنها هى التى تسير، وأضاف إلى ذلك أن أدخل باء الجر على أعناق الإبل، ليتعلق السير بها لابنفس الإبل، ليدل على شدة السرعة، فإن مظهر السرعة فى الإبل هو حركة أعناقها،[1] وكل هذا جعل الاستعارة فى البيت دقيقة لاتدرك إلا بعد تأمل.

ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلو الطبقة، الاستعارة فى هذه اللفظة بعينها في قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا

أنصاره بوجوه كالدنانير

---

(١) انظرالإفصاح : ١٧٤، ودلائل الإعجاز: ٧٤، ٧٦ .

أراد أنه مطاع فى الحى، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل ، فاستعار السيلان لسيرهم المتدفق الحثيث، وأسند السيلان إلى الشعاب - وهى الطرق والمسالك - على سبيل المجاز العقلى، ليعبر عن كثرتهم وامتلاء الشعاب بهم، وعدى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى، ليؤكد مقصوده من أنه مطاع فى الحى، وهم يسيرون من أجله، ثم بين أن هذه الطاعة صادرة عن محبته، والرغبة فى نصرته بقوله «بوجوه كالدنانير» حيث يصف ماعلا وجوههم من بشر وسرور وفرحة بنصرته ولقائه[١]. وكل هذا جعل الاستعارة فى غاية من اللطف والدقة.

وقد تأتى دقة الاستعارة وغرابتها من الجمع بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد، كقول امرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول، فصوره بصورة البعير، واستعار له صلباً يتمطى به، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً، وجعل له صدراً ثقيلاً ينوء به ويقعده عن الحركة. قال الشيخ عبد القاهر: لما جعل لليل صلباً قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى مايراه الناظر من سواده إذا نظر قدامه، وإذا نظر إلى خلفه، وإذا رفع البصر ومده فى الجو[٢].

---

(١) انظر دلائل الإعجاز: ٧٥، ومعاهد التنصيص: ٢/ ١٣٥، ١٣٦، والإفصاح : ١٧٤ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٧٩ .

٧ - أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى ستة أقسام:[١].

١ - استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسى، كما فى قوله تعالى (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار) [٢] فالمستعار منه العجل الحقيقى الذى هو ولد البقرة والمستعار له. العجل المصنوع من الذهب، وهو ماصنعه السامرى لليهود من الذهب الذى أخذوه من أهل مصر ورحلوا به، والجامع بينهما الشكل، والطرفان والجامع أمور حسية .

ومثل هذا قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) [٣] فالمستعار منه حركة الماء، والمستعار له حركة الخلائق يوم البعث، والجامع بينهما شدة الحركة والاضطراب. وهى كلها أمور حسية .

وفزع الخلائق يوم القيامة يجعل حركتهم شديدة مضطربة، فيها تصادم واحتكاك - كحركة الموج، ومن ثم كان التعبير بـ «يموج» مصوراً لهذه الحركة بدقة، ومعبراً عنها أصدق تعبير.

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بجامع عقلى، كما فى قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) [٤] فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وهما حسيان، والجامع لهما ترتب أمر على أمر آخر وهو عقلى .

---

(١) انظر هذه الأقسام وأمثلتها فى بغية الإيضاح: ٣/ ١٣٠، ١٣٤ وانظر أسرار البلاغة: ٦٦ ومابعدها .

(٢) طه: ٨٨ .

(٣) الكهف : ١٠٠ .

(٤) يس: ٣٧.

ومنه قوله تعالي: (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)[١] شبهت الريح التى لاتنتج مطراً ولاتلقح شجراً بالمرأة العقيم بجامع عدم ظهور أثر فى كل، وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو العقم والطرفان حسيان، والجامع عقلى، والاستعارة على هذا مكنية .

ويمكن تخريج هذه الاستعارة على أنها تصريحية تبعية وذلك بتشبيه الحالة التى فى الريح المانعة من تلقيح السحاب والشجر بالحالة التى فى المرأة المانعة من الإنجاب وهى العقم، بجامع عدم ظهور الأثر فى كل، واستعير العقم الذى هو وصف المرأة، للحالة التى فى الريح، واشتق منه عقيم بمعنى لاتنتج أثراً. لكن على هذا التخريج لايكون الطرفان حسيين، فلا تكون الآية مثالاً لهذاالنوع.

وعلى كل ففى التعبير بعقيم إشارة إلى شدة الرياح وقوة إفسادها حيث أتت على كل ماهو موجود، ولم تذر شيئاً إلا موسوماً بالفساد والهلاك، كما قال تعالى: (ماتذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم)[٢].

٣ - استعارة محسوس لمحسوس بجامع مختلف بعضه حسى وبعضه عقلى كقولك: حدثت شمساً. تريد إنساناً شبيهاً بالشمس فى الإشراق ورفعة الشأن. فالإشراق جامع حسى، ورفعة الشأن جامع عقلى .

٤ - استعارة معقول لمعقول. ولايكون الجامع حينئذ إلا عقلياً.

ومن هذا قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب)[٣] استعير السكوت لزوال الغضب وهدوئه، وهما عقليان، والجامع بينهما عدم الأثر

---

(١) الذاريات: ٤١ .

(٢) الذاريات : ٤٢ .

(٣) الأعراف: ١٥٤ .

فى كل. وهو عقلى. وقد صورت الاستعارة الغضب بعد زواله فى صورة إنسان هادئ بعد أن كان ثائراً وهائجاً.

ومن هذا قوله تعالى (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) [١] فعلى اعتبار «مرقدنا» مصدراً ميمياً يكون المستعار منه الرقاد أى النوم، والمستعار له الموت، وكلاهما عقلى، والجامع بينهما عدم ظهور الأفعال التى يعتد بها فى كل منهما. وهو جامع عقلى. والقرينة قوله تعالى بعد ذلك (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون).

ومن هذا قول الشاعر :

وإذا تباع كريمة أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشترى

استعير البيع لترك الخلال الكريمة وهما عقليان، بجامع الحرمان وهو عقلى. كما استعير الاشتراء للحصول على الخلال الكريمة بجامع الحصول فى كل وهى أمور عقلية .

٥ - استعارة محسوس لمعقول، ولايكون الجامع إلا عقلياً، ومنه قوله تعالى (واتبعوا النور الذى أنزل معه) [٢] فالنور مستعار للبيان والحجة الكاشفة عن الحق، المزيلة للشك، النافية للريب، والمستعار منه حسى، والمستعار له عقلى، والجامع بينهما عقلى، وهو البيان والكشف والهداية، وكما فى قوله تعالى (فاصدع بماتؤمر) [٣] استعير الصدع وهو الكسر والشق لتبليغ الرسالة، والأول حسى، والثانى عقلى، والجامع بينهما قوة التأثير وهو عقلى، كأنه قيل: بلغ الدعوة تبليغاً قوياً لاينمحى أثره ولايزول .

---

(١) يس: ٥٢ .

(٢) الأعراف: ١٥٧ .

(٣) الحجر : ٩٤ .

وكقوله تعالى (ضربت عليهم الذلة) [١] جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون من ضربت عليه القبة فيها، أو ملصقة بهم حتى لزمتهم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فالمستعار منه إما ضرب القبة على الشخص، وأما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسى، والمستعار له حالهم مع الذلة وهو عقلى، والجامع الاحاطة أو اللزوم وهما عقليان. [٢]

ومن هذا قول أبى تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء

فالمستعار منه الصعود الحسى والمستعار له ارتقاء الممدوح وعلوه وهو عقلى، والجامع الارتفاع فى كل وهو عقلى .

وهذا الضرب من الاستعارة، قد وصفه الشيخ عبد القاهر: بأنه المنزلة التى تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال فى تفننها وتصرفها، وههنا تخلص لطيفة روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدة لأن تعى الحكمة، وتعرف فصل الخطاب. [٣]

٦ - استعارة معقول لمحسوس ولايكون الجامع إلا عقلياً، كما فى قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) [٤] فالمستعار الطغيان، والمستعار منه التعالى والتكبر، وهو عقلى، والمستعار له كثرة ماء

---

(١) آل عمران : ١١٢ .

(٢) بغية الإيضاح: ٣/١٣٤ .

(٣) أسرار البلاغة: ٦٦ .

(٤) الحاقة: ١١ .

الطوفان وارتفاعه، وهوحسى، والجامع مجاوزة الحد وهو عقلى. والتعبير بالطغيان مشعر بقوة الطوفان وشدته، فلم يستطيعوا مواجهته والتصدى له .

وكقوله تعالى: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) [١] استعير العتو وهو التكبر والغطرسة لعصف الرياح، فالمستعار منه عقلى، والمستعار له حسى، والجامع تجاوز الحد فى كل، وهو أمر عقلى، وفي التعبير بالعتو إشارة إلى شدة الريح وقوة تأثيرها، ووصولها إلى بغيتها دون أن يتمكن أحد من مجابهتها، والوقوف فى وجهها .

٨ - تقسيم الاستعارة باعتبار الأفراد والتركيب:

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى قسمين مفردة ومركبة، فالمفردة ماكانت فى لفظ مفرد مستعمل فى غير ماوضع له كجميع الأمثلة السابقة، والمركبة: ماكانت فى تركيب وتسمى المجاز المركب، والتمثيل، والاستعارة التمثيلية .

والاستعارة التمثيلية :

هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ماوضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

وفيه تشبه صورة مركبة بصورة مركبة، ويحذف المشبه، وتستعار صورة المشبه به له دون تغيير فى ألفاظها .

من ذلك: أن ترى زميلاً أخطأ فى سؤال، وهو معروف بالجد والاجتهاد فتقول له: لكل جواد كبوة. شبهت حالته عندما أخطأ وهو مشهور بعدم الخطأ،

---

(١) الحاقة : ٦ .

بحالة الفرس الجيد الذى عثر مرة، وهو لايعثر بحال، واستعرت الألفاظ الدالة على المشبه به للمشبه بعد حذفه، على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومن هذا ماكتب به الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متردد فى البيعة له: أما بعد: فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام. شبه صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً، وتارة لايريد فيؤخر أخرى، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية .

ومنها قولهم للرجل يبذل جهداً كبيراً في عمل لايثمر شيئاً: أراك تنفخ فى رماد ، وتضرب فى حديد بارد ، وتكتب على الماء، يمثلون حاله بحال من ينفخ فى الرماد فلا يخرج ناراً، ومن يضرب فى حديد بارد فلا يتحول إلى الشكل المراد ، ومن يكتب على الماء فلا يبقى أثر لكتابته. وكل هذا من قبيل الاستعارة التمثيلية .

ومنها فى القرآن الكريم قوله تعالى (لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) [١] شبه حال من يتعجل بالحكم فى أمر من أمور الدين قبل أن يحكم الله فيه، ويتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم، بحال من يتقدم بين يدى متبوعه عند المشى فى الطريق، بجامع عدم المتابعة فى كل وحذف المشبه، وجئ بالمشبه به مكانه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومنها قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله) [٢] فى حال جعل الجملة كلها استعارة، فيكون الكلام على تشبيه حال المتمسك بدين الله بحال المتمسك بحبل قوى يمنعه من السقوط، واستعير التركيب الدال علي المشبه به

---

(١) الحجرات: ١ .

للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية. ويمكن تخريج الاستعارة على أنها مفردة فى لفظ «الحبل» ويكون قد شبه دين الله وعهده بالحبل، بجامع مافى كل من ربط شئ وحفظه، واستعير الحبل للدين، والقرينة إضافة الحبل إلى الله تعالى، ورشحت الاستعارة بذكر الاعتصام، لأنه يلائم المستعار منه.

ومن هذا قول أبى فراس:

سيذكرنى قومى إذ جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

فالشطر الثانى استعارة تمثلية، شبه افتقاد قومه له وقت الشدة والكرب بافتقاد البدر فى الليلة المظلمة، بجامع فقدان شئ تشتد الحاجة إليه، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه .

ومن هذا قول صالح الرندى فى مطلع قصيدته فى رثاء الأندلس: -

لكل شئ إذا ماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

فالشطر الأول من قبيل الاستعارة التمثيلية. وهى مبنية على تشبيه حال دولة الأندلس فى زوالها بعد كمالها وازدهارها، بحال الأشياء يعتريها النقص والفناء بعد التمام والكمال، واستعارة التركيب الدال على المشبه به للمشبه .

والأمثال العربية كلها عندما تستعمل فى حالات مشابهة للوقائع التى قيلت فيها أولاً تكون استعارات تمثيلية، مبنية على تشبيه الحالة الحاضرة بالحالة التى قيلت فيها، وحذف المشبه واستعارة التركيب الدال على المشبه به له .

والحالة التى قيل فيها المثل أول مرة تسمى: مورد المثل، والحالات التى يستعمل فيها بعد ذلك تسمى: مضرب المثل، والأمثال لاتغير بمعنى أنها إذا وردت بصيغة ما فلا تغير عن هذه الصيغة فإذا وردت بصيغة المفرد مثلاً

استعملت كذلك ولو قيلت في مثنى أو جمع، وإذا وردت بوجه معين من الإعراب ظلت عليه فى كل استعمال لها. وهكذا .

ومن أمثال العرب: «مايوم حليمةبسر» وهو يضرب لكل شئ مشهور لايخفى على أحد. وأصله أن الحارث بن أبى شمر الغسانى وجه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء فهزمه، فلما جاء جند الحارس منصورين أسرعت حليمة ابنته وعطرت الجند بالطيب، فقيل المثل .

ومنها «رجع بخفى حنين» ويضرب لمن عاد من مهمة دون أن يصل إلى المراد، ومنها «أحشفا وسوء كيلة» ويضرب لما يعاب من جهتين، ونحو ذلك، ومنها «مواعيد عرقوب» ويضرب لمن يخلف الوعد ولايفى به .

بلاغة الاستعارة :

الاستعارة فن دقيق من فنون البيان، لها مكانة رفيعة فى بلاغة الأساليب، وإيضاح المعانى وتقريرها. وعدها الشيخ عبد القاهر من ا لأصول التي عليها مدار حسن الكلام، ففى بداية حديثه عن التشبيه والتمثيل، والاستعارة، يقول: فهذه أصول كبيرة، كأن جل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعانى فى متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها [١].

والاستعارة أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة وأبعد غوراً، .... وأسحر سحراً، وأملأ بكل مايملأ صدراً، ويمتع عقلاً، ويؤنس نفساً، ويوفر أنساً، وأهدى إلى أن تهدى إليك أبداً عذارى، قد تخير لها الجمال، وعنى بها الكمال... وأن تأتيك على الجملة

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٧.

بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا، وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها، وتستوفى جملة جمالها [١].

والاستعارة الجيدة تحقق فى الأسلوب جل مقومات البلاغة وعناصر الحسن والجمال، ومن أهمها: الإيجاز، والمبالغة، والإيضاح والبيان، والتأكيد والتقرير. [٢]

أما الإيجاز:

فهو من خصائصها التى تذكر بها، وهو عنوان مناقبها، إذ تعطيك الاستعارة الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر. [٣]

والاستعارة - كما هو مقرر - تشبيه بقى من أركانه طرف واحد، ففى أسلوبها إيجاز من هذه الزاوية، ولايخفى أن قولنا: حدثنى أسد، على الاستعارة أوجز فى اللفظ من قولنا: حدثنى رجل كالأسد، وأقوى منه فى المعنى.

كما أن الاستعارة تتسم بالإيجاز دون نظر إلى أصلها التشبيهى وماحذف منه، فاللفظ المستعار يؤدى من المعانى مايؤديه أكثر من لفظ على سبيل الحقيقة وانظر إلى قوله تعالى (وأفئدتهم هواء) [٤] فالمراد: لاتعى شيئاً، لأن المكان إذا كان خالياً فهو هواء حتى يشغله شئ، ولاشك أن «هواء» أوجز من قولنا: لاتعى شيئاً» ولهذا الإيجاز فضل الحقيقة [٥]. والأمثلة على هذا كثيرة لمن تتبعها وتأملها.

---

(١) أسرار البلاغة: ٤٢.

(٢) انظر النكت: ٤٣، والصناعتين: ٢٦٨.

(٣) أسرار البلاغة: ٤٣.

(٤) إبراهيم: ٤٣.

(٥) الصناعتين: ٢٦٩.

أما المبالغة :

فلأن الاستعارة تصل بالمعنى إلى أقصى حدود المبالغة، حيث يتناسى التشبيه، ويدعى أن المشبه هو عين المشبه به، فالشجاع أسد، والكريم بحر، والسرعة طيران، والجهر بالدعوة صدع، وهدوء الغضب سكوت .

وبجانب هذه المبالغة من زاوية الادعاء، نجد أن اللفظ المستعار يفضل الحقيقة بما يحمله من معان قوية، ومايكتنفه من إيحاءات لطيفة، ففى قوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)[١] استعير القذف لإيراد الحق، واستعير الدفع للإزالة، والمعنى: نورد الحق على الباطل فيذهبه، والاستعارة أبلغ، لأن فى القذف دليلاً على القهر، لأنك إذا قلت: قذف به إليه، فمعناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار، لاعلى جهة الشك والارتياب، ويدمغه أبلغ من يذهبه لما فيدمغه من التأثير فيه، فهو أظهر فى النكاية، وأعلى فى تأثير القوة»[٢].

وفى قوله تعالي: (وكذلك أعثرنا عليهم)[٣] معناه أطلعنا عليهم، استعير الإعثار للتبيين والإظهار، والاستعارة أبلغ، لأنها تتضمن غفلة القوم عنهم حتى أطلعوا عليهم[٤] وفى قوله تعالى (والصبح إذا تنفس)[٥] استعير التنفس للانتشار، «وتنفس» أبلغ لما فيه من بيان الروح عن النفس عند إضاءة الصبح، لأن لليل كرباً، وللصبح تفرجاً، قال الطرماح:

على أن للعينين في الصبح راحة بطرحهما طرفيهما كل مطرح

---

(١) الأنبياء: ٣٨ .

(٢) النكت : ٥١ .

(٣) الكهف: ٢١ .

(٤) الصناعتين: ٢٦٩ .

(٥) التكوير: ١٨ .

والراحة التى يجدها الانسان عند التنفس محسوسة.[١]

وفى قوله تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور . تكاد تميز من الغيظ)[٢] تلقاك الاستعارات بدلالتها القوية وإيحاءاتها الغزيرة، مع البيان الواضح المصور، والإيجاز البديع. فحقيقة الشهيق، الصوت الفظيع وهما لفظتان، والشهيق لفظة واحدة، فهو أوجز على مافيه من زيادة البيان، وقد استعير لحسيس النار، وهو صوتها الخفى الناشئ عن الفوران، فدل على شدة النار وقوة فورانها .

و«تميز» أصله: تتميز، والتميز التقطع والانفصال، استعير لانشقاق النار وتقطعها من غير تباين،والاستعارة أبلغ، لأن التميز فى الشئ هو أن يكون كل نوع منه مبايناً لغيره، وصائراً على حدته، وهو أبلغ من الانشقاق، لأن الانشقاق قد يحصل فى الشئ من غير تباين. والغيظ فى أصله شدة الغضب وأسوؤه، استعير لشدة غليان النار وفورانها، والاستعارة أبلغ لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس، ولأن الانتقام منا يقع على قدره، ففيه بيان عجيب وزجر شديد لاتقوم مقامه الحقيقة ألبتة[٣].

وأما الإيضاح والبيان:

فيتأتى فى الاستعارة من خلال عرضها الأشياء فى صور معبرة توضحها وتجليها أمام الأنظار، وتشخص المعنويات وتجسدها فى مشاهد محسوسة كما تلطف أمر المحسوسات وتحيلها إلى معنويات تدركها العقول، وتتأملها الألباب. وتبث الحياة والحركة فى الجمادات، حتى إنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعانى الخفية بادية جلية..

---

(١) الصناعتين: ٢٧٤ .

(٢) الملك: ٧، ٨ .

(٣) انظر الصناعتين: ٢٧١ .

إن شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها إلا الظنون[١].

وفى الآية السابقة فى وصف نار جهنم، ترى الاستعارات قد تضافرت فى رسم صورة هائلة لنار جهنم، صورة تنخلع لها القلوب من الفزع والخوف، صورة مخلوق ضخم بطاش جبار عابس الوجه يغلى صدره من قوة الغيظ، وشدة الحقد، فهو ينفث غيظه وحقده فيمن أتى إليه، وكل ذلك يبعث فى النفس من التأثير مالايبعثه التعبير المجرد.[٢]

وفى قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة)[٣] ترى صورة الذلة التى أصابت اليهود، وكأنها خيمة كبيرة قد نصبت عليهم، وغطتهم، وأحاطت بهم من كل جانب، فلا يستطيعون الخروج من غطاء الذل والهوان الذى أطبق عليهم. وفى قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)[٤] ترى الرياح التى لاأثر لها، قد صورت بصورة المرأة العقيم التى لاتجئ بولد، والولد من أعظم النعم، وأجل الخيرات، وللعرب ولوع به، وشدة شغف إليه، لذا كانوا يكرهون العقيم كراهة شنعاء، ويقولون: شوهاء ولود، خير من حسناء عقيم. ومن هنا أظهرت الصورة قبح حال الرياح التى لاأثر لها من مطر ونحوه .

والعرب تقول: ضحك السحاب بالبرق، وحن بالرعد، وبكى بالقطر، فيصورون السحاب بصورة إنسان يضحك، ويحن،ويبكى، فيسبغون عليه صفة الحى، ويجعلونه يأتى بأفعاله. ويقولون: لقيت من فلان عرق القربة، أى شدة

---

(١) أسرار البلاغة: ٤٣ .

(٢) البيان فى ضوء أساليب القرآن: ١٩٩ .

(٣) آل عمران: ١١٢ .

(٤) الذاريات: ٤١ .

ومشقة، وأصل هذا أن حامل القربة، يتعب من نقلها حتى يعرق، فصوروا الشدة والمشقة، بصورة حسية، ساعدت على إيضاحها، وبيان حجمها وعلى هذا النمط تبرز الاستعارة الأشياء فى صور محسوسة فتتضح وتظهر.

وأما التأكيد والتمكين :

فيكون من خلال أن الاستعارة تبرز البيان فى صورة مستجدة. تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررة فى مواضع، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة[1] واخراج الشئ في صورة جديدة يجعل النفس تقبل عليه، وتتلذذ به، فيثبت فيها، ويتمكن لديها، كما أن الاستعارة تحتاج إلى فكر وروية، وتعب فى تحصيلها وفهم مرادها، وهذا يجعلها تتأكد فى النفس وتثبت، لأن الشئ إذا نيل بعد تعب ومشقة كانت النفس حريصة عليه، ضانة به، غير مفرطة فيه .

الاستعارة الحسنة والاستعارة المعيبة :

الاستعارة ليست مجرد استعمال كلمة فى غير ماوضعت له، أو نقل كلمة فى معناها إلى معنى آخر، بل لابد فيها من ملاحظة المعانى، ومراعاة التلاؤم بين المستعار منه والمستعار له، فلا تصح الاستعارة حتى توجد علاقة بين طرفيها، تصحح نقل اللفظ من معنى إلى معنى آخر، وأن تكون هذه العلاقة بينة وإن احتاجت إلى تأمل ومعاودة نظر، وأن تقترن الاستعارة بما يشير إلى وجودها من لفظ أو حال .

---

(١) أسرار البلاغة: ٤٢ .

قال الآمدى: وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له، إذا كان يقاربه أو يناسبه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشئ الذى استعيرت له، وملائمة لمعناه[١].

فإذا جاءت الاستعارة موافقة لهذه الضوابط التى ذكرناها كانت حسنة الموقع، جليلة الفائدة، مقبولة عند النقاد والأدباء. والاستعارات التى قدمناها فيما سبق من هذا القبيل، وإن اختلفت درجات الجودة والحسن فيها .

ومن الاستعارات الجيدة التى بلغت درجة عالية فى الحسن، قول امرئ القيس فى وصف الليل:[٢]

فقلت له لما تمطى بصلبـــه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فقد قصد وصف أحوال الليل الطويل، فذكر امتداد وسطه، وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً، وهذا منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد مايكون على من يراعيه، ويترقب تصرفه، فلما جعل له وسطاً يمتد، وأعجازاً مرادفة للوسط، وصدر متثاقلاً فى نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه. وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة، لشدة ملاءمة معناها لمعنى مااستعيرت له.[٣]

ومنها قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

---

(١) الموازنة: ٢٦٦/١ .

(٢) انظر: حديث عبد القاهر عن البيت فى دلائل الإعجاز: ٧٩، وانظره فى هذا الكتاب فى الحديث عن التصرف فى الاستعارة العامية .

(٣) الموازنة: ٢٦٦/١ .

لما كان من شأن ذى الصبا أن يوصف أبداً بأن يقال: ركب هواه، وجرى فى ميدانه، وجمح فى عنانه، ونحو هذا، حسن أن يستعار للصبا اسم الأفراس وأن يجعل النزوع عنه أن تعرى أفراسه ورواحله، وكانت هذه الاستعارة من أليق شئ بما استعيرت له.(١)

ويتأمل البلاغيون بيت زهير ويحللون مافيه من صور فنية جميلة تدل على سعة الخيال وهى :

١ - استعارة الصحو الذى هو زوال السكر والإفاقة منه، للسلو الذى هو زوال العشق والهوى عن القلب، وذلك فى قوله «صحا القلب»، وهى استعارة تصريحية تبعية فى الفعل، وتشير إلى ماكان فيه الشاعر من ذهول وغفلة، وبعد عن الوعى والإدراك، بسبب الهوى الذى سيطر على قلبه، وقد تنبه من غفلته، وصحا من ذهوله .

٢ - المجاز العقلى فى قوله «أقصر باطله»، حيث أسند الإقصار إلى الباطل، والأصل: أقصر القلب باطله، أى أقلع وترك باطله، وهو ماكان متلبساً فيه من الهوى والعشق. وفى إسناد الإقصار إلى الباطل إشارة إلى إقلاع القلب عن الباطل إقلاعاً تاماً، وقطع مابينه وبين الباطل من أسباب، من حيث جعل الباطل نفسه مقلعاً وتاركاً. ويجوز تخريج «أقصر» على الاستعارة، وتفسيرها بمطلق الامتناع، ويكون المعنى: أقصر باطل القلب، أى امتنع منه وانتفى وزال .

٣ - الاستعارة فى «أفراس الصبا ورواحله»، ويمكن تخريجها على المكنية وعلى التصريحية .

---

(١) السابق: ٢٦٧/١.

فأما تخريجها على المكنية: فعلى أن «الصبا» من «الصبوة» بمعنى الجهل، وركوب الغى والهوى، فيجعل الصبا مشبهاً بجهة من الجهات التى ينتقلون إليها بالأفراس والرواحل، قصداً لغرض من الأغراض، وبعد أن قضى الشاعر منها حاجته وعاد ، رفع عن الأفراس سروجها وعن الجمال أحمالها .

وأما تخريجها على التصريحية: فعلى أن «الصبا» مأخوذ من «الصباء» وهو الشباب وصغر السن، والأفراس والرواحل يراد بها الغرائز والشهوات التى تنبعث فى سن الشباب، وتوصل الإنسان إلى الملذات والهوى، فتجعل هذه الغرائز مشبهة بالأفراس والرواحل التى توصل إلى الغرض المطلوب، وتستعار الأفراس والرواحل لها.(١)

وتخريج هذه الاستعارة على المكنية أجود، لما فى ذلك من يسر وسهولة فى التأويل ، ورسم صورة فنية دقيقة لجموح الشباب، وعبث الصبا، وزوال ذلك وانتهائه، ولكونه أكثر ملاءمة لما عرف من أساليب العرب، وطريقتهم فى التعبير، فكثيراً مايثبتون للشئ ماليس له بناء على تشبيهه بما هو له، كجعلهم للشمال يداً،وللقرة زماماً، وللمنية أظفاراً، وعلى هذا النحو جعل زهير للصبا أفراساً ورواحل .

ولذلك تحدث عنها الشيخ عبد القاهر فى القسم الثانى من الاستعارة المفيدة، الذى خصه بالاستعارة المكنية، ثم بين أنه يمكن تخريجها على القسم الأول الذى هو الاستعارة التصريحية، وذكر أن هذا من التكلف، ولايتأتى فى كل موضع(٢).

---

(١) انظر: الإيضاح: ٥/١٢٧، ١٢٨، والإفصاح: ٢٠٣ .

(٢) انظر : أسرار البلاغة: ٤٨ .

وبعد أن تجلت لك الصور الفنية في بيت زهير، يمكنك أن تحس بجمالها وحسنها، لأن الاستعارة ملائمة ماستعيرت له، ومرتبطة به، ولم يغمض معناها غموضاً يتأبى على الفهم .

واللفظ إذا استعير لمعنى ملائم له ظهر حسن الاستعارة، وبانت جودتها، أما إذا استعير لمعنى لايتلاءم معه ولايناسبه بدت الاستعارة قبيحة مرذولة.

ولهذا لايصح أن تقول: حدثني أسد، وأنت تريد رجلاً كريماً، ولايجوز أن تقول: كلمت بحراً وأنت تقصد رجلاً شجاعاً، لعدم التناسب والملائمة بين المستعار له والمستعار منه، ولصعوبة الوصول إلى المعنى المراد من الاستعارة .

وقد يكون الكلام مقبولاً في التشبيه، غير مقبول ولاجائز في الاستعارة، لأن بناء أمرها على الخفاء يجعلها في حاجة إلى ماينير طريق معناها، حتى لاتكون لغزاً يستعصي على الفهم.

قال الشيخ عبد القاهر: ينبغي أن تعلم أنه ليس كل شئ يجئ مشبهاً به بكاف أو بإضافة «مثل» إليه، يجوز أن تسلط عليه الاستعارة، وتنفذ حكمها فيه، حتى تنقله عن صاحبه، وتدعيه للمشبه على حد قولك: «أبديت نوراً» تريد: علماً، وسللت سيفاً صارماً» تريد رأياً نافذاً، وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه، ويسهل متناوله، ويكون في الحال دليل عليه، وفي العرف شاهد له، حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف الغرض ويعلم ماأردت[1].

ومن هنا ينبغي أن يستعار اللفظ لما يتلاءم معه، ويليق به، أو يشبهه في بعض أحواله، وإلا كانت الاستعارة معيبة .

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٤٣ .

وبناء على هذا ترى اللفظ يستعار فى موضع فيكون معيباً، ويستعار في موضع آخر فيكون حسناً. وقد عابوا استعارة الأنف فى قول خويلد الهذلى:

تخاصم قوماً لاتلقى جوابهم وقد أخذت من أنف لحيتك اليد

أى: قبضت بيدك على مقدم لحيتك، كما يفعل النادم أو المهموم، وأنف كل شئ: مقدمه، وأنوف القوم سادتهم، والأنف فى هذا البيت هجين الموقع[١] لأنه استعير لمقدم اللحية، فجعل للحية أنفاً، وهو غير مناسب لها، ولامتلائم معها.

بينما استحسنوا استعارة الأنف فى قول ذى الرمة يصف الحمار:

إذا شم أنف الصيف ألحق بطنه مراس الأوابى وامتحان الكوائم

وقد أراد بقوله: أنف الصيف، أوله، كقولهم: أنف النهار: أى أوله، ورعينا أنف الغيث أى أوله...[٢]

والنقاد يستهجنون الاستعارات البعيدة، التى لاتتناسب مع مااستعيرت له، ولاترتبط معه بمعنى يجمعهما، ومن ذلك قول أبى نواس:

بح صوت المـــال مـــا منك يشكو ويصيـــح

قال ابن رشيق: فأى شئ أبعد استعارة من صوت المال؟ فكيف حتى بح من الشكوى والصياح؟! ... وكذلك قول بشار:

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرها وقدت لرجل البين نعلين من خدى

فما أهجن «رجل البين»، وأقبح استعارتها ؟! ولو كانت الفصاحة بأسراها فيها، وكذلك «رقاب الوصل»[٣].

---

(١) الصناعتين: ٣٠١.

(٢) الموازنة: ٢٧٣/١. وألحق بطنه: أضمره، وممارسة الأوابى: تكتم حملها وامتحنها أى يختبرها هل حملت أولاً، فإن كانت حملت وإلا رد عليها الضرب لتحمل.

(٣) العمدة: ٢٦٩/١، ٢٧٠.

ومن قبيح الاستعارات قول أبى تمام :

يادهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

والأخدعان: عرقان فى العنق، وقد جعل للدهر أخدعين، وهذا لايتلاءم مع الدهر، قال الآمدى: فأى ضرورة دعته إلى الأخدعين، وقد كان يمكنه أن يقول: قوم من اعوجاجك، أو قوم معوج صنعتك، أو يادهر أحسن بنا الصنيع، لأن الأخرق هو الذى لايحسن العمل، وضده الصنع.(١)

وكذلك قوله :

تحملت مالو حمل الدهر شطره لفكر دهراً أى عبأيه أثقل

فجعل للدهر عقلاً، وجعله مفكراً فى أى العبأين أثقل، وماشئ هو أبعد من الصواب من هذه الاستعارة، وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال: تحملت مالو حمل الدهر شطره أن يقول: لتضعضع، أو لانهد، أو لأمن الناس صروفه ونوازله، ونحو هذا المعنى مما يعتمده أهل المعانى فى البلاغة والإفراط(٢).

ولأبى تمام كثير من الاستعارات المذمومة، أوقعه فيها تعمد الإغراب، والتعمق فى التفكير، وقد ذكر الآمدى بعضها(٣)، وحذر القاضى الجرجانى من الإصغاء إليها وإلى مايشبهها، حتى لاتفسد الذوق، وترهق العقل دون فائدة: فإذا سمعت بشئ منها فاسدد مسامعك، واستغش ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يصدئ القلب ويعميه، ويطمس البصيرة، ويكد القريحة(٤).

---

(١) الموازنة: ١/٢٧١ .

(٢) السابق : ١/٢٧٢ .

(٣) انظر : الموازنة: ١/٢٦١ - ٢٨١ .

(٤) الوساطة: ٤٠، ٤١ .

ومما عابوه من استعارات أبى تمام قوله :

لاتسقنى ماء الملام فإننـــى صب قد استعذبت ماء بكائى

أى لاتلمنى فإنى عاشق قدألفت البكاء، واستعذبته، فلا أكاد أقلع عنه للومك إياى فكف عنى[١] وقد جعل للوم ماء، ولاتناسب بينهما، وهذا مما يعيب الاستعارة .

ويقال: إنه أرسل إليه قارورة، وقال له مرسلها: ابعث إلى فيها شيئاً من ماء الملام، فأرسل إليه أبو تمام: أن ابعث لى ريشة من جناح الذل[٢]، أبعث إليك من ماء الملام، وهذه المقارنة لاتصح، لأن الفرق بين الاستعارتين ظاهر، فليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام، فإن الجناح للذل مناسب، فإن الطائر إذا وهى وتعب بسط جناحه وألقى نفسه إلى الأرض، وللإنسان أيضاً جناح، فإن يديه جناحاه، وإذا خضع واستكان يطأطئ من رأسه، ويخفض من بين يديه، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل، وصار شبهاً مناسباً. وأما ماء الملام فليس كذلك فى مناسبة التشبيه، فلذلك استهجن منه[٣].

ويرى الآمدى أن الاستعارة فى بيت أبى تمام ليست معيبة، لأنه لما أراد أن يقول: قد استعذبت ماء بكائى، جعل للملام ماء، ليقابل ماء بماء، وإن لم يكن للملام ماء علي الحقيقة... ولما كان فى مجرى العادة أن يقول قائل: أغلظت لفلان القول، وجرعته منه كأساً مرة، أو سقيته منه أمر من العلقم، وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة، جعل له ماء على الاستعارة، ومثل هذا كثير موجود[٤].

---

(١) الموازنة: ١/٢٧٧ .

(٢) يقصد ما فى قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) - الإسراء: ٢٤ .

(٣) البرهان: ٣/٤٣٣، ٤٣٤ .

(٤) الموازنة: ١/٢٧٧، ٢٧٨ .

ومن الاستعارة المعيبة قول أبى تمام:

مقصر خطوات البث فى بدنى علماً بأنى ماقصرت فى الطلب

يريد أن يقول: إنه قد سهل عليه أمر الحزن أنه ماقصر فى الطلب، لأنه لو قصر لكان يأسف ويشتد جزعه. وقد جعل للبث - وهو أشد الحزن - خطوات قصيرة فى بدنه، على سبيل الاستعارة، وهى استعارة معيبة لعدم التلاؤم[١].

ومن قبيح الاستعارات قول المتنبى:

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب

فجعل للطيب والبيض واليلب[٢] قلوبا، وهذا بعد فى الاستعارة لعدم التناسب والتلاؤم.

ومن هذا قوله :

تجمعت فى فؤادهم همم ملء فؤاد الزمان احداها

فجعل للزمان فؤاداً، وهى استعارة لم تجر على شبه قريب ولابعيد، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة، وطرق من الشبه والمقاربة:[٣]

الاستعارة غير المفيدة:

. أللغة العربية غنية بمفرداتها التى تتسم بسعة الدلالة والمرونة فى الاستعمال، مع مراعاة الفروق الدقيقة فى المعانى المدلول عليها .

---

(١) انظر: الموازنة ٢٧٩/١ .

(٢) اليلب: الدروع، والبيض: السيوف .

(٣) يتيمة الدهر: ١٦٢/١ .

ومن صور هذه السعة وضعهم للعضو الواحد أسامى كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع «الشفة» للإنسان، و«المشفر» للبعير، و«الجحلفة» للفرس، وماشاكل ذلك من فروق[١].

فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها فى غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه، ونقله عن أصله، وجاز به موضعه .

من هذا قول العجاج فى وصف صاحبته :

وفاحماً ومرسنا مسرجاً»

يعنى بالمرسن الأنف، والمرسن فى الأصل للحيوان، لأنه الموضع الذى يقع عليه «الرسن»، وقد استعاره لأنف المرأة .

ومنه قول أبى النجم العجلى يصف الإبل عندما تشرب :

تسمع للماء كصوت المسحل بين وريديها وبين الجحفل

والمسحل: حمار الوحش، سمى باسم سحيله، وهو حشرجته التى تشبه النهاق. وقد استعمل «الجحفل» للإبل وهى استعارة فيها، لأنها فى الأصل لذوات الحوافر كالفرس .

وقوله أيضاً يصف الإبل :

والحشو من حفانها كالحنظل[٢]

فاستعار «الحفان» لصغار الإبل وهو في الأصل موضوع لصغار النعام. وقال أبو دؤاد الأيادى :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ننزع من شفتيه الصفارا

---

(١) راجع هذا الموضوع فى أسرار البلاغة: ٣٠ - ٤١ .

(٢) حشو الإبل: صغارها .

والصفار بفتح الصاد المشددة: نبت صحراوى يبس فيكون له شوك يعلق بأنوف الإبل والخيل عند أكله، فيقوم أصحابها بنزعه، وقد استعمل الشاعر «الشفة» فى الفرس، على سبيل الاستعارة، لأنها فى الأصل موضوعة للإنسان.

وهذا اللون من الاستعارة جعله الشيخ عبد القاهر استعارة غير مفيدة، لأنه لافرق من جهة المعنى بين قوله «من شفتيه» وقوله «من جحفلتيه» لو قاله، لأن كلا من الاسمين يدلل على العضو المعلوم فحسب، بل إن الاستعارة هنا تنقصك جزءاً من الفائدة، وهو الدلالة على النوع، لأنك عندما تقول «الشفة» يدل هذا على أنك تقصد الإنسان، ولو لم تصرح بذكره . أما إذا استعرتها للفرس فقد فاتت هذه الدلالة، وربما وقع السامع فى اللبس حين تذكر «الشفة» فى موضع جرى فيه ذكر الإنسان والفرس، لجواز أن تكون مستعارة للفرس، ولو لم تجر الاستعارة فى هذا اللفظ من الأصل لما كانت هناك شبهة .

وهذه الاستعارة غير المفيدة قد تتحول إلى استعارة مفيدة إذا أريد بها غرض بلاغى، كالذم، والسخرية، والتهكم، ونحو ذلك، كما إذا استعرت «المشفر» وهو شفة البعير لشفة الإنسان، تريد ذمه بغلظ الشفة ونحو ذلك ومن هذا قول الحطيئة فى هجاء الزبرقان :

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

و«العيمان» الذى يشتهى اللبن، فسقى الماء فى الشتاء، فتقلصت شفته من شدة البرد ، وقد استعار المشافر من البعير لشفة الجار؛ ليصفه بنوع من سوء الحال، ويعطيه صفة من صفات النقص، ليزيد بذلك فى التهكم بالزبرقان ويؤكد ماذمه به من إضاعة الضيف، وإهماله وإسلامه للضر والبؤس[1]

---

(١) أسرار البلاغة: ٣٧ .

ومن هذا قول الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى ولكن زنجياً غليظ المشافر

فذمه بأنه زنجى غليظ الشفة، التى هى كمشفر البعير، وكأنه يقول له: ولكن زنجياً كأنه جمل لايعرفنى ولايهتدى لشرفى وبذلك أفادت الاستعارة غرضاً بلاغياً كانت بسببه مفيدة ومن هذا قول عقفان بن قيس بن عاصم :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

فاستعار الأظلاف للأظافر، وهى استعارة مفيدة لما تحمله من ذم، تنزه عنه الملك الممدوح وهو النعمان بن المنذر، وكأنه قال: سأجعل أمرها إلى ملك، لاإلى عبد جاف متشقق الأظلاف(١).

ومنه قول أويس بن حجر فى رثاء فضالة الأسدى :

ليبكك الشرب والمدامة والفتيان طراً، وطامع طمعاً

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولباً جدعاً

فأطلق «القولب» على ولد المرأة ، على سبيل الاستعارة، لأنه فى الأصل لولد الحمار، وذلك لأنه يصف حال ضر وبؤس، ويذكر أمرأة بائسة فقيرة، والعادة فى مثل ذلك، الصفة بأوصاف البهائم، ليكون أبلغ فى سوء الحال وشدة الاختلال(٢).

وبهذا تتحول الاستعارة من استعارة عديمة الفائدة ، إلى استعارة مفيدة ، نظراً لما تحمله من أغراض بلاغية يرمى إليها القائل.

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٩ .

(٢) السابق : ٣٩. والهدم: المبالى المرقع من الثياب، والنواشر: جمع ناشرة، وهى عصب الذراع، والجدع: السئ الغذاء الذى لايجد اللبن .

المجاز المرسل

سبق أن أوضحنا أن البلاغيين يقسمون المجاز باعتبار العلاقة إلى استعارة ومجاز مرسل، فإذا كانت العلاقة قائمة على المشابهة كان استعارة، وإن كانت قائمة على غير المشابهة فهو مجاز مرسل .

والمجاز المرسل هو: اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

فإذا قلت: فازت الكلية بالكأس، ترى أن لفظ الكلية قد وضع فى الأصل للمبنى المشتمل على قاعات الدراسة وغيرها، ولكنك هنا استعملته فى غير ماوضع له حيث تريد به فريق الكرة الذى يخص الكلية. والعلاقة بين الفريق والكلية، أن الكلية محل لهم، فالعلاقة المحلية، والقرينة التى منعت من إرادة المعنى الحقيقى: إثبات الفوز للكلية، وهى جماد لايثبت له فوز أو هزيمة، وهذا المجاز يسميه البلاغيون مجازاً مرسلاً. وسمى مرسلاً لإرساله - أى إطلاقه - عن التقييد بعلاقة واحدة، إذ له علاقات متنوعة بتنوع الأساليب، أما الاستعارة فهى مجاز مقيد، حيث قيدت بعلاقة واحدة هى المشابهة .

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة منها :

١ - السببية :

وتكون فى تسمية الشئ باسم سببه، أو إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب، والسر البلاغى العام فى هذا: العناية بشأن السبب ، والإشارة إلى أهميته في وجود الشئ المقصود، وحصوله .

ومن هذا إطلاق لفظ الغيث على النبات الناشئ عنه كقولهم: رعت الماشية الغيث. ففى لفظ الغيث مجاز مرسل علاقته السببية، والمراد به النبات، والغيث سبب فيه، والقرينة رعت الماشية، لأن الغيث لايرعى، وفى

ذكر الغيث إشارة إلى أهميته فى إيجاد النباتات وإظهارها، وإيماء إلى سرعة ظهور النباتات والحشائش التى ترعى بمجرد نزوله .

ومنه إطلاق لفظ الاعتداء على الجزاء والعقوبة المترتبة على الاعتداء كما في قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) [١] ففى «اعتدوا» مجاز مرسل علاقته السببية، إذ سمى الجزاء والعقاب باسم سببه وهو الاعتداء. وفى تسميته اعتداء ترغيب فى العفو والصفح، وإشارة إلى الحيطة فى المجازاة بعدم الزيادة فيها، وتزهيد في المعاقبة لأنها مهما كانت فهى من جنس الاعتداء، وشبيه بهذا تسمية المجازاة سيئة في قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) [٢] ففى لفظ «سيئة» الثانى مجاز مرسل علاقته السببية، حيث استعمل اللفظ فى المجازاة والعقوبة وهو سببها.

ومن هذا إطلاق الابتلاء على المعرفة التى تنشأ عنه كما فى قوله تعالى (ونبلوا أخباركم) فالمراد المعرفة، وسميت ابتلاء باسم سببها، لأن الابتلاء - وهو الاختبار - سبب فى المعرفة .

ومنه تسمية المجاراة على الجهل والسفه جهلاً فى قول عمرو بن كلثوم:

ألا لايجهلن أحد علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينـــا

ففى قوله «فنجهل» مجازمرسل علاقته السببية والمراد به نجازى ونعاقب .

ومن هذا استعمالهم كلمة «اليد» فى العطاء والنعمة، لأن اليد سبيل إلى إيصال النعمة للمحتاجين كقولهم: جلت يده عندى، وكثرت أياديه لدى، يريدون نعمه وعطاياه وصنائع يده، ومن هذا قول الشاعر :

---

(١) البقرة: ١٩٤ .

(٢) الشورى: ٤٠ .

وليست أيادى الناس عندى غنيمة
ورب يـد عندي أشد من الأسـر

فالمراد بالأيادى واليد: المعروف والنعم، ففى اللفظين مجاز مرسل علاقته السببية. ويشترط فى هذا الاستعمال أن يكون فى الكلام إشارة إلى مصدر النعمة والمولي لها، كالضمير العائد على الممدوح فى المثالين المذكورين .

ولهذا لايصلح ذكر اليد مجردة عند إرادة النعمة، لعدم وجود قرينة فى الغالب - تمنع من قصد المعنى الحقيقى. فلا تقول: اتسعت اليد فى البلد، مثلما تقول: استعت النعمة فى البلد، ولاتقول: اقتنى يدا، مثلما تقول: اقتنى نعمة[١].

ونظير ذلك، استعمال كلمة اليد فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لزوجاته «أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً» ويمكن تخريجه على ثلاثة أوجه:[٢]

أولها: أن تكون اليد مجازاً عن العطاء والإنعام، وأفعل التفضيل «أطولكن» المشتق من الطول ضد القصر ترشيح للمجاز، لملاءمته اليد الحقيقية، والمعنى على هذا: أبسطكن نعمة وأوسعكن عطاء .

وثانيها: أن تكون اليد مجازاً عن العطاء والإنعام، ولاترشيح للمجاز، لأن أفعل التفضيل مشتق من الطول - بسكون الواو - بمعنى الفضل، فيكون المعنى على هذا أفضلكن نعمة، والنعمة توصف بالفضل على جهة الحقيقة، فلا ترشيح .

وثالثها: أن يقدر لفظ الحديث على أن فيه حذفاً لجار ومجرور يتعلق بأفعل التفضيل، والأصل قبل الحذف: أطولكن يداً بالعطاء، بمعنى أنها تزيد

---

(١) أسرار البلاغة: ٣٥٢ .

(٢) الإنصاح: ١٢٧ .

فى مدها عند العطاء، وعلى هذا فاليد مستعملة، فى معناها الحقيقى، والطول كذلك مستعمل فى معناه الحقيقى، وهو ضد القصر، فلا يكون فى الحديث مجاز، ولاترشيح .

ومنه استعمالهم كلمة اليد فى القدرة، نظراً لأن اليد سبب في ظهور القدرة من بطش وضرب وأخذ ومنع، وغير ذلك من الأفعال التى تدل على القوة. كقولهم: اليد لبنى فلان. يريدون القوة والغلبة ومن هذا قول الشاعر :

ومامن يد إلا يد الله فوقها ولاظالم إلا سيبلى بظالم

فاليد مجاز مرسل علاقته السببية والمراد القدرة .

أما «اليد» فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» فليست من المجاز المرسل، ولكنها من التشبيه، أو التمثيل، والمراد: أنهم مع كثرتهم متفقون فيما بينهم كاليد الواحدة .

ومنه استعمالهم لفظ «الأصبع» فى الأثر الدقيق من نقش بديع، ورسم بارع، وغير ذلك من الصناعات الدقيقة، التى يكون للأصابع فضل ظاهر فى تكوينها، كقولهم: أصبع الصائغ بادية في هذا السوار، وأصابع النحات بارعة فى هذا التمثال .

وكذلك استعمالهم «الأصبع» فى الأثر الحسن فى التربية والرعاية كقولهم فى صفة الإبل: إن له عليها أصبعاً، أى أثراً حسناً، ومنه قول الراعى:

ضعيف العصا، بادى العروق ترى له
عليها إذا ماأجدب الناس أصبعا

ومن هذا استعمالهم لفظ «الدم» فى الدية، لأنه سببها، كما قال الشاعر:

أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

ففى الدم مجاز مرسل علاقته السببية، والمراد به الدية، والدم سبب فيها، والقرينة أكلت لأن الدم لايؤكد والمجاز هنا يشير إلى فظاعة الفعل وبشاعته، وهذا يشعر بقوة التهديد، وعزمه على تنفيذ ماتوعدها به .

٢ - المسببية :

وتكون فى تسمية الشئ باسم مسببه، أو إطلاق المسبب وإرادة السبب ومن أمثلتها : إطلاق لفظ النبات على المطر كما في قولهم: أمطرت السماء نباتاً، أى ماء، فالنبات مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث أطلق المسبب وهو النبات وأريد السبب وهو الماء. وفى هذا إشارة إلى سرعة حصول المسبب كأن الماء بمجرد نزوله من السماء أخرج النبات، وفيه إيماء إلى اهتمامهم بالنبات وشدة تشوقهم لوجوده، ولهفتهم عليه، وتعلقهم به .

وإطلاق الرزق على المطر، كما فى قوله تعالي (وينزل لكم من السماء رزقاً) (١). فأطلق لفظ الرزق، والمراد المطر الذى يتسبب فيه، ففيه مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث ذكر المسبب وأريد السبب، وفى هذا إشارة إلى الاهتمام بالمسبب، وإلى سرعة حصوله بحصول السبب .

وإطلاق النار على المال الذى يتسبب فى دخولها كما في قوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) (٢) فالمراد بالنار المال الذى يكون سبباً فى النار، وفى تسميته ناراً مجاز مرسل علاقته المسببية، وفى هذا ترهيب وتخويف من أكل مال اليتامى لأن آكله يأكل ناراً هائلة شديدة .

---

(١) غافر: ١٣ .

(٢) النساء: ١٠ .

إطلاق الدين الذى هو المجازاة، على العمل الذى هو سبب فى المجازاة كقولهم: كما تدين تدان. أى كما تفعل تجازى، فتدين، يراد به مايعمله الإنسان من عمل، وأصل معناه المجازاة، ففيه مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث ذكر المسبب وهو «تدين» والمراد السبب وهو العمل .

ومثل هذا التعبير بالعقاب عن الاعتداء كما فى قوله تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله»[١] «عاقب» حقيقة «وعوقب» مجاز مرسل علاقته المسببية، والمراد بمثل مااعتدى به عليه، فذكر العقاب وهو المسبب والمراد الاعتداء الذى هو سببه .

والتعبير بالفعل عن إرادة الفعل، كما فى قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)[٢] فقد رتبت الاستعاذة على القراءة مع أنها تكون قبل القراءة، وهذا يدل على أن المقصود بالقراءة إرادة القراءة فالقراءة مسببة والإرادة سبب .

ومثل هذا قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا)[٣] فمجئ البأس مقدم على الإهلاك، فالمراد بأهلكناها: أردنا إهلاكها فعبر بالفعل الذى هو المسبب، والمعنى على إرادته وهى السبب .

والتعبير بالنكاح عن مؤنته وتكاليفه كما فى قوله تعالى (وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله)[٤] فالمراد بالنكاح مؤنة النكاح فذكر المسبب وأريد السبب، ففيه مجاز مرسل علاقته المسببية.

ومنه التعبير بالأسنمة عن المطر فى قول الشاعر :

---

(١) الأعراف: ٤ .

(٢) النحل: ٩٨ .

(٣) الحج : ٦٠ .

(٤) النور: ٣٣ .

أقبل كالمستن من ربابـــه أسنمة الآبال فى سحابـــــه

يعنى أن الغيث أقبل مسرعاً من سحابه الأبيض، وبنزوله ينمو النبات الذى ترعاه الإبل فتنمو أجسامها وتكبر أسنمتها. فذكر الأسنمة والمراد الماء الذى ينزل من السماء، والأسنمة مسببة عن الماء، ففى التعبير بها مجاز مرسل علاقته المسببية .

الجزئيـــة :

وهى التعبير بالجزء وإرادة الكل، كالتعبير بالعين عن الجاسوس فى قولهم: بث العدو عيونه فى البلد، فالمراد الجواسيس وعبر بالعيون وهى جزء من الجاسوس، ففيها مجاز مرسل علاقته الجزئية ومن هذا قول الشاعر :

كم بعثنـــا الجيش جـــرا راً وأرسلنـا العيـــونـــا

فأطلق العيون على الرقباء الذين يرصدون حركة العدو واستعداداته، ومعلوم أن العين لها دور كبير فى التجسس .

وقد اشترطوا فى الجزء المعبر به عن الكل أن يكون جزءاً جرى العرف على استعماله فى الكل، أو مما له مزيد اختصاص بالمعنى المراد، ولذلك إذا قلت فى المثال السابق: بث العدو رقبته أو ساقه، كان كلاماً فاسداً لأنه مبهم ولايعبر عن المراد .

ومن علاقة الجزئية التعبير بالرقبة عن العبد كما فى قوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) [1] والمراد تحرير عبد مؤمن، وأطلقت الرقبة على العبد لأنها جزؤه الذى تقوم به حياته. كما أن الرقبة موضـــع التطويـــق والخنـــق،

---

(١) النساء: ٩٢ .

والتقييد الشديد الذى يصعب فكه، وفي العبودية تطويق للرقبة، وخنق للعبد، وغل له، ومن حرره كأنه فك رقبته وأعتقه من قيده وأطلقه من وثاقه .

والتعبير بالقيام عن الصلاة، كما فى قوله تعالى (قم الليل إلا قليلاً) [١] فأطلق القيام على الصلاة وهو جزء منها، وفى قوله صلى الله عليه وسلم «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه» فالمراد بالقيام الصلاة وهو جزء منها .

والتعبير بالركوع عن الصلاة. كما فى قوله تعالي (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) [٢] قيل: عبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود لأن صلاتهم لاركوع فيها، فهو من التعبير عن الكل بالجزء، ويعبر عنها أيضاً بالسجود كما فى قوله تعالى (وكن من الساجدين) [٣] وهو من إطلاق الجزء على الكل [٤].

والتعبير بالكلمة عن الخطبة كما فى قولهم: ألقيت كلمة فى الحفل، أو التعبير بها عن الكلام التام كما فى قوله تعالي (كلا إنها كلمة هو قائلها) [٥] فالمراد بالكلمة ماتقدم من قوله (رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت) وهو كلام تام .

والتعبير بالأيدى عن النفس ، كما فى قوله تعالى (ولاتقلوا بأيديكم إلي التهلكة) [٦] فعبر بالأيدى عن الأنفس وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية.

والتعبير بالقافية عن بيت الشعر، كما فى قول معن بن أوس :

---

(١) المزمل: ٢ .

(٢) البقرة : ٤٣ .

(٣) الحجر: ٩٨ .

(٤) انظر حاشية الشهاب : ١٥٣/٢، ٣٠٨/٥ .

(٥) المؤمنون: ١٠٠ .

(٦) البقرة: ٩٥ .

أعلمه الرماية كل يـــوم فلما اشتد ساعده رمانـــى
وكم علمته نظم القوافـــى فلمـا قال قافية هجانـــى

فأطلق القوافى على الشعر، والقافية على البيت، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث عبر بالجزء عن الكل .

والتعبير بالجزء عن الكل فيه إشارة إلى أهمية الجزء المذكور، والاعتداد به.

٤ - الكليـــة :

وهى التعبير بالكل وإرادة الجزء، كالتعبير بالأصابع عن الأنامل فى قوله تعالى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) [١] فالمراد بالأصابع الأنامل، وهو مجاز مرسل علاقته الكلية، وفيه إشارة إلى سد الأذن ومنعها عن السماع منعاً كاملاً، عن طريق إدخال الأصابع كلها فيها .

ومن هذا قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم) [٢] أى سدوها سداً كاملاً، عن طريق إدخال الأصابع كلها كى لايسمعوا، والمراد بالأصابع أطرافها، بقرينة استحالة إدخال الأصبع كلها فى الأذن .

ومن هذا قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عبر باليد والمراد الرسغ، لأنه هو الذى يقطع فى حد السرقة، وفى هذا مجاز مرسل علاقته الكلية. وفى التعبير باليد ترهيب وتخويف، حتى لايقبل أحد على هذه الجريمة، لشدة عقوبتها .

---

(١) الحجر: ٩٨ .

(٢) نوح : ٧ .

ومنها التعبير بالشئ عن أكثره، كما فى قولك: شاهد العالم مباراة الكأس، فعبرت بالعالم وأنت تريد أكثر الناس .

وقولك: قرأت الشعر العربى، فعبرت بالشعر وأنت تريد أكثره، وقولك: دارت السفينة حول الأرض، فعبرت بالأرض والمراد أكثرها. ففى كل هذا مجاز مرسل علاقته الكلية .

والتعبير بالكل عن الجزء يحقق المبالغة فى الفعل المراد ويظهره فى أكبر صورة وأقوى حالاته .

٥ - المحليـــة :

وهى إطلاق المحل وارادة الحال، أى تسمية الشئ باسم محله، كالتعبير بالنادى وإرادة أهله أو أصحابه ونحوذلك، ومن هذا قوله تعالى (فليدع ناديه) [١] عبر بالنادى والمراد أهل النادى ، وأطلق عليهم لأنه محل لهم، ففى التعبير به مجاز مرسل علاقته المحلية. وفيه إشارة إلى قوة التحدى، وإظهار لتمام القدرة فى مواجهة المخاطب، فعليه أن يحشد نادية بمن فيه، وحينئذ ستتصدى جنود الله لسحقهم ومحقهم.

وقوله تعالى: (واسأل القرية) [٢] عبر بالقرية عن أهلها لأنها محل لهم، ففى التعبير بها مجاز مرسل علاقته المحلية، وفيه إشارة إلى شيوع الأمر وذيوعه، حتى عرفته القرية دوراً وأهلاً، وبيوتاً وسكاناً. ومنه قول الشاعر :

لاأركـــب البحر إنـــى أخـــاف منـه المعاطـــب

فعبر بالبحر والمراد السفينة، وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية .

---

(١) العلق: ١٧ .

(٢) يوسف: ٨٢ .

وتقول: حكمت المحكمة ، وسلمت على الديار، واستقبلت البلدة أبناءها، فتعبر بالمكان وأنت تقصد من فيه من الناس، وفى هذا مجاز مرسل علاقته المحلية. والسر البلاغى: فى ذلك الدلالة على شيوع الفعل وشموله وعمومه للمكان ومن فيه .

٦ - الحالية :

وهى التعبير عن المحل باسم الشئ الذى يحل فيه، أو اطلاق الحال وإرادة المحل، ومن هذا قوله تعالى (إن الأبرار لفى نعيم) [١] . فالنعيم يراد به الجنة، وأطلق عليها لأنه حال فيها وهى محل له، وهذا مجاز مرسل علاقته الحالية. وفى التعبير بالنعيم عناية بإظهاره، لأنه الغاية من دخول الجنة، وبه تفرح النفوس وتنشرح الصدور، كما أن فيه إشارة إلى أن النعيم يحيط بهم وهم فى داخله لايفارقونه ولايخرجون منه .

ومنه قوله تعالي (وأماالذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) [٢] عبر بالرحمة والمقصود الجنة، والرحمة حالة فيها، وفى التعبير بالرحمة إشارة إلى إحاطتها بهم من كل جانب وهم فى داخلها، وإشعار بأن دخولهم الجنة إنما كان من رحمة الله تعالى بهم .

وتقول: نزلت بالقوم ، أى بديارهم، ففى القوم مجاز مرسل علاقته الحالية .

---

(١) الانفطار: ١٣ .

(٢) آل عمران: ١٠٧ .

٧ - اعتبار ماكان :

وهى تسمية الشئ باسم ماكان عليه في الماضى. كما في قوله تعالى: (وآتوا اليتامى أموالهم)[١] أى الذين كانوا يتامى. وسموا يتامى باعتبار ماكانوا عليه فى الماضى، لأن إيتاء المال لهم لايتم إلا بعد بلوغ سن الرشد، وعند ذلك لايطلق عليهم يتامى .

ومنه قوله تعالى: إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لايموت فيها ولايحيا)[٢] سمى مجرماً باعتبار ماكان عليه فى الدنيا، ففى هذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان، وفيه إشارة إلى ملازمة هذا الوصف له وارتباطه به فى الدنيا والآخرة .

ومنه قوله تعالى (وإذا طلقتم النساء فلبغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن)[٣] فالمراد بأزواجهن طالبوا المراجعة بعد انقضاء العدة، فهم ليسوا أزواجاً وإنما سموا أزواجاً باعتبار ماكانوا عليه قبل الطلاق، ففى التعبير بالأزواج مجاز مرسل علاقته اعتبار ماكان، وفيه إشارة إلى أن منع المطلقات من الزواج بأزواجهن السابقين ظلم، فإن هؤلاء كانوا أزواجاً لهن من قبل، فهم أحق بردهن وإرجاعهن[٤].

ومن هذا قول المتنبى:

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد مالهن قوائم

---

(١) النساء: ٢ .

(٢) طه: ٧٤ .

(٣) البقرة ٢٣٢ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير : ٤٢٧/٢ .

فالمراد من الحديد الدروع والسلاح، وقد سمى ذلك حديداً باعتبار ماكان عليه فى الماضى .

ومنه قولك: أكلت القمح، وشربت البرتقال، ولبست القطن، فسميت الخبز قمحاً، والعصير برتقالاً، والملابس قطناً، باعتبار ماكانت عليه هذه الأشياء في الماضى .

٨ - اعتبار مايكون :

وهى تسمية الشئ باسم ماسيكون عليه فى المستقبل، ومن هذا قوله تعالي (إنى أرانى أعصر خمراً) [١] أى عنباً يصبح عصيره بعد التخمير خمراً، ففى إطلاق الخمر على العنب مجاز مرسل علاقته اعتبار مايكون، وفى التعبير بالخمر مبادرة إلى ذكر المقصود ، ومسارعة إلى بيان المراد، فهم لايعصرون العنب من أجل عصيره، وإنما بغرض تخميره وتحويله إلى خمر .

ومنه قوله تعالي: (ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً) [٢] وصف مايلدونه بالفجور والكفر، والطفل عند الولادة لايكون كذلك، إنما يكون على الفطرة، وأطلق هذا الوصف عليهم باعتبار ماسيكونون عليه فى المستقبل من الفجور والكفر وهو يشير إلى أنهم سيربون أبناءهم على شاكلتهم، وأن الأبناء سيلتزمون بضلال آبائهم، فلا محل للأسى عليهم، والشفقة بهم وتقول: ولدت المرأة رجلاً. فسميت الطفل رجلاً باعتبار ماسيكون عليه فى المستقبل وفى هذا إشعار بتمام صحة المولود، وكمال جسمه، وتبشير بمستقبله العظيم ، ومسارعة إلي الإخبار بما يسر .

---

(١) يوسف: ٣٦ .

(٢) نوح: ٢٧ .

٩ - الآليـــة :

وهى تسمية الشئ باسم آلته التى يحصل بها. كما فى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[١] فالمراد باللسان اللغة، واللسان آلة الكلام، ففى التعبير به مجاز مرسل علاقته الآلية، ونحو هذا قوله تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً)[٢] فالمراد باللسان اللغة على سبيل المجاز المرسل .

ومن هذا قوله تعالى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)[٢] فالمراد باللسان الذكر الحسن، واللسان آلته .

وتقول: طربت بسماع العود والناى، فأطلقت العود والناى وأنت تريد صوتهما، ففى التعبير بهما مجاز مرسل علاقته الآلية .

١٠ - المجـــاورة :

وهى تسمية الشى باسم مجاوره. كما فى قولك : أصابتنا السماء. أى المطر، وإنما سميته سماء باعتبار مجاورته لجهة السماء، ومنه قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابـــاً

ففى السماء مجاز مرسل علاقته المجاورة والمراد به المطر، وقد أعاد الشاعر الضمير فى «رعيناه» على السماء بمعناها المجازى وهو النبات، وبذلك يكون استعمل الغيث فى النبات، وهو مجاز مرسل علاقته السببية، ومن هذا قول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحـرم

---

(١) ابراهيم : ٤ .

(٢) الشعراء: ٨٤ .

فعبر بالثياب عن الجسم وفى هذا مجاز مرسل علاقته المجاورة، لأن الثياب مجاورة للجسم .

ومن هذا إطلاق الراوية على القربة فى قولك: خلت الرواية من الماء فسميت القربة باسم مايحملها للمجاورة. والراوية فى الأصل الدابة التى تحمل القربة .

وتقول: ركب الفرسان سروجهم، تريد خيولهم، وسميتها سروجاً على سبيل المجاز المرسل، لعلاقة المجاورة .

وقد ذكروا للمجاز المرسل علاقات أخرى كثيرة بعضها يمكن رده إلى العلاقات المذكورة. والذى ينبغى أن تعيه جيداً أنه لابد من وجود علاقة وارتباط بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقى بوجه من الوجوه .

بلاغة المجاز المرسل :

المجاز المرسل وسيلة من وسائل التوسع فى اللغة، والافتنان فى التعبير، وهو يحقق المبالغة فى المعنى، من خلال جعل السبب مسبباً،والمسبب سبباً، وجعل الجزء كلاً، وغير ذلك مما فصلناه لك فى عرضنا لعلاقاته .

وفى المجاز تأكيد وتقرير وإثبات للكلام، لأنه بمنزلة دعوى الشئ ببينة، لأنى مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ففى قولك: رعينا الغيث، ذكرت الملزوم وهو الغيث وأردت اللازم وهو النبات، ووجود الملزوم شاهد على وجود اللازم، لأنهما لاينفكان، ومن ثم يكون وجود الغيث دليلاً على وجود النبات وتكون قد أثبت وجود النبات ببينة ودليل وفى هذا تأكيد لايمكن الجدال فيه[1].

---

(١) مفتاح العلوم: ٤١٢، ٤١٣ .

والمجاز المرسل يحقق الإيجاز فى العبارة فمما لاشك فيه أن قولنا: رعت الماشية الغيث أوجز من قولنا: رعت الماشية النبات المترتب على الغيث، وقولنا: لبست صوفاً، أخصر من قولنا: لبست ثوباً مصنوعاً من الصوف. والمجاز المرسل ييسر السبيل أمام الأديب لاختيار الألفاظ الملائمة للمقام والاستغناء عن الألفاظ التى تشوب التعبير وتهجنه.

وتتضح بلاغة المجاز المرسل فى ثنايا التطبيق على الأمثلة وفى تحليلنا لأمثلته أشرنا إلى ماوراء التعبير به من أسرار بلاغية، ويمكنك الرجوع إليها لتدرك كثيراً من لطائفه وأسراره .

المجاز المرسل المركب :

كان حديثنا فيما سبق عن المجاز المرسل المفرد، وهناك لون من المجاز المرسل يكون مركباً. وهو اللفظ المركب المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

ويوجد هذا المجاز فى شيئين :

الأول: الأساليب الخبرية التى قصد بها فائدة الخبر إذا استعملت فى الإنشاء لغرض بلاغى، فاستعمالها فى هذا الغرض نقل لها من معناها الحقيقى إلى معنى آخر فتكون مجازاً مرسلاً. ومن هذه الأغراض :

١ - إظهار الضعف والتذلل. كما فى قوله حكاية عن زكريا: (رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً) [١] فزكريا عليه السلام لايريد بهذا الإخبار عن حاله، وإنما يريد إظهار ضعفه وتذلله وحاجته إلى معونة الله

---

(١) مريم: ٤ .

تعالى فى مقام الدعاء والتضرع إلى الله تعالى. والجملة مجاز مرسل علاقته السببية .

٢ - التحسر على فوات المطلوب. كما فى قوله تعالى : حكاية عن امرأة عمران: (رب إنى وضعتها أنثى) [١] فليس الغرض من الخبر إعلام الله تعالى بذلك فهو سبحانه وتعالى عالم به، ولكنها تظهر تحسرها على فوات المطلوب حيث كانت تتمنى أن تلد ذكراً. والجملة مجاز مرسل علاقته السببية .

٣ - إظهار الفرح والسرور كما تقول لزميل: اليوم نجحت فى الامتحان وكنت من الأوائل، تريد بذلك إظهار فرحك وسرورك بهذا النجاح. وفى العبارة مجاز مرسل علاقته السببية .

٤ - الدعاء كما فى قولك لصديقك: فتح الله عليك، وأكرمك الله، فأنت لاتقصد بذلك الإخبار ولكنك تقصد الدعاء له، ففى كل من الجملتين مجاز مرسل مركب علاقته المسببة، لأن الإخبار مسبب عن الدعاء .

والثانى: الأساليب الإنشائية المستعملة فى الإخبار، فهذه الأساليب تدخل فى المجاز المرسل المركب وتكون علاقتها السببية لأن إنشاء المتكلم العبارة سبب فى إخباره بما تضمنه، ويكون هذا الغرض من الأغراض البلاغية ومنها:

١ - العظة والاعتبار كقولك وأنت ترى قصوراً مات أصحابها: أين من شيدوا هذه القصور؟ تريد أنهم ماتوا ولم ينفعهم ماشيدوا .

٢ - التحدى والتعجيز كما فى قوله تعالي: (فادرؤا عن أنفسكم الموت) [٢] وقوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله) [٣].

---

(١) آل عمران: ٣٦ .

(٢) آل عمران: ١٦٨ .

(٣) البقرة: ٢٣ .

٣ - التعجب كما فى قوله تعالى: (مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين) [١] وقد مر بك فى دراسة الأساليب الإنشائية كثير من الأمثلة التى خرج فيها الإنشاء عن معناه إلى معنى آخر لغرض بلاغى.

* * * * * * * * * * *

واعلم أن المجاز المرسل قد يكون أصلياً إذا كان اللفظ المستعمل فى المجاز اسم جنس كاليد والعين والقرية ونحو ذلك .

وقد يكون تبعياً إذا كان اللفظ المستعمل فى المجاز اسماً مشتقاً أو فعلاً أو حرفاً كما فى قوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [٢]. فهل حرف استفهام خرج عن معناه إلى النفى، وقد جعل بعض البلاغيين هذا من قبيل المجاز المرسل فى الحروف، فيكون المجاز فيه تبعياً .

ويكون المجاز المرسل مرشحاً إذا ذكر معه مايلائم المعنى الحقيقى ويكون مجرداً إذا ذكر معه مايلائم المعنى المجازى، ويكون مطلقاً إذا لم يذكر معه ملائم للمعنى الحقيقى أو المجازى .

فإذا قلت: رعت الماشية الغيث كان المجاز المرسل مطلقاً حيث لم يقترن بعد استيفائه القرينة بما يلائم المعنى الحقيقى أو المجازى .

وإذا قلت: رعت الماشية الغيث الأخضر كان وصف «الأخضر» تجريداً وكان المجاز مجرداً، لأن هذا الوصف يلائم النبات الذى هو المعنى المجازى للغيث .

وإذا قلت : رعت الماشية الغيث المدرار، كان المجاز مرشحاً. لأن المدرار يلائم المعنى الحقيقى للغيث، فيكون ترشيحاً.

---

(١) النمل: ٢٠ .

(٢) الرحمن: ٦٠ .

المجاز بالحذف والمجاز بالزيادة

علمت أن الكلمة توصف بالمجاز إذا نقلت عن معناها الأصلى إلى معنى آخر، فإذا أطلقت الأسد على الرجل الشجاع، فلفظ الأسد حينئذ مجاز بطريق الاستعارة، وإذا أطلقت الغيث على النبات فلفظ الغيث حينئذ مجاز مرسل .

وتوصف الكلمة بالمجاز أيضاً إذا نقلت عن إعرابها الأصلى إلى غيره بسبب حذف لفظ أو زيادة لفظ .

فالحذف كقوله تعالى (واسأل القرية) [١]، لأن الأصل واسأل أهل القرية ، فالحكم الإعرابى الذى يجب للقرية فى الأصل هو الجر بالإضافة، فحذف المضاف، وأعطى المضاف إليه حكمه الإعرابى، فصار منصوباً بعد أن كان مجروراً، ففى الآية مجاز بالحذف. وهذا إذا لم نجعل «القرية» مجازاً مرسلاً علاقته المحلية كما تقدم فى المجاز المرسل، فإن اعتبرناها مجازاً مرسلاً فلا حذف فى الكلام، ويكون المجاز فى نقل الكلمة من معناها الأصلى إلى معنى آخر .

والزيادة كقوله تعالى (ليس كمثله شئ) [٢] على القول بزيادة الكاف، والأصل: ليس مثله شئ، فإعراب مثله في الأصل هو النصب، فلما زيدت الكاف صار حكمها الإعرابى الجر، ففى الآية مجاز بالزيادة .

فإن كان الحذف أو الزيادة لايوجبان تغير الإعراب فإن الكلمة فى هذه الحالة لاتوصف بالمجاز، كما فى قوله تعالى (أو كصيب من السماء) [٣]، إذ الأصل: أو كمثل ذوى صيب، فحذف «ذوى» لدلالة «يجعلون أصابعهم فى

---

(١) يوسف: ٨٢ .

(٢) الشورى: ١١ .

(٣) البقرة: ١٩ .

آذانهم»[١] عليه، وحذف «مثل» لدلالة قوله (كمثل الذى استوقد ناراً)[٢] عليه، ولم يغير الحذف حكم الكلمة الإعرابى، لأن حكمها الجر، قبل الحذف وبعد الحذف ، فلا مجاز فيها .

وكقوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم)[٣] فالأصل: فبرحمة وزيدت «ما» ولم تغير الزيادة الحكم الإعرابى للكلمة، فهى مجرورة قبل الزيادة، وبعدها، فلا مجاز فيها[٤].

---

(١) البقرة: ١٩ .

(٢) البقرة: ١٧ .

(٣) آل عمران: ١٥٩ .

(٤) انظر: الإيضاح: ٥/١٥٥-١٥٧ . وأسرار البلاغة: ٤١٦-٤١٨ .

الباب الثالث

الكناية والتعريض

الكنايـــة

نبذة عن تطور بحثها :

ذكر سيبويه ت ١٨٠ هـ مصطلح الكناية وأراد به الستر والخفاء فقال: تقول العرب: يافل، وإنما بنى على حرفين ولم يجز فى غير النداء لأنه إذا جعل اسماً لايكون إلا كناية لمنادى، وأما فلان فإنما هو كناية عن اسم سمى به المحدث عنه[١].

وورد مصطلح الكناية عند أبى عبيدة ت ٢٠٧ هـ وقد أطلقه على مايفهم من الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحاً فيه، ففى قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم) [٢] كناية وتشبيه[٣]، وفى قوله تعالي (أو جاء أحد منكم من الغائط) [٤] كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة فى البطن[٥] وهذا المعنى قريب من المعنى البلاغى للكناية .

كما أطلقه على الضمير[٦]، لأن فى دلالته خفاء وستر .

وأشار الجاحظ إلى مصطلح الكناية فى مواضع من البيان والتبيين، ومنها قوله: قال شريح: الحدة كناية عن الجهل، وقال أبو عبيدة: العارضة كناية عن النداء، وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور[٧].

---

(١) الكتاب: ٣٣٣/١ .

(٢) البقرة: ٢٢٣ .

(٣) مجاز القرآن: ٧٣/١ .

(٤) المائدة:

(٥) مجاز القرآن: ١٥٥/١ .

(٦) انظر مجاز القرآن ١٣/١، ١٧٤، ٢٧٦ .

(٧) البيان والتبيين: ٢٦٣/١ .

وأفرد ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ، باباً للكناية والتعريض وذكر فيه أن الكناية أنواع ولها مواضع: فمنها أن تكنى عن اسم الرجل بالأبوة لتزيد فى الدلالة عليه، أو لتعظمه فى المخاطبة بالكنية، لأنها تدل على الحنكة، وتخبر عن الاكتهال، ومنها التعريض والعرب تستعمله فى كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف فى كل شئ... (١).

وتحدث المبرد ت ٢٨٥ هـ عن الكناية: فذكر أن الكلام يجرى على ضروب فمنه مايكون فى الأصل لنفسه، ومنه مايكنى عنه بغيره، ومنه مايقع مثلاً فيكون أبلغ فى الوصف، والكناية تقع على ثلاثة أضرب :

أحدها: التعمية والتغطية، كقول النابغة الجعدى :

أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتم

وقال ذو الرمة ، استراحة الى التصريح من الكناية :

أحب المكان القفر من أجل أننى بـه أتغنى باسمها غير معجم

والثانى: وهو أحسنها ويكون فى الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى مايدل على معناه من غيره كما فى قوله تعالى فى المسيح بن مريم وأمه عليهما السلام: (كانا يأكلان الطعام) (٢) وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة، وقال تعالى: (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) (٣) وإنما هو - أى الجلود - كناية عن الفروج .

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٥٦، ٢٦٣ .

(٢) المائدة: ٧٥ .

(٣) فصلت: ٢١ .

والثالث: التفخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل فلا يدعى باسمه، وقد وقعت فى الكلام على ضربين: وقعت فى الصبى على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد، ويدعى بولده كناية عن اسمه. ووقعت فى الكبير حينما ينادى باسم ولده صيانة لاسمه[١].

وجعل ابن المعتز ت ٢٩٦ هـ الكناية والتعريض من محسنات الكلام ومثل لهما دون أن يعرفهما أو يفصل فى دراستهما[٢].

وتحدث قدامة فى ائتلاف اللفظ والمعنى عن فن سماه «الإشارة»، وعرفه بأن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها، أولمحة تدل عليها.. كما تحدث عن نوع آخر سماه «الارداف» وهو أن يريد الشاعر دلالة علي معنى من المعانى، فلا يأتى باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع، كما فى قول عمر بن أبى ربيعة:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها، وإما عبد شمس فهاشم

وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط[٣].

وكلام قدامة عن الارداف لايختلف عنه كلام البلاغيين فى الكناية.

وعقد أبو هلال ت ٣٩٥ هـ فصلاً للكناية والتعريض، بدأه بتعريفهما فقال: هو أن يكنى عن الشئ ويعرض به ولايصرح، على حسب ماعملوا باللحن

---

(١) الكامل: ٢/٢٠٩ - ٢١١.

(٢) انظر: البديع: ٦٤.

(٣) نقد الشعر: ١٥٤-١٥٨.

والتورية عن الشئ... ومثل للكناية والتعريض بأمثلة متعددة وساق أمثلة لما عيب من الكناية. (١)

أما ابن رشيق ت ٤٦٣ هـ فجعل الكناية نوعاً من الإشارة، والإشارة عنده باب واسع يشمل: الوحى والإيماء، والتفخيم، والتعريض، والتلويح، والكناية والتمثيل، والرمز، واللغز، وغيرها ...

وبذلك خلط بين ألوان كثيرة، وجعل الكناية والتمثيل شيئاً واحداً.... (٢) وتحدث الشيخ عبد القاهر عن الكناية فى مواطن مختلفة من كتابه «دلائل الإعجاز» وسنعرض فى حديثنا عن الكناية بعض ماذكره فى ذلك.

وتواصل حديث البلاغيين عن الكناية، فعرض لها الرازى، والسكاكى وابن الأثير وغيرهم .

تعريف الكناية :

الكناية فى اللغة مصدركنى يكنى، وكنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، وكنيت الشئ إذا سترته وأخفيته، والكناية أن تتكلم بالشئ وتريد غيره .

والكناية عند البلاغيين: لفظ أطلق وأريد منه لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقى معه .

تقول: واجهته بالحق فاحمر وجهه، تريد أنه خجل من المواجهة واستحيا من المكاشفة وظهر أثر ذلك على وجهه. فقولك: احمر وجهه كناية عن صفة

---

(١) الصناعتين: ٣٦٨ - ٣٧٠ .

(٢) العمدة: ٣٠٦/١، ومابعدها .

الخجل وهى صفة لازمة لحمرة الوجه التى أطلقتها، ويجوز مراعاة المعنى الأصلى لحمرة الوجه إذ لايوجد فى الكلام مايمنع ذلك .

وقد ذكر الشيخ عبد القاهر معنى الكناية، وشرحه فقال: والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى، فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة، وكثير الرماد، يعنون كثير القرى، وفى المرأة نؤوم الضحى، والمرادأنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها فقدأرادوا فى هذا كله كما ترى معنى، ثم لم يذكروه بلفظة الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه فى الوجود، وأن يكون إذا كان .

أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟[1].

ومن هذا الشرح المفصل للشيخ عبد القاهر ترى أن الكناية تقوم على إطلاق لفظ وعدم إرادة معناه الظاهر، ولكن إرادة معنى آخر لازم له، ومرتبط به، فطول النجاد يلزم منه طول القامة، وكثرة الرماد يلزم منه كثرة الكرم وهكذا .

علاقة الكناية :

بالتأمل فى تعريف الكناية وأمثلتها نرى أن اللفظ المستعمل فى الكناية له معنيان: المعنى الأصلى، وهو المعنى اللغوى المستفاد من الألفاظ، كحمرة الوجه، وطول النجاد، وكثرة الرماد .

---

(١) دلائل الإعجاز : ٦٦ .

والمعنى المراد وهو المعنى الكنائى، وهو لازم للمعنى الأول، ومستفاد منه بواسطة القرائن. وهو فى الأمثلة السابقة: الخجل، وطول القامة ، والكرم .

والعلاقة التى تربط بين المعنى المراد - وهو المعنى الكنائى - وبين المعنى الأصلى للفظ، هى علاقة التلازم ، سواء أكان هذا التلازم ناشئاً من عادة مشتهرة كعادة إيقاد النار لإرشاد الضيوف، عند كرماء العرب، أم كان ناشئاً عن طبيعة مستقرة فى إنسان أو حيوان كحمرة الوجه عند الخجل، وصفرته عند الوجل، أم كان ناشئاً عن اختصاص فعل من الأفعال بنوع معين من الناس، كاختصاص النساء بخضاب الكف، واختصاص الرجال بحمل السلاح، ونحو ذلك من أنواع التلازم العقلى أو العرفى.(١)

قرينة الكناية:

وتشتمل الكناية على قرينة تعين المعنى المراد وتوضحه، وهى فى نفس الوقت لاتمنع إرادة المعنى الأصلى مع المعنى المراد، فإذا قلت: محمد نظيف اليد، فقرينة المدح والثناء عليه تعين أن مرادك من نظيف اليد، أنه أمين وعفيف، وهذا لايمنع من أن تكون يده نظيفة نظافة محسوسة فعلاً، وإذا قلت: واجهته بالحقيقة فاحمر وجهه، فمواجهتك له بالحقيقة قرينة تدل على أن المراد باحمرار الوجه، الخجل، وهذه القرينة مع دلالتها على المعنى الكنائى المراد لاتمنع من وجود المعنى الأصلى، وهو احمرار الوجه حقيقة .

---

(١) انظر الإفصاح: ٢١٠ .

الفرق بين الكناية والمجاز :

تختلف الكناية عن المجاز من حيث الفائدة التى تؤديها القرينة في كل منهما، فالقرينة فى المجاز تمنع من إرادة المعنى الأصلى، فإذا قلت: حدثنى أسد، فالحديث قرينة تمنع أن يكون المقصود بالأسد هو الحيوان المفترس المعروف، وتصرف الكلمة إلى المعنى المجازى وهو الرجل الشجاع .

أما القرينة فى الكناية فلا تمنع من إرادة المعنى الأصلى، إلا إذا وجد عارض خارجى يمنع إرادته. فإذا قلت: عاتبته فاحمر وجهه، فالعتاب قرينة تبين أن المقصود بحمرة الوجه الخجل، ولكنها لاتمنع من أن يكون الوجه قد احمر فعلاً .

ويرى السكاكى أن الفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين :

أحدهما: أن الكناية لاتنافى إرادة الحقيقة بلفظها، فلا يمتنع في قولك: فلان طويل النجاد، أن تريد طول نجاده، من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته. والمجاز ينافى ذلك. فلا يصح فى نحو: رعينا الغيث أن تريد معنى الغيث من غير تأويل، لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة، وملزوم معاند الشئ معاند لذلك الشئ .

وهذا الوجه قد أقر به جمهور البلاغيين، وقد سبق أن ذكرناه لك .

والثانى: أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم[1] ففى الكناية مثلاً: ننتقل من طول النجاد إلى طول القامة، وطول القامة ملزوم لطول النجاد، وطول النجاد لازم لطول القامة. أما المجاز فالانتقال فيه على العكس أى من الملزوم إلى اللازم كأن ننتقل من الغيث إلى النبات فى قولنا: رعينا الغيث، فالنبات لازم للغيث والغيث ملزوم له .

---

(١) مفتاح العلوم: ٤٠٣ .

وهذا الوجه مبنى على رأى السكاكى فى تعريف الكناية لأنها عنده: ترك التصريح بذكر الشئ. إلى ذكر مايلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، فيكون المذكور فى رأيه هو لفظ اللازم والمراد به الملزوم، وهذا عكس مايراه الخطيب من أن اللفظ المذكور فى الكناية هو الملزوم، والمراد به هو اللازم، ولذلك لم يوافق الخطيب على هذا الفرق الثانى الذى ذكره السكاكى[١].

أركان الكناية :

أهم أركان الكناية ثلاثة :

١ - اللفظ المستعمل فى الكناية .

٢ - المكنى به: وهو المعنى الأصلى للفظ المستعمل فى الكناية .

٣ - المكنى عنه: هو المعنى المراد الذى يقصده المتكلم .

ففى قولك: محمد طاهر الذيل. يكون «طاهر الذيل» هو اللفظ المستعمل فى الكناية، والمكنى به هو المعنى الأصلى لطهارة الذيل، وهو نظافة ذيل الثوب. والمكنى عنه هو المعنى المراد، وهو العفة والبعد عن الفواحش .

والركن الأول والثانى لاينفصلان لأنهما فى شئ واحد، وهو اللفظ ومعناه الأصلى. لذا يمكن اعتبارهما ركناً واحداً يطلق عليه: المكنى به، ويكون شاملاً للفظ ومعناه الأصلى .

أقسام الكناية:

للكناية أقسام باعتبارات مختلفة سنورد أشهرها فيما يلى :

أقسام الكناية باعتبار ذاتها :

---

(١) انظر بغية الإيضاح: ٣/١٧٤ .

تنقسم الكناية باعتبار ذاتها إلى مفردة ومركبة:

فالمفردة : ماكانت الكناية فيها حاصلة فى لفظة واحدة، كما فى قوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) [١] فالغائط كناية عن قضاء الحاجة، واللمس كناية عن الجماع، والكناية هنا فى المفردات، ومثل هذا كنايتهم عن المرأة بالنعجة، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن النعجة في قوله تعالى: (ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) [٢] كناية عن المرأة، وهى كناية مفردة .

والمركبة: ماكانت الكناية فيها حاصلة من كلام مركب، وهى كثيرة فى الأساليب كقولهم: فلان عريض القفا، فعريض القفا كناية عن قلة الفهم وعدم الذكاء. وقولهم: المجد فى بردية، وهو كناية عن كونه متصفاً بالمجد، ومنها قوله تعالى (فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها) [٣] فتقليب الكفين كناية عن الندم والحسرة، وهى كناية مركبة .

أقسام الكناية باعتبار طريقها :

والكناية من هذه الناحية على ثلاثة أقسام .

١ - الكناية عن طريق التمثيل :

وتسمى كناية التمثيل. وذلك أن تكون الكناية واردة من طريق الاتيان بمعان مماثلة ومشابهة للمكنى عنه وإطلاقها عليه. كقولهم: فلان نقى الثوب كناية عن تنزهه عن العيوب فمثلوا نزاهته عن العيوب بنقاء الثوب، وبذلك صوروا المعقول بصورة محسوسة، أكدته وجعلت أثره قوياً فى النفس. ومن

---

(١) المائدة: ٦ .

(٢) ص: ٢٣ .

(٣) الكهف : ٤٢ .

هذا قوله تعالى (ولاتجعل يدك مغلولة إلي عنقك»[١] فمثل البخل بغل اليد إلى العنق، وكنى به عنه، وذلك لعدم تمكن البخيل من بسط اليد بالعطاء كالمغلول، ولقبح صورة الغل ونفرة النفوس منه،وكونه مؤلماً للمغلول مبالغة فى تنفيره عنه وتنبيه على أن فى البخل ضرراً وألماً كما فى الغل[٢].

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم «إياكم وخضراء الدمن خضراء الدمن كناية عن المرأة الحسناء فى المنبت السوء، وأصلها تمثيل هذه المرأة بالنبات الأخضر الزاهى، الذى ينبت فى مواطن النجاسات، ومجمع القاذورات، لما بينهما من شبه يتمثل فى حسن الظاهر فى مرأى العين، مع فساد الباطن، وطيب الفرع مع خبث الأصل[٣] وإنما كنى بذلك عنها لما فيه من المناسبة لأمرين:

١ - أن أول عشرتها يكون حسناً موافقاً، ومن بعد ذلك تعود إلى الفساد والرداءة كزرع المزابل، فإنه يعجب أولاً ثم يذبل ويجف ويزول على القرب.

٢ - أن غضارتها ورونقها لأيام قليلة، ثم تعود وقد صارت يابسة ذات ذبول[٤].

ومن الكناية عن طريق التمثيل قوله تعالي : (ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه).[٥]

ففى هذا الجزء من الآية الكريمة كناية تمثيلية، إذ نهى الله تعالى أولاً عن الغيبة، ثم كنى عن المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً، وهذا تمثيل لعمله الشائن بصورة بشعة منفرة لاتقبلها النفوس بأى وجه من الوجوه .

---

(١) الإسراء: ٢٩ .
(٢) الأكسير: ١٢١ .
(٣) انظر أسرار البلاغة : ٦٨ .
(٤) الطراز: ١/ ٤١٠ .
(٥) الحجرات: ١٢ .

وفى الآية لطائف تتضح بالتأمل فيها منها:[1]

١ - النهى عن الغيبة صراحة: «ولايغتب بعضكم بعضاً»، وقد أتبع هذا النهى الصريح بنهى كنائى، فاجتمع فى الآية نهيان: صريح وكنائى، تأكيداً للنهى عن الفعل وبياناً لشدة إثمه .

٢ - تعليل النهى عن الغيبة بالكناية التمثيلية (أيحب أحدكم ..) وكأن سائلاً سأل: لماذا أنهينا عن الغيبة؟ فجاء الجواب مبيناً علة النهى، وهى أن المغتاب كمن يأكل لحم أخيه ميتاً، ولايمكن لأحد أن يفعل ذلك .

٣ - الاستفهام الانكارى الدال على شدة النفى والجحد لهذا المنظر البشع ومن يقع فيه، كما أنه أتاح للعقل قدراً من التدبر والتفكر فى الأمر المعروض عليه، وكأن المخاطب لم يفرض عليه شئ، ولكن ترك وشأنه، ليختار أيحب أن يعمل هذا العمل الشنيع أم لايحب، وبالطبع فإن العقل يختار الأول ويرفض الثانى بشدة .

٤ - التعبير بالحب دون الإرادة ومأشبه ذلك. وإنما جعله محبوباً لما جبلت عليه النفوس، ومالت إليه الأهواء من الإسراع إلى الغيبة، والإصغاء إلى من يتحدث بها، مع مافيها من الخطر، ووعيد الشرع، فلهذا أصدرها بالمحبة مشيراً إلى ماذكرناه، ولفظ الإرادة لايدل على تمكن هذا فى النفوس والأفئدة كالمحبة .

٥ - إنما جعل الغيبة بمنزلة أكل الانسان لحم غيره، لما فى ذلك من شدة الملاءمة للمعنى، وعظم المناسبة فيه، وذلك أن الغيبة إنما تكون بذكر معايب الناس، وبيان مثالبهم، وتمزيق أعراضهم، ولاشك أن تمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم تقطيع له، وتمزيق لأوصاله،

---

(١) انظر: فى تحليل الآية: الطراز: ١/ ٤٠٠ .

ومن وجه آخر، وهو أن الناس يولعون بالغيبة، ويشتد شوقهم إليها، كما يولع الإنسان بأكل اللحم، ويعظم شوقه إليه، ولأجل هذا شبهه بأكل اللحم .

٦ - إضافة اللحم إلى الأخ، وإنما جعله كلحم الأخ لأمرين :

أحدهما: أن التحريم إنما وقع فى غيبة المسلمين، ولاشك أن المؤمنين إخوة بنص القرآن الكريم. قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)[١].

والثانى: لأن أكل الإنسان لحم الأجنبى شئ مستكره خبيث، فإذا كان المأكول لحم أخيه فلا شك فى أنه أبشع، والتحريم فيه أوقع، والغيبة فيه أعظم من غيره .

٧ - إنما جعله «ميتاً» لأمرين:

أحدهما: أن المغتاب يغتاب غائباً ويكون هذا الغائب بمنزلة الميت، فلا يشعر بما وقع فيه من النقص، ولايستطيع الدفع، لعدم شعوره .

والثانى: أن أكل اللحم إذا كان هزيلاً معيباً يكون مستكرهاً فى النفوس، فكيف به إذا كان ميتة، إنه يكون لامحالة أدخل فى الخبث والقذارة وأعظم فى النفور عنه .

٨ - عقب ذلك بقوله «فكرهتموه» لأن العقول مشيرة إلي أن ماختص بخصلة من هذه الخصال كان فى غاية الكراهة، فضلاً عما إذا كان جامعاً لها، فإنه يكون لامحالة أدخل فى الاستكراه، فلهذا أخبر عنه بكونه مكروهاً .

٩ - صدرت الآية بالمحبة، وختمت بالكراهة، تنبيهاً على كون هذا الفعل محفوفاً بطرفين متضادين، فلأجل تمكنه فى القلوب وميل الخواطر إلى فعله، فهو محبوب، ولأجل كونه بمنزلة أكل لحم الأخ ميتاً فهو مكروه .

---

(١) الحجرات: ١٠ .

١٠ - أن مفردات الآية قد أدت المراد كاملاً، مع كونها فى غاية الفصاحة، ولايمكن للفظة أخرى أن تؤدى معنى ماينا ظرها فى الآية ،

٢ - الكناية عن طريق المجاورة :

وتسمى كناية المجاورة. وهى أن يكنى عن الشئ بلفظ مايجاوره، ويكتفى به لدلالته على المقصود. ومن هذا قول عنترة :

بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر فى الشمال مفدم[1]

فكنى بالزجاجة عن الخمر، لمجاورتها لها واشتمالها عليها .

ومنها قوله أيضاً:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

فكنى بالثياب عن الجسم والثياب مجاورة له .

وقد سبق أن عرفت أن فى التعبير بالثياب عن الجسم مجازاً مرسلاً علاقته المجاورة. وبذلك تتداخل كناية المجاورة مع المجاز المرسل الذى تقوم العلاقة فيه على المجاورة، والفرق بينهما يرجع إلى القرينة فإن كانت مانعة من إرادة المعنى الحقيقى فهو مجاز، وإن كانت غيرمانعة من إرادة المعنى الحقيقى فهو كناية .

٣ - الكناية من طريق الإرداف :

وتسمى كناية الإرداف، وهى الكناية عن الشئ بذكر مرادفه ومساويه وتابعه فى الوجود.

---

(١) الأسرة: جمع سرر وسرور: الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرها .

والأزهر: الأبريق المشرق، ومفدم: مسدود الرأس بالفدام وهو هنا المصفاة .

وذكروا لها خمس صور :

١ - فعل المبادهة. أى الصادر عن البديهة وعلى الفور من غير تثبت. كما فى قوله تعالي (وقال الذين كفروا للحق لما جاهم إن هذا إلا سحر مبين) [١] فقوله «لما جاهم «كناية عن ضعف عقولهم، وسفه أحلامهم، حيث بادهو الحق بالتكذيب والرد، بمجرد مجيئه إليهم، دون أن يفكروا فيه، أو يتروووا فى الحكم عليه كما يفعل العقلاء. وبهذا أشار إلى ذمهم بذكر مايؤدى إليه ويرادفه .

ومثل هذا قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاه) [٢] فقوله «لما جاه» يشير إلى ذمهم بضعف العقل، وعدم التفكير، كما سبق .

٢ - الكناية عن الشئ بمثله. كقول من أراد أن ينفى شيئاً عن نفسه: مثلى لايفعل هذا، وكقولهم فى إثبات الشئ: مثلك إذا سئل أعطى. ومنها قول الشاعر :

ياعاذلى دعنى من عذلكا مثلى لايقبل من مثلكا

يعنى أنى لاأقبل منك. فكنى بالمثل عن نفسه وعن المخاطب، وهذا الأسلوب أسند للكلام، وأرفع لقدر صاحبه، لأنه يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم، إشارة إلى تمكنه فيماوصف به نفسه، إذا تفرد به لم ترس فيه قدمه، كما يقال لمن يمدح . أنت من القوم الكرام، أى لك فيه سابقة ولست دخيلاً فيه [٣].

---

(١) سبأ: ٤٢ .

(٢) العنكبوت: ٦٨ .

(٣) الجامع الكبير: ١٦١ .

٣ - مايقع فى جواب شرط مقدر. كقولك لمن ادعى موت زيد: أنت أخبرت بموت زيد، فهذا زيد. أى: إن كنت أخبرت بموت زيد، فقد كذبت. فقولك: «فهذا زيد» كناية عن وصفه بالكذب في دعواه، ومن هذا قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) [١] فقوله: «فهذا يوم البعث» كناية عن كذبهم في إنكار البعث، والتقدير: إن كنتم أنكرتم البعث فقد كذبتم، إن هذا يوم البعث حاضر .

٤ - صيغة الاستثناء الموهمة لحقيقة ، وليست كذلك. كقولهم: ليس لفلان ظل إلا الشمس، أى ليس له ظل، فصيغة الاستثناء مؤكدة لنفى الظل ومرادفة له .

ومن هذا قوله تعالي (ليس لهم طعام إلا من ضريع) [٢] أى لاطعام لهم أصلاً، ولهذا عقبه بحكمه وهو قوله تعالى (لايسمن ولايغنى من جوع) [٣] .

٥ - دلالة الملزوم على اللازم، كما فى قوله تعالي (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بمأرسل به مؤمنون) [٤] والجواب الأصلى: نعم نعلم أنه مرسل من ربه، فعدلوا عن ذلك إلى ملزوم ثبوت الإرسال، وهو إيمانهم برسالته .

---

(١) الروم : ٥٦ .

(٢) الغاشية : ٦ .

(٣) الغاشية : ٧ .

(٤) الأعراف: ٧٥ .

ومنه قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا)[١] أى كذبتم فى دعواكم، فعدل عن صريح التكذيب إلى مرادفه وملزومه، وهو دعوى عدم إيمانهم، رفقاً بالمخاطبين فى الخطاب واستقباحاً لذكر الكذب، وهو من جميل الأداب[٢].

ويتسع هذا النوع ليشمل الكناية عن طول القامة بطول النجاد، والكناية عن الكرم بكثرة الرماد، وهزال الفصيل، والكناية عن الخجل بحمرة الوجه، وعن الوجل بصفرته، لأن مثل هذه الكنايات يدل فيها الملزوم على اللازم - كما هو رأى الخطيب - لأن اللفظ يطلق ويراد لازمه، فالمذكور هو الملزوم والمراد هو اللازم.

أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه :

تنقسم باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام: كناية عن موصوف، وكناية عن صفة وكناية عن نسبة وإليك تفصيل هذه الأقسام:

الكناية عن الموصوف :

وفيها يكون اللفظ المكنى به دالاً على موصوف معين، كقولهم فى الكناية عن الخمر: أم المصائب، وفى الكناية عن السفينة: ابنة اليم، وعليه قول شوقى:

يابنة اليم مأبوك بخيل ماله مولعاً بمنع وحبس ؟

فكنى عن السفينة بابنة اليم، وهو البحر.

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) انظر الجامع الكبير: ١٦٣، والأكسير: ١٢٦.

ومن هذا قوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر)[١] فذات ألواح ودسر كناية عن موصوف هو السفينة، ومنه قوله تعالى (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين)[٢] فكنى عن النساء بالتنشئة فى الحلية، وعدم الإبانة فى الخصام، ومن عادة النساء أن يتزين بالحلى منذ الصغر، ومن طبعهن الضعف وعدم القدرة على خوض الخصومات .

ومن الكنايات النبوية ماروى أن «أنجشة» كان في بعض أسفاره بالإبل فطربت لحسن حدائه، فأسرعت فى سيرها وعليها النساء فقال صلى الله عليه وسلم: ويحك ياأنجشة سوقك بالقوارير «وهذه كناية لطيفة عن موصوف وهو النساء، وإنما كنى عنهن بالقوارير» لأمور ثلاثة :

١ - أنهن يحفظن الأجنة، وهن وعاء لها، والوعاء كالقارورة تحفظ مافيها .

٢ - اختصاصهن بالصفاء والحسن والنضارة والصقالة كالقارورة .

٣ - مافيهن من الرقة والمسارعة إلى التغيير والانثلام، كما يتسارع الإنكسار إلى القارورة لرقتها، وهذا الوجه هو مايومئ إليه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويدل عليه ماجاء فى رواية أخرى «رفقاً بالقوارير»[٣].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى يوم بدر: هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها يريدون أن يحادوا الله ورسوله» فكنى بقوله «أفلاذ أكبادها» عن الرؤساء والأكابر، لأن الكبد من أعز أعضاء الإنسان وأهمها[٤].

ومن هذا قول المتنبى :

---

(١) القمر: ١٣ .

(٢) الزخرف: ١٨ .

(٣) الطراز: ٤٠٧/١ .

(٤) الطراز: ٤٠٩/١. والأفلاذ: القطع .

ومن كفه منهم قنـــاة كمن فى كفه منهم خضـــاب

فـمن فى كـفـه قناة كناية عن الرجـال، لأنهم المختـصـون بحـمل الرمـاح، والسيوف وخوض المعارك، ومن كفه خضاب كناية عن النسـاء، لأنهن مختصات باستعمال الخضاب .

والكناية عن الموصوف تارة يكون اللفظ المكنى به فيها دالاً على معنى واحد عن طريق صفةمخصوصة تحدد هذا الموصوف. كما فى الأمثلة السابقة، وكما فى قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخـــذم والطاعنين مجامع الأضغـــان

فمجامع الأضعان وصف واحد كنى به عن القلوب. ومثله قول الآخر :

ودبت له في موطن الحلم علة لها كالصلال الرقش شر دبيب

فكنى بموطن الحلم عن الصدر، وهى صفة خاصة بهذا الموصوف، ودالة عليه، لأن الحليم يوصف بسعة الصدر .

ومن هذا قول البحترى فى وصف طعنة أصاب بها الذئب فقتله :

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلهـــا

بحيث يكون اللب والرعب والحقـد

فـفـيـه ثلاث كنايات عن القلب هى: اللب، والرعب، والحـقـد، لأن القلب مكانها، وكل لفظة مستقلة فى إفادة الكناية والدلالة على المراد .

وتارة تكون الكناية مجموع معان ضم بعضـهـا إلى بعض، وبهذا الضم تصبح جميعها دالة على الموصوف، كقولهم فى الكناية عن الإنسان: حى طويل القامة عريض الأظفار، فكل صفة من هذه الصفات لاتصلح بمفردها أن تكون

كناية عن الإنسان لأنها مشتركة بينه وبين شئ آخر، ولكنها مجتمعة تكون كناية عن الإنسان، لأنها لاتوجد مجتمعة فى غيره .

الكناية عن الصفة :

وهى التى يكون لفظها المكنى به دالاً على صفة. وهذا النوع كثير فى الأساليب العربية .

ومنه قوله تعالى (فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها) [١] فقوله «يقلب كفيه» كناية عن صفة الندم، ومن عادة النادم أن يضرب كفاً بكف، فأطلق لفظ الملزوم وأريد لازمه وهو الندم .

وقوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه) [٢] فالعض على اليدين كناية عن الحسرة وهى صفة، ومن المشاهد أن المتحسر بعض على يديه .

وقوله تعالي (وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر) [٣] فزوغان الأبصار كناية عن الخوف والحيرة، وبلوغ القلوب الحناجر كناية عن الضيق، والآية تصور صعوبة موقف المسلمين فى غزوة الأحزاب، ومعاناتهم الشديدة، لطول مدة المواجهة وانسحاب المنافقين من الجيش، وخيانة يهود بنى قريظة .

وقوله تعالى (ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط) [٤] وفيه كنايتان: فغل اليد إلى العنق كناية عن البخل، وبسطها كل البسط كناية عن الإسراف والتبذير، وكلاهما منهى عنه.

---

(١) الكهف: ٤٢ .

(٢) الفرقان: ٢٧ .

(٣) الأحزاب: ١٠ .

(٤) الإسراء: ٢٩ .

ومنهـا قـولهم «الآن حـمى الوطيس» وهذا كناية عن شـدة الحـرب والتحامها، أخذاً لها من حر النار، والوطيس: التنور، وقد قيل: إن أول من تكلم بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين، لما رأى جلادهم بالسيف بعد هزيمة المسلمين(١).

ومنها قول المتنبى :

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

فقوله: «وبسطهم حرير» كناية عن صفة الترف والنعمة، وهى تصور ضخامة النعيم العظيم الذى كانوا يعيشون فيه. وقوله «وبسطهم تراب» كناية عن صفة الفقر والمذلة، وهى تصور شدة بؤسهم وذلهم بعد الهزيمة .

وقول الشاعر :

ومابك فى من عيب فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل

فكنى بجبن الكلب وهزال الفصيل عن صفة الكرم والجود .

وقول عمر بن أبى ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فكنى بقوله: «بعيدة مهوى القرط» عن طول عنقها. ومثله قول الآخر:

أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

الكناية عن النسبة :

وهى مايكون المقصود بها إثبات صفة لموصوف معين أو نفيها عنه، وطريقتها: أن يترك المتكلم إثبات الصفة لموصوفها ويثبتها لشئ يتصل به، ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فيكون إثباتها لما يتصل به دليلاً على ثبوتها

---

(١) الطراز: ٤١٦/١ .

لموصوفها الحقيقى. كقولك: الكرم بين برديه، فقد أردت أن تصفه بالكرم فتركت ذلك وأثبت الكرم لبرديه، ليكون ذلك كناية عن كرمه هو، وقولك: العلم فى ردائه، نسبت العلم إلى ردائه وأنت تريد نسبته إليه، لأن العلم متى ثبت لردائه فقد ثبت له من باب أولى .

ومن الكناية عن نسبة قوله صلى الله عليه وسلم «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» فالمراد نسبة الخير إلى الخيل، ولكن نسب إلى نواصيها، لأن جبهتها هى أول مايتقدم للغزو، وأول مايشاهد منها، فإذا ثبت الخير لها فقد ثبت للخيل نفسها .

ومن هذا قول عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم :

لاينزل المجد إلا فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

ففى الشطر الأول كناية عن نسبة، حيث نسب المجد إلى المنازل والمراد نسبة المجد إليهم، لأنه إذا ثبت للمنازل فثبوته لأهلها أمر لازم .

وقد تحدث الشيخ عبد القاهر عن هذا اللون من الكناية حديثاً مفصلاً يجدر بنا أن نسوقه لك هنا لتطلع على شئ من سحر بيانه . قال: هذا فن من القول دقيق المسلك. لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون فى نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون فى إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هنالك شعراً شاعراً، وسحراً ساحراً، وبلاغة لايكمل لها إلا الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثبات الصفة للشئ تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، مالايقل قليلة ولايجهل موضع الفضيلة فيه .

وتفسير هذه الجملة وشرحها: أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعانى الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شئ يشتمل عليه ويتلبس به، ويتوصلون فى الجملة إلى ماأرادوا من الإثبات، لامن الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى، ومسلك يدق ، ومثاله قول زياد الأعجم :

إن السماحة والمروءة والندى

فى قبة ضربت على ابن الحشرج[1]

أراد كما لايخفى، أن يثبت هذه المعانى والأوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه، فترك أن يصرح فيقول: إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة فى ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به، وماشاكل ذلك مما هو صريح فى إثبات الأوصاف للمذكورين بها، وعدل إلى ماترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه، عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه، فخرج كلامه بذلك إلى ماخرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ماأنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان إلا كلاماً غفلاً وحديثاً ساذجاً .

وهذه الكناية التى تقع فى طريق إثبات الصفة تجئ على صور مختلفة كالكناية الواقعة فى نفس الصفة ...

تفسير هذا: أنك تنظر إلى قول يزيد بن الحكم يمدح به يزيد بن المهلب وهو فى حبس الحجاج:

أصبح فى قيدك السماحة والمجـ ـد وفضل الصلاح والحسب

---

(١) ابن الحشرج: هو عبد الله بن الحشرج، من ولاة الدولة الأموية؛ وكان زياد قد نزل ضيفاً عليه بسابور، فأكرمه وأحسن ضيافته .

فتراه نظيراً لبيت «زياد» السابق، وتعلم أن مكان «القيد» هاهنا هو مكان «القبة» هناك ...

ومما هو اثبات للصفة على طريق الكناية قولهم: المجد بين ثوبيه، والكرم فى برديه، وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح، بأن يجعلهما فى ثوبه الذى يلبسه، كما توصل «زياد» إلى إثبات السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج، بأن جعلها فى القبة التى هو جالس فيها .

ومن ذلك قول زهير:

هناك ربك ماأعطاك من حسن وحيثما يك أمر صالح فكن

وما جاء فى معناه فى قول الكميت :

يصير أبان قرين السما ح والمكرمات معاً حيث صاراً

وقول أبى نواس :

فما جازه جود ولاحل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في الممدوح بإثباتها فى المكان الذى يكون فيه، وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذى يحله، وهكذا إن اعتبرت قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا مابيوت بالملامة حلت

وجدته يدخل فى معنى بيت «زياد» وذلك أنه توصل إلى نفى اللوم عنها وإبعادها عنه، بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه، وكان مذهبه فى ذلك مذهب «زياد» فى التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندى فى ابن الحشرج، بأن جعلها فى القبة المضروبة عليه .

وإنما الفرق أن هذا ينفى وذاك يثبت، وذلك فرق لافى موضع الجمع، فهو لايمنع أن يكونا من نصاب واحد .

ومما هو فى حكم المناسب لبيت «زياد» وأمثاله التى ذكرت، وإن كان قد أخرج فى صورة أغرب وأبدع قول حسان رضى الله عنه :

بنى المجد بيتاً فاستقرت عماده علينا، فأعيا الناس أن يتحولا

وقول البحترى:

أوما رأيت المجد ألقى رحلـه فى آل طلحة، ثم لم يتحـول

ذاك لأن مدار الأمر على أنه جعل المجد والممدوح فى مكان، وجعله يكون حيث يكون... (١)

وجعل بعض البلاغيين قوله تعالى (ليس كمثله شئ) (٢) من قبيل الكناية عن نسبه، وتكون الكاف غير زائدة، وقد نفى فيها وجود المثل لله، بنفى وجود مثل مثله، على طريق الكناية عن نسبة، لأن نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل، ضرورة أن المثلين متساويان فى النفى والاثبات. (٣)

أقسام الكناية باعتبار حالها :

تنقسم الكناية باعتبار حالها إلى قريبة وبعيدة :

فالقريبة: ماكان الانتقال فيها من المعنى المكنى به إلى المعنى المكنى عنه بلا واسطة، كالانتقال من ضرب الكف بالكف إلى الندم فى قوله تعالي (فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها) (٤).

---

(١) دلائل الإعجاز : ٣٠٦ - ٣١١ .

(٢) الشورى: ١١ .

(٣) انظر الكشاف : ١٦٦/٤ .

(٤) الكهف: ٤٢.

والانتقال من طول النجاد إلى طول القامة فى قولهم: طويل النجاد والانتقال من بعد مهوى القرط إلى طول العنق فى قول الشاعر :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فالكناية فى كل ذلك قريبة لأن الانتقال من المعنى الأصلى إلى المعنى الكنائى يتم بلا واسطة .

والبعيدة: ماكان الانتقال فيها من المعنى المكنى به إلى المعنى المكنى عنه بواسطة، أو عدة وسائط، وكلما كثرت الوسائط ازدادت الكناية بعداً - ومن هذا قولهم: يمشى على العكاز، كناية عن كبر السن، فالانتقال من المشى على العكاز إلى كبر السن، لايتم إلا بواسطة وهى: لزوم الوهن والضعف، ومنها ينتقل إلى كبر السن. وكقولهم: كثير الرماد، فى الكناية عن الكرم، فهذا لايتم إلا بوسائط، فإن كثرة الرماد تستلزم كثرة إيقاد النار تحت القدور، وهذا يستلزم كثرة الطبخ، وهى تستلزم كثرة الأدلة، وكثرتهم تستلزم كثرة الضيوف، وهذا دليل الكرم .

ومنها قول الشاعر :

ومايك فى من عيب فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل

كنى بجبن الكلب عن الكرم. وهى كناية بعيدة لكثرة الوسائط، لأن جبن الكلب عن النباح دليل على استمرار تأديبه، واستمرار تأديبه دليل على أنه يشاهد على الدوام وجوها غريبة قادمة إلى دار صاحبه وذلك يدل على أن صاحبه مقصود من الناس لقضاء حوائجهم، وهذا يدل على شهرته بالكرم والجود.

وكنى بهزال الفصيل عن الكرم كناية بعيدة لكثرة وسائطها فهزال الفصيل يدل على فقد أمه مع حاجته إليها، وفقد أمه فى مقام المدح دليل على شدة الدفع إلى نحرها ،واعدادها للضيوف وهذا دليل الكرم.(١)

أقسام الكناية باعتبار حكمها :

تنقسم الكناية باعتبار حكمها إلى حسنة وقبيحة .

فالحسنة: ماأدت المراد منها دون أن تشتمل على عيب يشينها، والكنايات التى سبقت من هذا القبيل .

والقبيحة: مالم تؤد الفائدة المرادة، فبنيت على مايشعر بالشين والفجور، وظهر منها مايراد إخفاؤه، أو دلت على غير المقصود، أو كانت غامضة لاتفهم فمن التى كشفت مايراد ستره وإخفاؤه قول المتنبى :

إنى على شغف بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

فكنى بما فى سراويل المرأة عن مواضع الاستمتاع فيها، والكناية قبيحة لأنها مكشوفة والتصريح خير منها، ومن ثم قال الصاحب بن عباد فى نقده لهذه الكناية: كثير من العهر أحسن عندى من هذا العفاف، وقد كان الشريف الرضى موفقاً حين قال :

أحن إلى مايتضمن الخمر والحلى وأصدف عما فى ضمان المآزر

فهى تشبه كناية المتنبى، ولكنها أدت المعنى فى لطف وخفاء، ولاحرج فى ذكرها .

---

(١) السابق .

ومن الكنايات القبيحة قول الشريف الرضى يرثى امرأة :

أن لايكن نصلاً فغمد نصال غالته أحداث الزمان بغول

فالكناية فى قوله «غمد نصال» وقد جعلها كناية عن المرأة لأنها ولدت رجالاً أشداء كالسيوف وكانت هى غمدهم ومثواهم .

وهى كناية قبيحة لأنها لاتعطى الفائدة المقصودة من الكناية، وتوهم وصف المرأة بما يستقبح من التهمة والريبة. ولو قال مصرحاً إن لم تكن نصلاً فقد ولدت نصالاً لكان التصريح أحسن من الكناية وأصل هذه الكناية عند الفرزدق وقد أتى بها على نمط بديع حتى صارت من أحسن الكنايات، وذلك فى قوله يرثى امرأته :

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث إليه البواكيا
وفى جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أمهلته لياليا

فقوله: «وجفن سلاح» كناية عن امرأته وأولاده، فهى «جفن»وأولاده الذين ولدتهم وكانت جفناً لهم«سلاح» وهذه كناية حسنة بديعة، وزاد من حسنها أنه كنى عن صغر سنها حين ماتت بقوله «وفى جوفه من دارم ذو حفيظة» فهى لاتزال فى جوفها المعبر عنه «بالجفن» رجال أو لو حفيظة وحمية، ولو أن المنايا أمهلت ذلك «الجفن» لياليا فعاشت، لو لدت لنا رجالاً أبطالاً[1].

ومن التى أغمضت وعميت، حتى صارت شديدة الخفاء مارواه أبوهلال العسكرى فى الصناعتين قال: قال أبو الحسن بن طباطبا الأصبهانى يصف غلاماً :

---

(١) انظرالمثل السائر : ٣/٧١. ونظرات فى البيان : ٢٦٦ .

منعم الجسم يحكى الماء رقته وقلبــه قسوة يحكى أبا أوس

فـقـوله «أبا أوس» كناية عن الحـجـر، لأنه أراد : والد أوس بن حـجـر، والشاعر يقصد أن قلب هذا الغلام فى قسوة الحجر، فأبعد التناول، حيث كنى بكناية شديدة الخفاء، لايقف عليها إلا من كد عقله، وأرهق فكره .

ولذلك كتب إليه أبومسلم :

أبا حسن حاولت إيراد قافيـة مصلبة المعنى فجاءتك واهيـــة
وقلت أبا أوس تريد كنايــة عن الحجر القاسى فأوردت داهية
فإن جاز هذا فاكسرن غير صاغر فمـى بأبى القرم الهمام معاويـة
وإلا أقمنا بيننا لك جـــده فتصبـــح ممنوناً بصفـــين ثانية

فـأغـرق فى إخـفـاء الكناية مـجـاراة لأبى الحسن وقـد أراد فـاكـسـرن فـمى بصـخـر، وإلا أقـمنا بيننا لك حرباً[1]. وأبو مـعـاوية هو : صـخـر المكنى بأبى سـفـيـان، وجده: حـرب، وفى الكنايتين غـمـوض شـديد، يدخل في باب الإلغـاز والتعمية .

وعلى الرغم من قـيـام الكناية علي ستـر المعـانى وإخـفـائهـا، إلا أن ذلك ينبـغى أن يكون بلا شطط حـتى تفـهم الكناية بعـد قـدر مـعـقـول من التـأمل والتدقيق، أما إغماض الكنايات وتحويلها إلى ألغاز لايستطاع فهمها فهذا مما يعيبها، ويمحو فائدتها، وينأى بها عن نطاق البلاغة .

تنوع الكناية عند السكاكى:

أطلق السكاكى على الكناية أسـمـاء مـختلفة بالنظر إلى قلة الوسائط وكثرتها ومايترتب عليها من الوضوح والخفاء، وهى: التعريض ، والتلويح ، والرمز، والإيماء والإشارة[2].

---

(١) الصناعتين: ٣٧٠ .

(٢) راجع هذا الموضوع فى مفتاح العلوم : ٤١١ .

ويقصد بالتعريض هنا «الكناية العرضية» والكناية العرضية: هى ماكان الموصوف فيها غير مذكور. والأصل فى ذلك أن الكناية عن الصفة والكناية عن النسبة، قد يكون الموصوف فيها مذكوراً كماتقول: فلان يصلى ويزكى كناية عن أنه مؤمن، والمجد بين يدى محمد، كناية عن أنه ماجد، والأمثلة التى ذكرناها فى القسمين من هذا النوع .

وقد يكون الموصوف فيهما غير مذكور. كما تقول فى عرض من يؤذى المسلمين أى فى مواجهته وناحيته : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وتقصد بذلك نفى الإسلام عمن يؤذى المسلمين .

فهذه الكناية لم يذكر فيها الموصوف لالفظاً ولاتقديراً وتسمى عندهم كناية عرضية، لأنها قيلت فى عرض المؤذى وفى جانب منه .

ومثلها أن تقول: أنا لاأبخل، كناية عن بخل أى إنسان، وتعريض ببخيل معين. فالكناية هنا عرضية، حيث لم يذكر فيها الموصوف، وكانت مشوبة بالتعريض بواحد معين، قيلت فى ناحيته وجانبه .

التلويح: هو الكناية التى كثرت فيها الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه، كقولهم فى الكناية عن الكرم: كثير الرماد، ومهزول الفصيل، وقد سبق بيان كثرة الوسائط فى هاتين الكنايتين عند حديثنا عن الكناية البعيدة .

وتسمى الكناية من هذا النوع تلويحاً لما فيها من بعد، لأن التلويح فى الأصل الإشارة إلى المطلوب عن بعد .

ومن هذا قول حسان :

يغشون حتى ماتهر كلابهم ... لايسألون عن السواد المقبل

فإن ترك الهرير يدل على جبن الكلب، وجبنه يدل على مشاهدته وجوهاً كثيرة، وهذا يدل على كثرة تردد الضيفان، وهو يدل على كرمهم .

وأما قوله «يسألون...» فهو إما تكميل فيكون كناية عن شجاعتهم وشدة جأشهم، أو تتميم فيكون عبارة عن إرادة مزيد سخاوتهم[١].

والرمز : هو الكناية التى تقل وسائطها مع وجود نوع من الخفاء فيها. وسميت رمزاً لأن الرمز أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، ومن هذا قولهم: عريض القفا، وعريض الوساد، فى الكناية عن عدم الفهم والبله، وفى الكنايتين نوع من الخفاء ولايدركان إلا بعد تفكير .

والإيماء والإشارة: الكناية التى قلت وسائطها مع الوضوح والظهور كقولهم: بعيدة مهوى القرط، فى الكناية عن طول العنق، وقولهم: طويل النجاد، فى الكناية عن طول القامة .

ومن هذا قول أبى تمام :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فقد أفاد أن أبا سعيد كريم، وهذا واضح وظاهر من الكلام .

ومنه قول البحترى:

أو مارأيت المجد ألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول

وهو كناية عن كون آل طلحة أماجد، عن طريق نسبة المجد إلى رحالهم، وهى كناية ظاهرة، وتسمى إيماء أو إشارة .

ومثلاً فى الظهور قول الشاعر:

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة ابن عمرو من تميم

فكنى بعدم خلو بنى تميم من كريم إذا كان فيهم مسلمة، عن ثبوت الكرم لمسلمة، والكناية واضحة بينة، وأظهر من هذا فى إثبات الجود والمجد،

---

(١) التبيان: ٢٦٥ .

قول الشاعر فى بعض البرامكة :

سألت الندى والجود: مالى أراكمـــا
تبدلتمـــــا ذلاً بعـز مؤيـــد
ومابال ركن المجد أمسى مهدمـــا؟
فقالا: أصبنا يابن يحيى محمـــد
فقلت : فهلا متما عند موتـــــه
فقد كنتما عبديه فى كل مشهد ؟
فقالا: أقمنا كـى نعـــزى بفقـــده
مسافة يوم، ثم نتلوه فى غد[١]

ويمكنك مـلاحظة التلويح، والرمـز، والإيماء، فى حـديث أم زرع فى قـول المرأة التاسعة: زوجى رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد[٢].

فقولها: «طويل النجاد» كناية عن طول قامته وهى كناية ظاهرة لاوسائط فيها، لأن طول نجاد السيف دليل على طول القامة وهذه الكناية تسمى: إيماء أو إشارة .

وقولها: «رفيع العماد» كناية عن شرفه وشهرته، وهى كناية فيها بعض الوسائط مع نوع خفاء، فأصل العماد: الأعمدة التى يقام عليها البيت وارتفاعها بجعل البيت مشهوراً واضحاً، وهذا يدل على شهرة صاحبه وعلو منزلته بين القوم. فهذه الكناية تسمى: رمزاً .

---

(١) أسرار البلاغة: ٣١٤ ، ومفتاح العلوم : ٤١٢ .

(٢) الناد: أصلها : النادى، حذفت الياء للسجع، والحديث فى صحيح مسلم: ٣٠٣/٥ .

وقولها: «عظيم الرماد» كناية عن كرمه وهى كناية كثيرة الوسائط كما علمت أنفاً فتسمى تلويحاً. ومثلها قولها: «قريب البيت من الناد» وهى كناية عن شهرته وكرمه وسيادته، لأن قرب بيته من النادى الذى يجتمع فيه القوم بجعله معروفاً بين الناس، ومقصوداً فى الحوائج والمهمات وملبياً حاجات أهل النادى ومطالب الجالسين فيه .

وهذا يدل على أنه مشهور، وسيد كريم فى قومه، ولذلك عرف كرام العرب بقرب منازلهم من النادى، واعتاد اللئام التباعد عن النادى، ومجالس القوم .

بلاغة الكناية :

الكناية فن بديع من فنون البيان، لها أثرها القوى فى إثبات المعانى وتأكيدها، وهى تعطى الأديب مجالاً واسعاً للتعبير عن معانيه، وانتقاء الألفاظ الملائمة لها، بعيداً عن العيب والشين والتعرض لما يسئ. وقد تحدث الشيخ عبد القاهر عن بلاغة الكناية وسنذكر فى بداية حديثنا عن بلاغة الكناية ما ذكره الشيخ عبد القاهر ثم بعد ذلك نعود إلى البسط والتحليل .

قال الشيخ: قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة، إلا أن ذلك وإن كان معلوماً على الجملة، فإنه لاتطمئن نفس العاقل فى كل مايطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه، وحتى لايبقى عليه موضع شبهة ومكان مسألة... - وينبغى- أن تعلم أن المزية التى تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التى تدعى لها - ليست - فى أنفس المعانى التى يقصد المتكلم إليها بخبره، ولكنها فى طريق إثباته لها وتقريره إياها... فليس المعنى إذا قلنا: أن الكناية

أبلغ من التصريح «أنك لما كنيت عن المعنى زدت فى ذاته، بل المعنى أنك زدت فى إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشد، فليست المزية فى قولهم: جم الرماد، أنه دل على قرى أكثر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشد وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق...

- أما السبب فى أن للإثبات بالكناية - مزية لاتكون للتصريح: أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد فى وجودها، آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنك لاتدعى شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لايشك فيه ولايظن بالمخبر التجوز والغلط.[1]

وخلاصة كلام الشيخ أن الكناية أبلغ من الإفصاح لأنها تثبت الشئ بدليله، وتقيم البرهان على وجوده. فإذا قلت: فلان طويل القامة كان كلاماً مجرداً غفلاً من الدليل. أما إذا قلت عن طريق الكناية :

فلان طويل النجاد، فقد أثبت له طول القامة بالدليل وهو طول حمائل السيف، لأن حمائل السيف لاتطول إلا إذا كان صاحبها طويلاً، فيدل طولها على طول صاحبها. وبهذا يتأكد المعنى ويثبت بقوة .

ونعود إلى تفصيل بلاغة الكناية وأسبابها فنقول :

ترجع بلاغة الكناية إلى مايلى :

١ - أنها تثبت الشئ بالدليل والبرهان. كما فصل الشيخ عبد القاهر .

٢ - أنها تبرز المعنى مصوراً، وتظهر المعقول فى صورة محسوسة .

مما يوضحه تمام الوضوح ويقرره فى النفس. فإذا قلت: ندم فلان على مافعل ، ترى أن هذا كلاماً مجرداً ساذجاً، فإذا جئت به فى أسلوب

---

(١) دلائل الإعجاز: ٧٠، ٧٢ وانظره : ٤٣١ .

الكناية فقلت: عض الظالم على يديه،وقلب المهمل كفيه، فقد أثبت صفة الندم والحسرة للموصوف من خلال تصوير بديع، أراك المعنى مشاهداً محسوساً لاتجد معه مجالاً للشك والارتياب .

٣ - حاجتها إلى التفكير والتدبر، نظراً لأن المعنى الكنائى يكون مختفياً وراء المعنى الأصلى، فيحتاج فى إدراكه إلى تأمل ومعاودة نظر وهذا أدعى إلى تقويته فى النفس، وتثبيته فيها، إذ توصلت إليه بعد معاناة فكر وكد وتعب .

٤ - المبالغة فى المعنى وتفخيمه، وذلك من خلال ستره وعدم التصريح به، وترى ذلك فى قوله تعالى (القارعة ماالقارعة) [١].

وقوله تعالى (الحاقة ماالحاقة) [٢] فكنى عن القيامة بالقارعة والحاقة تهويلاً لأمرها، وتفخيماً لشأنها، وبيانا لما تحدثه من قرع القلوب، وإحقاق الأمور .

٥ - يمكن من خلال الكناية التعبير عن الأمور الخاصة التى يراد سترها وعدم الإفصاح عنها، كما يمكن التعبير عن المعانى القبيحة بعبارات مقبولة خالية من الفحش والإساءة. وفى القرآن الكريم كنايات جميلة عن الجماع وقضاء الحاجة ونحو ذلك من الأمور التى يستحيا من ذكرها وقد كستها الكناية رداء الحسن ونفت الحرج في ذكرها .

٦ - يمكن من خلال الكناية نقد السياسات، والحديث عن أخطاء العظماء والقادة والأصدقاء ونحو ذلك، دون الوقوع فى الحرج، أو التعرض للمشاكل التى تنشأ من التصريح بهذه الأمور. والمتتبع للتراث العربى يجد كثيراً من ذلك .

---

(١) القارعة: ١، ٢ .

(٢) الحاقة: ١، ٢ .

وفى الكناية أسرار جليلة تشير إلى بلاغتها وجمال موقعها تظهر لمن يتتبع الكنايات فى البيان العربى شعره ونثره .

ويجب أن تعلم أن الحكم بأبلغية الكناية وتفضيلها على التصريح ينبغى أن يرتبط بالمقامات، فإذا كان المقام يستدعى التعبير الكنائى فهو في هذا المقام أبلغ من التصريح، أما إذا كان المقام يستدعى التصريح بالشئ، كما فى إيضاح المسائل العلمية، أو مخاطبة البسطاء، فإن التصريح حينئذ يكون أبلغ من الكناية، وإذا استعملت الكناية في مثل هذا تكون معيبة، وقد علمت في مطلع دراستك للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

التعريـــض

التعريض لغة خلاف التصريح. يقال: عرضت لفلان أو بفلان: إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه .

وللبلاغيين فى تعريف التعريض أقوال كثيرة :

فعرفه الزمخشرى بقوله: أن تذكر شيئاً تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم.... وكأنه إمالة الكلام إلى عرض ليدل على الغرض[١].

وعرفه ابن الأثير بقوله: هو اللفظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لابالوضع الحقيقى ولاالمجازى، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنى لمحتاج، وليس في يدى شئ، وأنا عريان والبرد قد آذانى، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً فى مقابلة الطلب لاحقيقة ولامجازاً، إنما دل عليه من طريق المفهوم.[٢]

ومن هذا يمكن ضبط التعريض بأنه: المعنى المدلول عليه بالقرينة والسياق دون اللفظ.[٣] فإذا قلت فى بعض المجالس : أنا لاأكذب، تقصد التعريض بواحد بنسبة الكذب إليه، فهذا المعنى المقصود هو التعريض، وأنت ترى أنه لايستفاد من اللفظ، ولكن من الحال والمراد وقصد المتكلم، وبهذا يظهر لك أن دلالة التعريض دلالة سياقية غير لفظية، ومن هنا لايمكن وصفها بأنها حقيقة، أو مجاز، أو كناية، لأن مايوصف بذلك هو الدلالات اللفظية.[٤]

---

(١) الكشاف: ١/٢١٥ .

(٢) المثل السائر: ٣/٥٦ .

(٣) نظرات فى البيان: ٢٧٠ .

(٤) انظر التعريض فى القرآن الكريم: ٤٠، ٤١ .

الفرق بين الكناية والتعريض :

فرق البلاغيون بين الكناية والتعريض بأمور :

١ - دلالة الكناية أوضح من دلالة التعريض، لأن دلالة الكناية من جهة اللفظ، ودلالة: التعريض من جهة المفهوم[١]. فقولهم: فلان طويل النجاد، يدل على طول القامة، أما قولك في مواجهة بخيل أنا لاأبخل، فهذا لايدل على أنه بخيل إلا بقصدك وبدلالة الحال، أما اللفظ نفسه فلا يدل على بخله .

٢ - الكناية تكون فى اللفظ المفرد، كما تكون فى اللفظ المركب، كما سبق أن بينا لك فى أقسامها. أما التعريض فإنه لايكون إلا في المركب ولايتأتى فى لفظ مفرد[٢]، لأنه لايفهم معناه إلا من خلال السياق والإشارة إليه، وهذا لايستقل به اللفظ المفرد، بل يحتاج إلى تركيب يشير إلى المعنى ويلوح به .

٣ - يتأتى التعريض مع الكناية، ومع الحقيقة، ومع المجاز ولاتعارض بينه وبينها، لأنه يفهم من السياقات والأحوال، فمثال اجتماع الكناية مع التعريض قولك: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فهذا القول يكون كناية عند قصد نفى الإسلام عن المؤذى مطلقاً ويكون تعريضاً عندما تقوله في مواجهة رجل معين يؤذى المسلمين وتقصد التعريض به بنفى الإسلام عنه.

ويأتى التعريض مع الحقيقة كما تقول لشخص أنت فى حاجة إليه: جئتك لأسلم عليك، فإن المجئ للسلام مستعمل فى معناه الحقيقى، لكنك تقصد منه التعريض بأنك محتاج إليه .

---

(١) انظر المثل السائر: ٣/٥٧ .

(٢) السابق نفسه .

ويوجد التعريض مع المعنى المجازى، كقولك: آذيتنى فستعرف، وذلك إذا كنت تريد تهديد إنسان مع المخاطب وليس المخاطب، فحينئذ يكون فى الكلام تعريض مبنى على المجاز، لأنك تخاطب إنساناً ، وتريد إنساناً آخر، وهذا مجاز مرسل علاقته اللزوم .

من أمثلة التعريض :

التعريض فى خطبة النساء المعتدات، وقد رفع الله الجناح فيه فقال تعالي: (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء»[١] من ذلك أن يقول الرجل: «إنك لمرغوب فيك» وإنى لمحتاج إلى من آنس به» فهذا تعريض بالرغبة فى الزواج من المرأة ولكنه لايدل على النكاح بحقيقته ولامجازه، ولامن جهة ظاهرة، ولامن جهة مفهومه، وإنما هو حاصل من جهة القرينة والحال .

ومنه تعريض إبراهيم عليه السلام بعابدى الأصنام حين قال لهم كما حكى القرآن الكريم: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)[٢] فهذا تعريض بضعف عقول المخاطبين وجهلهم الفاضح لعبادتهم مالاقدرة له على النطق. وهذا المعنى التعريضى مستفاد من السياق والقرائن ولاتدل عليه الألفاظ.

ومنه تعريض الكافرين بنبى الله نوح عليه السلام، كما جاء فى قوله تعالى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)[٣] ففى هذا تعريض بأنهم أحق بالنبوة وأن الله لو أراد جعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم، لأنه لايختص بمزية عليهم .

---

(١) البقرة: ٢٣٥.

(٢) الأنبياء: ١٦٣ .

(٣) هود: ٢٧ .

ومنه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً)[١] ففيه تعريض بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك لما سمعها أبو بكر رضى الله عنه بكى وقال: ماتم أمرالله إلا بدأ فى النقص، ولاأرى نقصاً لهذه الأمة إلا بوفاة نبيها صلى الله عليه وسلم[٢].

ومنه ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه كان يوم الجمعة فدخل عثمان بن عفان، فقال له عمر: أى ساعة هذه؟ فقال له عثمان: ياأمير المؤمنين: انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت ، فقال عمر: والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل. فقوله: أى ساعة هذه؟ تعريض بالإنكار عليه لتأخره عن المجئ إلى الصلاة وترك السبق إليها. وقوله: والوضوء أيضاً تعريض آخر بالإنكار عليه اقتصاره على الوضوء وترك الغسل، والتعريض فى الموضعين من حسن الأدب والإنصاف فى أحسن موقع.[٣]

ومن لطيف التعريض قول الإمام على كرم الله وجه يعرض بأصحابه، لتأخرهم فى الجهاد ونكوصهم عن قتال عدوهم: إن الموت طالب حثيث، لايفوته المقيم، ولايعجزه الهارب، وإن أكرم الموت القتل والذى نفس ابن أبى طالب بيده، لضربة ألف سيف أهون على من ميتة على الفراش .

٧ - ومن التعريض اللطيف ماروى عن امرأة أنها وقفت على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلة الفأر فى بيتى، فقال: ماأحسن ماورت عن حاجتها، املؤا لها بيتها خبزاً وسمناً ولحماً، ومثل هذا ماحكى من أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت له: ياأمير المؤمنين: مشت جرذان بيتى على العصى، فقال لها: ألطفت فى السؤال، لاجرم

---

(١) المائدة: ٣ .

(٢) انظر تفسير أبى السعود : ٣/٧ .

(٣) انظر المثل السائر ٣/٧٣ والطراز : ١/٣٩١ .

لأردنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حباً ومنه قول الشميدر الحارثى :

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فليس قصده هنا الشعر، بل قصده ماجرى لهم فى هذا الموضع من الظهور عليهم والغلبة، إلا أنه لم يذكر ذلك، بل ذكر الشعر وجعله تعريضاً لما قصده، أى لاتفتخروا بعد تلك الوقعة التى جرت لكم ولنا بهذا المكان[١].

ومن التعريض قول حجل بن نضلة :

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بنى عمك فيهم رماح

فعرض بابن عمه «شقيق» الذى جاء عارضاً رمحه مدلاً بشجاعته ، وكأنه يقول له: مهلاً فلست وحدك الذى يستعرض الرمح: ولكن أبناء عمومتك معهم رماحهم التى يستعرضونها .

ولاتتوقف الدلالة التعريضية على قدر معين من الكلام، فقد يفهم التعريض من جملة واحدة، أو من بيت شعر، وقد يفهم من كلام طويل أو مجموعة أبيات، والمدار علي السياق والحال الذى يشعر بالمعنى التعريضى .

ومن بديع التعريض فى الشعر قول قريط بن أنيف العنبرى يمدح بنى مازن، ويعرض بقومه الذين لم ينصروه[٢].

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة[٣] لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

---

(١) المثل السائر: ٥٧/٣ .

(٢) شرح ديوان الحماسة : ٥/١ - ١١.

(٣) اللوثة: الضعف والاسترخاء .

لايسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ماقال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شئ وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنساناً
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

والأبيات يكتنفها التعريض من كل جانب، وإدراك ذلك سهل على قارئها، وهو تعريض طويل بقومه الذين خذلوه وتركوه نهباً لبني شيبان، فسلبوا إبله وأوقعوا به، ولم ينقذه من طغيانهم سوى بني مازن .

ومن التعريض الجميل ماقاله نصر بن سيار في شحذ عزائم بني أمية بإدراك الثأر، والانتقام ممن أرادهم[1].

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالزندين توري ... وإن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام
فإن هبوا فذاك بقاء ملك ... وإن رقدوا فإني لاألام

إنه تعريض شديد ببني أمية، يدفعهم إلى الاستعداد لخوض المعارك الدامية ضد أعدائهم، وإلا فإن ملكهم سيضيع، نتيجة التخاذل والتهاون .

إنما والتعويض :

ومن الأساليب المشهورة في إفادة التعريض أسلوب القصر بإنما، وذلك إذا كان مابعدها من الأمور المعلومة التي لاتجهل ولايشك فيها، فلا يراد به حينئذ

---

(١) الطراز: ١/٣٩٤ .

نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، كما فى قوله تعالى: (إنما يتذكر أولوا الألباب) [١] فليس الغرض من هذا أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار وأن يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل ، وإنكم إن طمعتم منهم أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب.

وكذلك قوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) [٢] وقوله عز اسمه (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) [٣] المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية، فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالإنذار معه كلا إنذار .

ومثال ذلك من الشعر قول العباس ابن الأحنف :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد مارزقا

فالغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه، ويعلم أنه ينبغى له أن يقطع الطمع من وصلها، ويبأس من أن يكون منها أسعاف. [٤].

وبهذا نصل إلى نهاية ماقصدناه من حديث عن الصور البيانية سائلين الله عز وجل أن يمكننا من الرجوع إلى ماكتبناه مرة ثانية، لتدارك مافيه من نقص إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) الرعد: ١٩ .

(٢) النازعات: ٤٥ .

(٣) فاطر: ١٨ .

(٤) دلائل الإعجاز: ٣٥٤ ومابعدها .

أهم المراجـــع

١ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجانى - ت محمود شاكر .

٢ - الأطول على التلخيص - عصام الدين - تركيا .

٣ - الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان - الشيخ أحمد الحجار .

٤ - الأكسير فى علم التفسير - الطوفى - ت د. عبد القادر حسين .

٥ - الإيضاح فى علوم البلاغة القزوينى - ت خفاجى .

٦ - البحر المحيط - أبو حيان - دار الفكر .

٧ - البرهان فى علوم القرآن - الزركشى - ت محمد أبو الفضل .

٨ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب - ت د. حنفي شرف .

٩ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى - د. محمد أبو موسى - دار الفكر .

١٠ - البيان فى ضوء أساليب القرآن - د. عبد الفتاح لاشين - دار المعارف.

١١ - البيان والتبيين . الجاحظ ت هارون - ط الخانجى .

١٢ - التبيان فى علم البيان - ابن الزملكانى . ت د. أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثى .

١٣ - التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان - الطيبى - ت د. هادى عطية.

١٤ - التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - الدار التونسية .

١٥ - الترغيب والترهيب - المنذرى .

١٦ - التصوير البيانى. د. محمد أبو موسى - مكتبة وهبة .

١٧ - التعريض فى القرآن الكريم. د. ابراهيم الخولي .

١٨ - الجامع الصغير - السيوطى .

١٩ - حاشية الدسوقى . (ضمن الشروح) - محمد الدسوقى .

٢٠ - حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى - بيروت .

٢١ - حاشية عبد الحكيم على المطول - استامبول .

٢٢ - الحيوان - الجاحظ - ت - هارون .

٢٣ - دراسات في علم النفس الأدبى . حامد عبد القادر .

٢٤ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجانى - ت محمود شاكر .

٢٥ - ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ط دار المعارف .

٢٦ - رياض الصالحين - النووى - ط - بيروت .

٢٧ - سر الفصاحة - الخفاجى - ت الصعيدى .

٢٨ - شرح ديوان المتنبى - البرقوقى .

٢٩ - شرح قصيدة بانت سعاد - ابن هشام .

٣٠ - الصحاح - الجوهرى - ت عطار .

٣١ - صحيح البخارى بحاشية السندى .

٣٢ - صحيح مسلم بشرح النووى.

٣٣ - الصناعتين - العسكرى - ت أبو الفضل .

٣٤ - الصور البيانية بين النظرية والتطبيق - د. حفنى شرف .

٣٥ - الطراز - العلوى. بيروت .

٣٦ - عروس الأفراح (ضمن الشروح) السبكى .

٣٧ - علوم البلاغة - أحمد المراغى .

٣٨ - العمدة - ابن رشيق - ت.محمد محيى الدين .

٣٩ - عيار الشعر - ابن طباطبا.ت . د. المانع .

٤٠ - فن التشبيه - على الجندى.

٤١ - الكامل - المبرد - بيروت .

٤٢ - الكشاف - الزمخشرى - ط مصطفى الحلبى .

٤٣ - لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف .

٤٤ - المثل السائر - ابن الأثير - ت د. الحوفى ود. طبانة .

٤٥ - المجازات النبوية - الشريف الرضى .

٤٦ - مختصر المعانى ضمن الشروح) - التفتازانى.

٤٧ - مراجعات فى الأدب والفنون- العقاد.

٤٨ - المصباح - بدر الدين بن مالك . ت د. حسنى عبد الجليل .

٤٩ - المصباح - بدر الدين بن مالك . ت د. حسنى عبد الجليل .

٥٠ - المطول - التفتازانى - ط.أحمد كامل .

٥١ - معاهد التنصيص - العباسى - ت.محيى الدين .

٥٢ - معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية .

٥٣ - مع النظم القرآنى فى سورة النور - د/ الشحات أبو ستيت .- دار المعارف .

٥٤ - مفتاح العلوم - السكاكى - ت.نعيم زرزور .

٥٥ - الموازنة بين أبى تمام والبحترى.ت.صقر .

٥٦ - مواهب الفتاح (ضمن الشروح) ابن يعقوب .

٥٧ - المنهاج الواضح فى البلاغة - حامد عونى .

٥٨ - نظرات فى البيان - د/ محمد نجم الدين الكردى .

٥٩ - النكت فى إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) الرمانى .

٦٠ - نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز - الرازى - ت.بكرى أمين .

٦١ - الوساطة بين المتنبى وخصومه - القاضى الجرجانى - ت. أبو الفضل .

٦٢ - يتيمة الدهر - الثعالبى - ت.محيى الدين .

موضوعات الكتاب

تقديم : ٣ - ٤

حول مصطلح البيان : ٥ - ٨ .

علم البيان فى اصطلاح المتأخرين : ٨ - ١٤.

الباب الأول : التشبيه ١٥ - ١٤٤

التشبيه : ١٧ - مبحث الطرفين : ١٩ . أولاً: التشبيه باعتبار حسية الطرفين وعقليتهما: ٢٠ ثانياً: التشبيه باعتبار إفراد الطرفين وتركيبهما: ٢٩. ثالثاً: التشبيه باعتبار وحدة الطرفين وتعددهما: ٤١ .

مبحث وجه الشبه : ٤٧ . أولاً: وجه الشبه باعتبار وجوده فى الطرفين: ٥٠. انتزاع وجه الشبه من التضاد : ٥٢. ثانياً: وجه الشبه باعتبار الإفراد والتركيب: ٥٣. ثالثاً: وجه الشبه باعتبار الذكر والحذف ٥٨. رابعاً: وجه الشبه باعتبار القرب والبعد: ٦٣. بين الدقة والغموض: ٦٧. التفصيل وأنواعه : ٦٧. مراعاة الحركة والسكون في التفصيل: ٧٥. التصرف فى التشبيه القريب: ٨٢. التشبيه المشروط: ٨٣- تشبيه التفضيل: ٨٤. تشبيه التشكيك: ٨٥. التشبيه المقلوب: ٨٦. التشبيه الضمنى: ٩٠. التشبيه البليغ: ٩١ موقف البلاغيين من التشبيه البليغ: ٩٣ .

مبحث أداة التشبيه : ١٠٠. أقسام التشبيه باعتبار الأداة: ١٠٥ صور التشبيه المؤكد : ١٠٦ .

تشبيه التمثيل: ١٠٩ . أثر التمثيل فى إظهار المعانى وتأكيدها: ١١٥ أسباب تأثير التمثيل فى النفس : ١٢٤ .

أغراض التشبيه: ١٣٠. أولاً: الأغراض التى تعود على المشبه: ١٣٠ .

ثانياً: الأغراض التى تعود على المشبه به: ١٤٠. أقسام التشبيه باعتبار الغرض: ١٤١ .

الباب الثانى: الحقيقة والمجاز: ١٤٥

الحقيقة والمجاز: ١٤٧. الحقيقة اللغوية : ١٤٧. المجاز اللغوى: ١٤٩. المجاز اللغوى المفرد: ١٥١. أقسام المجاز باعتبار العلاقة: ١٥٢. الاستعارة : ١٥٤. الاستعارة مجاز لغوى لاعقلى: ١٥٦. القرينة المانعة لاتنافى الادعاء: ١٦٠. الاستعارة تفارق الكذب: ١٦٢. قرينة الاستعارة: أقسام الاستعارة: ١٦٤ . أقسام الاستعارة باعتبار تحقق المعنى وعدم تحققه: ١٦٥. أقسام الاستعارة باعتبار ذكر أحد طرفيها: ١٦٦. آراء البلاغيين فى الاستعارة المكنية: ١٦٧. أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار : ١٧٢. أقسام الاستعارة باعتبار الملائم : ١٧٦. سر المبالغة فى الترشيح: ١٨٠ أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين : ١٨٣. التهكمية والتمليحية: ١٨٤ أقسام الاستعارة باعتبار الجامع: ١٨٥ التصرف فى العامية بما يجعلها خاصية: ١٨٩. أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع: ١٩١ الاستعارة التمثيلية: ١٩٥ بلاغة الاستعارة: ١٩٨ الاستعارة الحسنة والاستعارة المعيبة: ٢٠٣ الاستعارة غير المفيدة: ٢١١. المجاز المرسل: ٢١٥ السببية: ٢١٥ المسببية: ٢١٩ الجزئية: ٢٢١ الكلية : ٢٢٣ المحلية: ٢٢٤ الحالية: ٢٢٥ اعتبار ماكان: ٢٢٦ اعتبار مايكون : ٢٢٧ الآلية: ٢٢٨ المجاورة: ٢٢٨ بلاغة المجاز المرسل: ٢٢٩ المجاز المرسل المركب: ٢٣٠ المجاز بالحذف وبالزيادة : ٢٣٣ .

الباب الثالث: الكناية والتعريض : ٢٣٥

الكناية: ٢٣٧ نبذة عن تطور بحثها: ٢٣٧ تعريف الكناية: ٢٤٠ علاقة الكناية: ٢٤١ قرينة الكناية: ٢٤٢ الفرق بين الكناية والمجاز : ٢٤٣ أركان الكناية : ٢٤٤ أقسام الكناية : ٢٤٤ أقسام الكناية باعتبار ذاتها : ٢٤٥ أقسام الكناية باعتبار طريقها: ٢٤٥ أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه :

٢٥٢ الكناية عن الموصوف ٢٥٢ الكناية عن الصفة : ٢٥٥ الكناية عن النسبة: ٢٥٦. الكناية عن الموصوف ٢٥٢ الكناية عن الصفة ٢٥٥ الكناية عن النسبة : ٢٥٦ أقسام الكناية باعتبار حالها : ٢٦٠ أقسام الكناية باعتبار حكمها: ٢٦٢. تنوع الكناية عند السكاكى: ٢٦٤ بلاغة الكناية : ٢٦٨ .
التعريض: ٢٧٢ الفرق بينه وبين الكناية: ٢٧٣ من أمثلة التعريض: ٢٧٤ إنما والتعريض: ٢٧٧ .
أهم المراجع: ٢٧٩ .
موضوعات الكتاب : ٢٨٢ .

كتب للمؤلف

١ - مع النظم القرآنى فى سورة النور . توزيع دار المعارف .

٢ - البحث البلاغى فى ظلال القرآن الكريم.توزيع دار المعارف .

٣ - المعركة النقدية بين ابن وكيع والمتنبى.توزيع دار المعارف .

٤ - خصائص النظم القرآنى فى قصة إبراهيم عليه السلام. مكتبة وهبة .

٥ - بحوث فى البلاغة والنقد. مكتبة وهبة .

٦ - مقاييس البلاغيين فى فصاحة الكلمة. مكتبة وهبة .

٧ - دراسات منهجية فى علم البديع. مكتبة وهبة .

٨ - أفنان البيان. مكتبة وهبة .

تحت الطبع :

١ - ابن طباطبا العلوى وجهوده البلاغية والنقدية. رسالة ماچستير .

٢ - البلاغة القرآنية فى تفسير أبى السعود. رسالة دكتوراه .

رقم الإيداع ٩٦/١١٠٧٧

الترقيم الدولى I. S. B. N

977 - 19 - 1904 - 0

التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفست - طنطا